

تاریخ البَطْرَا رَكَّة

لساویرس بن المقفع
أُسقف الأشمونيين

المجلد الرابع

البابا كيرلس بن لقلق
١٩١٦ - ١٩٤٣ م

٥١

٥٢

عن منشورات جمعية الآثار القبطية
أعدها للنشر للدارسين بمعهد الدراسات
القبطية : الراهب صموئيل السريانى

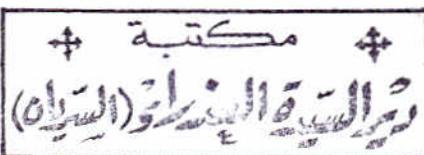
١٢٠

تَارِخُ الْبَطَارِكَةِ

لساويرس بن المقفع
أسقف الأشمونيين

١٢٥٩ + الرقم العام :
٥٦٠ + الرقم الخاص :
٢١ + القسم :
المجلد الرابع

البابا كيرلس بن لقلق
١٢٤٣ - ١٢١٦ م



عن منشورات جمعية الآثار القبطية
أعدها للنشر للدارسين بمعهد الدراسات
القبطية : الراهب صموئيل السرياني

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد

نبتدى بمعونة الرب وحسن توفيقه بنقل تاريخ الكنيسة المقدسة وذلك لاستقبال سنة اثنين وثلاثين وتسع مائة للشهداء الابرار الموافق لسنة اثني عشر وسبعين للهجرة العربية .

لما تناوح الآب القديس الطاهر الكامل الروحاني الناسك الناطق باللغة اليابانية عن الدنيا أبا يوحنا بطريرك المدينة العظمى الاسكندرية والقاهرة ومصر وأعمالها والحبشة والنوبة وخنس المدن وأفريقية في نهار الخميس الحادي عشر من طوبية سنة اثنين وثلاثين وتسع مائة للشهداء الابرار الموافق للخامس عشر من شهر رمضان سنة اثني عشر وسبعين الهلالية وهو يوم الغطاس المقدس توجهت المسكونة لفقده وارتقت الامور من بعده وكان قبل موته قد أوصى ابني اخته أبي سعيد وابي المكارم أن لا يتركاه في الكنيسة ولا يدفنه به حتى ينقل الى الديارات المقدسة على جاري عادة البطاركة بل يجذراه ويحملاه الى الحبس ويودفناه فيه في التربة التي لأهل بيته هناك ففعلا ذلك وبياته في الكنيسة المعلقة تلك الليلة وجذراه أحسن تجنيز وحضر اسقف الملكية ولم يكن احد من الاساقفة حاضراً وطلعوا به ثانى يوم وهو يوم الجمعة الى الحبس وحوله من الخلق امم لا تخصى وكان يوماً مشهوداً وحفروا له وسط التربة المختصة بأهله وهي بقرب من قبر ابنا زخاريس البطرك رزقنا الله صلاتهما ودفنوه هناك وعملوا قبره مصطبة وتحدث الناس يومهم ذاك . فيمن يقيمه بطريركاً فقوم وقع تغیرهم على القس بولس البوشى وقوم وقع تغیرهم على القس داود بن يوحنا القبوي وقوم تغیروا الشيخ ابا الكرم ارشيدياكون المعلقة بمصر والصاحب الأعز الوزير تعصبت لكتابه سنى الدولة ابى الفضائل وتشعبت آراء الناس ولم يكن فيهم من هو ماسك غرضه إلا أصحاب القس داود بن يوحنا وكان للسلطان الملك الكامل اعز الله نصره طبيب خاص به يعرف بالحكيم ابى شاكر بن ابى سليمان وكان مع السلطان على فاقوس ومع السلطان الملك العادل خلد الله ملكه

كاتب له تعرف بنشر الخليفة أى الفتوح وكان الملك العادل يوميذ على بيت المقدس وأصلاً من دمشق إلى مصر وكان هذان في زمانهما أقرب للنصارى إلى سلاطينهما فاجتمعت جمعية إلى القس داود بن يوحنا في يوم دفن البطريرك وهو يوم الجمعة و جاءوا إليه عشية واتفق رأيهم على أن يدوروا ليلتهم تلك على الناس ويأخذوا خطوطهم باستصلاحه فمضوا إلى دار واحد من الجماعة يعرف بشمس الرياسة بن صفي الملك بن الموصافاوي وراموا منه ذلك فلم يوافقهم عليه واعتذر بأن قال من هو أنا حتى أقم البطريرك وفي الدنيا مثل الحكم أبي شاكر والشيخ أبي الفتوح وكان في الجماعة من هو مستدير وحال من الهوى وكفهم عن الرواح إلى غيره وانصرفوا تلك الليلة بعد أن اتهموه بأنه فند إبراهيم وذلك الذي كان نصر هذه الجماعة من أول أمرهم إلى آخره لأنهم كانوا كلما بصرهم الإنسان مصلحة ونهاهم عن الإفراط في السعي والطلب وعدهم نسبوه إلى الانقلاب عليهم واتخذوه عدواً وقصدوا أخذ الأشياء بالقوة فاتصل بجماعة المصريين ما جرى من هذه الجماعة فاختبطوا وقاموا وقعدوا ونفذ القاضي الأعز الوزير إلى جماعة من كتابه وتحدى معهم في حق السنى كاتبه المقدم ذكره ولم يوافقهم أحد عليه وكان ذلك في ليلة الأحد رابع البطريرك وفي صبيحة الأحد المذكور اجتمع جماعة القس داود إليه وآخذه كتاباً من رجل شيخ كاتب يعرف بالمعتمد بن حشيش إلى الشيخ الوجيه بن الحندي كاتب السلطان الملك الكامل نصره الله لانه كان معه على فاقوس مضمون الكتاب المذكور ان الحضرة تعلم ما يلزم من حق الشيخ الأجل الرئيس المالك السيد نشر الخليفة وما يرومته الاب القس داود وقد امكنت الفرصة والحضره تعلم مكانه الشيخ المذكور من السلطان عز الله نصره والحضره قريبة العهد به وما يومن ما يجري على من يتتحدث لغيره وكتاباً آخر من الفارس أخي الحكم أبي شاكر إليه يقول فيه ان القاضي الأعز قد تعصب لكتابه السنى أبي الفضائل وربما تم له الامر ليحمله بذلك وإن ولدك أبا العلاء مريض ليقلقه على المحجى وتتحدث معه الجماعة في معنى القس داود وبينوا حاله واجتمعوا تلك الليلة عنده اعني القس واكلوا وشربوا وسار بها الصايغ صاحب القس داود المذكور في نهار يوم الاثنين الكتب المذكورة طالباً للخدم المقصودة وسيروا المصريين جماعة

منهم يتحدثوا في حق الشيخ أبي الكرم المعروف بابن زينور المقدم ذكره وكان الحكم أبي شاكر عند السلطان عندما بلغه خبر وفاة البطريرك فقال له يا حكيم كيف تعملون في البطريرك الذى تقيمونه قال يا مولانا نختار ثلاثة رجال اختياراً أتقى علماء يقع الاتفاق عليهم ويكتب اسماءهم في ثلاث رقاع كل رقعة اسم واحد ونكتب في رقعة أخرى اسم السيد المسيح ويرتكب الجميع على الميكيل ونصل ثلاثة أيام بطلبات كثيرة وابتهاج متواتر وفي آخر الثالثة أيام نحضر طفلاً دون البلغ ونتركه يرفع واحدة من الرقاع بحضور الشعب كله فيقرأها فان وجدنا فيها اسماء من الاسماء المختارة الثلاثة قدمناه بطركاً علينا وان طلعت الرقعة التي فيها اسم السيد المسيح علمنا انه لم يرض احداً من اوليك فنبطلهم ونرجع نختار ثلاثة آخر ولا نزال كذلك حتى يطلع اسم من الاسماء فنقدمه فأعجب السلطان ذلك وقال افعلوا عادتكم فلما وصل بها المذكور بالكتب التي على يديه اوصل الكتاب المختص بالوجيه بن الحندي إليه فقراء واحده معه ودخل على الحكم أبي شاكر في خيمته ووقفه على الكتاب المذكور فاغتناظ غاية الغيظ وقال كان البطاركة يقدمون بمثل هذا ويقال انت تعلم ما يلزم من حق فلان واما تزيد نقدم فلان لاجله ما سمع قط بهذا ثم اخذ الكتاب المذكور وكان كتاب أخيه المضمن مرض ابنه فقلت واحد دستوراً من السلطان اعز الله نصره وحضر إلى القاهرة وبلغ أشياء قبيحة عن القس داود وتحدى بها وبقي مصرًا على أمر الرقاع ووافقه عليها أكثر الناس فاما القس داود وجماعته فما كانوا يرون ذلك بل كانوا يريدون الأخذ بالقوة والسلطنة ولا يبالغون عن رضى أو غضب واجتمعت أباً يوحنا بن وهب بن يوحنا بن يحيى ابن بولس بالحكم في دخلته هذه إلى القاهرة وقررت معه أن يكون اسم القس المذكور من جملة الثلاثة اسماء لانه كان صديقى و كنت اعرف منه علمًا بارعاً وكهنوتاً حسناً وترجمة الالسن وإنما كنت أكره منه تهافتة وظهوره بالطلب وقلة تحاشيه من الحديث في هذا الامر لنفسه وكانت انصصحه في ذلك فلا يقبل النصيح واقول له ان هذا الامر يصلح ان يتظاهر العاقل بأنه لا يريده وإذا تحدث بهذا قدامه كره الحديث وقام نزل من الموضع الذى يكون فيه هذا ان لم يكن باراً وإن كان

باراً فيكون هذا باطنه وظاهره لأن هذا الامر فيه اقدام على عظام وتقليد لرعية كثيرة يكون الانسان مدانًا عنها فيحمل الامر متن على التقىده له ولا يرجع عما هو عليه ولم يكن متوكلاً على الله في اعطى هذا الامر له بل على سعيه راجتهاده ثم سالت الحكيم ان يقيم تلك الجمعة الى يوم الاحد ويجمع الاساقفة ويبت الحال على ما قام في نفسه من امر الرقاع فلم يفعل وكان بين الرأي بل انه لما علم ان ولده معاذ رجع على حاله الى الخير المنصوبة وبعد ذلك عمل المصريون حضراً بان القس داود المقدم ذكره منع من ابا بطرس اسقف الفيوم الذى كرزه قساً بسبب الاعتراف وفتن جرت بالفيوم وافتراق الشعب وانه ما خرج من الفيوم الا مطروداً من قبل الاسقف وان الاب البطريـك منه ايضاً لما اتضـح له من فساد اعتقاده ودمـيم طرـيقـه وكتبـ فيـه اثـنـانـ وعشـرونـ قـساـ من قـساـ مصرـ والـقـاهـرةـ وـضـواـحـيـهاـ وـكانـ الـخـضرـ المـذـكـورـ بـخـطـ مـصـطـنـىـ الـمـلـكـ اـبـيـ يـوسـفـ بـنـ الـخـطـابـ وـكـثـرـ الـقـالـ وـقـلـيلـ وـعـظـمـتـ اـخـنـةـ وـبـلـيـةـ وـصـارـوـاـ النـاسـ يـاخـذـونـ عـلـىـ الـقـسـ المـذـكـورـ اـشـيـاءـ فـقـومـ يـقـولـونـ هـذـاـ مـنـ الـفـيـومـ وـالـفـيـومـ مـنـ حـيـزـ الصـعـيدـ وـلـاـ يـجـوزـ تـقـدـمـتـهـ وـقـومـ يـقـولـواـ هـذـاـ كـانـ طـلـعـ الـيـهـ وـنـزـلـ مـطـرـنـهـ الـجـبـشـهـ وـلـمـ يـجـبـ الـيـهـ الـبـطـرـيـكـ بـلـ اـمـتـنـعـ مـنـ هـذـاـ غـاـيـةـ الـامـتـنـاعـ وـقـومـ يـقـولـونـ هـذـاـ مـاـ اـسـتـصـلـحـ الـبـطـرـكـ لـانـ يـقـيمـ بـدـيرـ الـعـربـ لـانـ كـانـ طـلـعـ الـيـهـ وـنـزـلـ بـهـ مـنـهـ وـاشـدـ مـاـ كـانـ عـلـيـهـ اـنـ لـمـ يـسـلـ عـنـ الـبـطـرـكـ فـيـ مـرـضـهـ وـلـاـ حـضـرـ جـنـازـهـ وـاـشـيـاءـ اـخـرـ شـنـيـعـةـ لـاـ يـلـيقـ ذـكـرـهـ بـهـذـاـ الـمـسـطـوـرـ وـلـاـ كـانـ تـمـ الشـهـرـ اـجـتـمـعـ خـمـسـةـ مـنـ الـاسـاقـفـةـ وـهـمـ اـبـنـاـ مـرـقـصـ بـنـ رـجـالـ وـلـاـ كـبـيرـ الـاسـاقـفـةـ يـوـمـيـدـ وـاـخـوـهـ اـبـنـاـ مـرـقـصـ اـسـقـفـ لـقـانـهـ وـاـبـنـاـ مـيـخـاـيـلـ اـسـقـفـ طـلـخـاـ الـمـعـرـوـفـ بـهـدـيـهـ وـاـبـنـاـ غـبـرـيـالـ اـسـقـفـ اـطـفـيـحـ وـاـبـنـاـ مـرـقـصـ مـلـيـحـ وـصـلـوـاـ عـلـىـ الـبـطـرـيـكـ اـبـنـاـ يـوـحـنـاـ نـبـيـهـ الـهـ نـفـسـهـ فـيـ تـمـ الشـهـرـ وـتـقـرـبـوـاـ عـلـيـهـ فـيـ يـوـمـ السـبـتـ الـرـابـعـ مـنـ اـمـشـيرـ مـنـ السـنـةـ الـمـقـدـمـ ذـكـرـهـ وـعـادـوـاـ إـلـىـ كـنـيـسـةـ الـقـدـيسـينـ سـرـجـيوـسـ وـوـاحـسـ لـانـهـ كـانـواـ مـقـيـمـيـنـ بـهـ فـعـنـ عـوـدـهـ حـضـرـتـ رـسـلـ الـأـمـرـيـرـ اـمـيـنـ الدـيـنـ وـالـمـصـرـ بـاـحـضـارـهـ فـحـضـرـوـاـ قـدـامـهـ فـقـالـ لـهـ اـنـتـ قـدـ صـلـيـتـ عـلـىـ بـطـرـكـكمـ يـخـرـجـ كـلـ وـاحـدـ مـنـكـمـ إـلـىـ بـلـدـهـ وـلـاـ تـقـدـدـوـاـ سـاعـةـ وـاحـدـهـ فـقـالـوـاـ يـاـ مـوـلـاـيـ نـحـنـ نـقـيمـ غـدـاـ لـاـ غـيـرـ حـتـىـ فـصـلـيـ عـلـىـ قـبـرـهـ وـغـصـيـ وـذـكـرـ اـنـ الـحـامـلـ لـلـوـالـيـ عـلـىـ ذـكـرـ كـاتـبـهـ تـقـرـبـاـ

من قلب نش الخلافة لانه خشي ان يتلقوا على تقدمه غير القس داود فبادر بذلك وعادوا الى موضعهم كثيرين فذكر لى القس بومتصور قس كنيسة بوسوجه والشيخ السنى ابو الحجد ابن القسيس بوفرج انهم جميعاً اجتمعوا قدام الميكل غير اسقف مليح وحرموا القس داود ومنعوه ودعوا عليه وخلفوا انهم لا يضعون عليه يداً ابداً بحكم ما جرى عليهم من وجع القلب بسيه ثم انهم صلوا على قبر البطريك وتوجهوا كل منهم الى كرسيه ووصل السلطان الملك العادل خلد الله ملكه والشيخ نش الخلافة معه ودخل الجميع الى القاهرة فذكر لى الشيخ الحكيم ابو شاكر رحمه الله انه اجتمع بالشيخ نش الخلافة وقت وصوله وفاظبه في امر القس داود فقال ما يصلح وانه مررتين اخرتين زاره في داره بالقاهرة وذكر له انه ما يصلح وبقيت المشاجرة على حالتها والبغضا وحدث الناس بعضهم في بعض واخراج مثالبهم ومناقضهم ودخل الصوم المبارك واجتمع الشيخ نش الخلافة بالشيخ نش الامام بن عز الكفاء بن ابي يوسف ورام منه ان يكتب التزكية للقس داود فامتنع عليه وانفصل منه مغضباً وبعد ذلك اجتمع في القس داود وذكرني ما يبني وبينه من المودة وسائلى في كتب التزكية فقلت في نفسي هذه ورقة ما على فيها من الله تبعه ان رضى الناس واتفقوا رضيت وان لم يفعلوا يكتبون له كنت انا لم اعمل ذنباً إنما زكيت شخصاً يتعين له على ذلك فكتب له أربع نسخ واحدة للاساقفة وواحدة للقسوس وآخر للاراخنة وآخر للرهبان وبعد ذلك كتبنا اخرى للاسكندرانيين وسير الشيخ نش الخلافة القس مرقس بن رجال الى الوجه البحري ومعه تزكية للاساقفة والرهبان فحضر ومعه اثنا عشر اساقفاً من أساقفة الوجه البحري بعد ان كتبوا خطوطهم في التزكية منهم ثلاثة من قدمتنا ذكره منهم اسقف لقانه واخوه الكبير واسقف طلخا وكان اسقف طمبدى ابا بطرس قد وصل فصاروا ثلاثة عشر اساقفاً وكتب الاخر خطه في التزكية وحضرت تزكية الرهبان وقد كتب فيها زها اربعين راهباً وكتب في تزكية القسوس جماعة من قسا القاهرة والوجه البحري واما القسا الذين كتبوا في حضر منعه فلم يكتب له منهم احد اصلاً وكتب في محضر الاراخنة جماعة كبيرة وبقي جماعة ممتنعين فلما رأى الحكيم وجماعة المصريين حضور الاساقفة وما جرى خافوا ان يتم

الامر واغتناظ الحكم غيظاً كثيراً فاجتمع جماعة كبيرة من النصارى ووقفوا للسلطان الملك الكامل وتصرروا من تقدمة هذا القس عليهم وذكروا انهم لا يرضونه وانه مخالف لاعتقادهم ورأيهم فقال لهم طيبوا قلوبكم ما يقدم عليكم الا من تريدون وبقى الشيخ نش الخليفة متعدد الى الحكم بوشاكر ليلاً يسأل عنه ولا يقول له شيئاً بل ان الرسائل كانت بينه وبينه وكان الحكم لا يرضى بهذا القس والشيخ نش الخليفة لا ينزل عن اختياره والشعب واقع بين الشعب وبعد ذلك ندب السلطان اعز الله نصره القاضي الأعز الوزير الحضور الى مصر وجمع النصارى وسماع حديثهم فحضر الى مصر وحضر معه الحكم بوشاكر وجلس بدار الوكالة العادلة وحضر جماعة من وجوه المصريين واستخبرهم فقالوا هذا ما نريده اصلاً وذكروا فيه اشياء قبيحة لا يليق ذكرها فقال لهم فلن تريدون فقالوا عندنا رجل شيخ جيد يعنون الشيخ ابا الكرم المقدم ذكره والشيخ الصناعة بن السكري وهذا كان كاتب الخزانة العادلة وهو من اكابر الاسكندرية والعضو الشريف عنده وذكروا جماعة من الرهبان منهم حبيس ابيار واتفق رايهم جميعاً على الرقاع وكتبوا محضر برضاهم بذلك فكتب فيه اكثرا الناس واندبه السلطان الملك الكامل عرضه على ابيه وكان الشيخ نش الخليفة قد قال للملك العادل عندما جرى ذكر القرعة يا مولانا هذه سنة الافرنج وليس سنتنا فلما وقف عليه قال ما تم قرعة ولا صداع تخزيرون واحداً يجعله لهم ورجع النصارى وقفوا للسلطان الملك الكامل مرتين اخرتين في انهم لا يريدون هذا داود وهو يطيب قلوبهم ويقول لهم ما ينعمل عليكم إلا من تريدون ولم يزل الحال يتراخى الى ان جاءت الجمعة السابعة فخرج الاساقفة الى كراسيمهم بعد ان كتب منهم ثمانية خطوطهم بمنع نفوسهم ان قدموا غيره وبقي الحال بحاله والشقاق والفتنة باقيان فلما كان في الجمعة الكبيرة نقل السلطان الملك العادل الصناعة ابو غالب بن السكري المقدم ذكره الى تولى ديوان نغر الاسكندرية وامرها بالخروج اليه واستخدم معه ناظراً يعرف بالقاضي الراكم بن نهار فأعطي الشيخ ابو الفتوح التزكية الخاتمة بالاسكندرانيين للقاضي المذكور ليأخذ فيها خط اهل الاسكندرية وخرج المذكور الى الشغر وكان هذا اول ما قوى نفس نش الخليفة لان هذا

الصناعة كان مضاهياً له فلما راح استبد هو بالامر وحده وعيّد الناس مفترق الآراء كثرين الضغابين والآخرين وبعد أيام وقع اختيار الشيخ نش الخليفة على سايع يجبار اطرباليس يعرف ببطرس المرشاد ووافقه عليه الجماعة ولم يثبت على هذا الرأي بل كان من طريق الامتحان لبعض الناس واستمر الحال على ما هو عليه الى ان فرغ الحمسون فاشار الشيخ نش الخليفة الى الجماعة الموافقين له وكان اكثراً كتاباً بأن يقفوا للسلطان الملك الكامل ويطلبوا منه تقدمة هذا داود فاجتمعوا ووقفوا له بدار السلطان عند عبوره الى خدمة ابيه فقال لهم اين هو هذا الذى اخترتموه احضروه وانفصل مجلسهم ذلك على هذا ورجعوا بعد ذلك وقفوا له مرة اخرى في دار السلطان ايضاً فقال هاتوا الحاضر وعبر الى دار ابيه فسير الشيخ نش الخليفة الحاضر المذكورة اليه الى داخل الدار مع واحد من غلامي السلطان وكان محضر الاسكندرية قد حضر فسيره معها ثم خرج الملك الكامل من عند ابيه فوقف له الجماعة وتفاصوه الجواب فقال جوابكم مع ابي الفتاح فدخل الشيخ الفتاح الى السلطان الملك العادل وقال يا مولانا مولانا الملك الكامل قال للنصارى كذا وكذا بماذا يجيبهم (عبدك) الملوك فقال من احضر لي الف دينار قدمته فخرج وأعلم الجماعة ذلك وكان الحكم ابو شاكر قد تنجز كتاب السلطان الملك الكامل الى والي الغربة بأن يجمع الاساقفة وينزل حبيس ابيار ويسيره معهم الى نغر الاسكندرية ليقدموه بطريركاً فلما خرج يومه ذلك من عند ابيه بعد وقوف النصارى له نزل الى مصر ومضى الى منظرته بالجزيره وقف له المصريون وقالوا يا مولانا انت كنت انعم علينا بيطرك ونشئي تمام الانعام فقال ما قد قلنا لكم روحوا اعملوا شغلكم ثم علم لهم على الكتاب واعطاهم لهم فاخذه القس بو المنصور بن القس بو المعانى المرسوم على بيعة القديسين سرجيوس وواخس بقصر الشمع بمصر والاسعد هبة بن صدقة الشهاس بكنيسة المعلقة ضامن السمسره بعرصي الفاكهة بالقاهرة ومصر وسار بعد ان اخذنا معهما بدلة من ثياب البطرك واعطاها الحكم بوشاكر شيئاً برسم نفقة الحبيس وكان مسيراً ما عشية الثالثا فلما اصبح الشيخ ابو الفتاح وبلغه ما جرى فلق وكل من كان موافقه على رايه فغير الى السلطان الملك العادل واعلمه القضية فكتب السلطان كتاباً الى والي الغربة بان لا ينزل الحبيس من

مكانه ولا يتغير عن حاله وكتاباً إلى والى اسكندرية يان لا يقدم الا من معه كتاباً وسيرهما رسولًا جاداً فلما اتصل بالحاكم الخبر طالع المولى الملك الكامل به فعظم عليه وكتب كتاباً ثانياً بأن يحضر الحبيس إلى القاهرة وسيره مع واحد من علمائه فأمأ او لثك فانهم وصلوا إلى الحلم في نهار يوم الخميس واجتمعوا بالامير فرحب بهم وان لهم عند كاتبه ولوقت كتب باحضار الاساقفة وفي بقية الليلة وصل كتاب السلطان الملك العادل بالتطبيل وفي صباح يوم الجمعة وصل كتاب الملك الكامل باحضاره فأمر الامير بذلك وسير معهم من يساعدهم على ذلك فلما وصلوا إلى الحبيس وكان يوم الجمعة لم يصلوا إلى عشية النهار فائز لهم ما يأكلون وهو رجل معروف بكرم وخير فباتوا عنده يروضونه فلما أصبحوا راودوه على التزول وكان حاضراً هناك اسقف ابيار فقال له امر السلطان ما يخالف فقال له يابي اكتب لي خططك بأنك أذنت لي بالنزول وان هذا الحبس لي متى عدت اليه سكت به بلا مانع فكتب له خططه بذلك ثم قدس القس بمنصور على الميكيل الذي هناك ودفعوا القربان اليه فتقرب على جاري العادة ودللي قفة من عنده وجلس فيها ونزل باكيًّا ومن كان حاضراً من اهل البلد متأسفين لاجل فرقته متعزفين بأهله في بركته فأخذوه وساروا وكان بغير نعل فخلع والى ابيار سرموزته من رجله وسألة ان يلبسها فلم يفعل وكان غلام المولى الملك الكامل محتفظاً به مانعاً احداً ان يقربه فوصلوا الى قليوب في بكرة يوم الاحد فدخلوا الى الكنيسة واجتمع اليهم جمع كبير حتى ان القس بمنصور حدثني انه قدس ذلك اليوم وانه حمل ثلاث عشر قربانه وقرب يسيراً يسيراً وفرح به الناس فرحاً عظياً واضافوه في قليوب ضيافات كثيرة ثم خرجوا الى ان وصلوا الى تحت القلعة فجاء اليهم الامير شمس الدين اخوه والى القاهرة فافرد الحبيس منهم وقال لهم يا نصارى قضيت حاجة السلطان امضوا الى سبilkum فتركوه ومضوا وبعد رواحهم اركبه على بغلة وامر الرسول الذي معه ان يعيده على فوره الى مكانه فأخذنه من ساعته ورجع به واعاده وطلع به الى جبهه وسكت الناس وانقطع القول بسبب البطرck مدة وفي هذه المدة جرت امور منها ان امير من الامراء يعرف ببها الدين شريحاً كان له كتاب يعرف بالسني اى الحجد بن سفي الشفاعة وكان هذا الامير

قد راح الى اليمن وكانت له هناك جارية محرومة وكان هذا الرجل المسكين يمنعها التطرف الى التبرج و فعل ما لا يجب فكرهته وعلمها الشيطان ان مضت الى والى القاهرة وذكرت انه راودها عن نفسها فانفذ حبسه وشاور عليه السلطان وجرت عليه شدة وبعد هذا لطف الله به وتخلص وكان صاحبه هذا مسافراً فلما وصل في هذه المدة خرج اليه فلقه على حلوان وسار قدامه فلتحقه وضربه بالسيف فقطع عمامته وشج راسه وضربه ضربة اخرى فلقه بيده فانحرفت يده ووكل به من يحضره الى داره ودخل الى القاهرة وهو محبوته واعتقله في داره وضيق عليه وبقي عنده مدة الى ان عمل له حسابه واقتضى منه ما يريده وبعد ذلك منع من كان يتعدد اليه من نظره يومين ثم لما كان بعد ذلك جاؤوا اليه بشئ يأكل على جاري العادة وكان غلام الامير كل يوم يوخدنون منهم داك ليطلعوا به اليه فلم ياخذوه منهم ذلك اليوم بل قالوا لابنه وغلامه صاحبكم مات من يومين تعالوا خذوه فعادوا بالويل والحراب واجتمع اخوه واولاده وجماعة من النصارى ووقفوا للمولى الملك الكامل عند حضوره الى خدمة ابيه عشية الخميس فلم يجيئهم بكلمة فقعدوا عند دار السلطان الى ان خرج فرجعوا وقفوا له فقال يبنكم الشرع فألحوا عليه فقال ادفنوا ميتكم فخرج بعض الجماعة ومن فيه مرؤه ليلاً كما هو وحصل له تابوتاً واحضر الحمالين ومضوا الى الموضع الذي كان فيه فوجدو المسكين وقد انتفع ووجهه اسود ولسانه مدلى على صدره ولا شك انه خنق فحملوه بعد جهد عظيم وخرجوا على حلم الى الجيش ودفونه وترددوا اهله بعد ذلك الى السلطان وهو لا يخرجهم من الشرع فاحتبسوه في سبيل الله وشكروا الله الحمود على كل حال وسكتوا فالله لا يخلينا من معونته ولا يدخلنا التجارب وفي اثنا هذه المدة كان صبي نصراني صعيدي يعمل في بعض معاصر الزيت الحار وان انساناً من المسلمين اتهمه بابنه وكان صغير السن وذكر انه حضر اليه وهو على غير الاستواء وانه ذكر ان الفاعل به هذا الشخص فاعتقله اياماً وعرض عليه الاسلام فأنى فاستفتوه في الفقه فافتوا بترجمه وان يعمل عليه دايره من الناس ويجعل فيها فرجه فان هو خرج وسلم فلا يعارض وان مات كان بمحنة ففعلنوا ذلك . فلم يكن استطاعه للتخلص بل ضربه عبد كان لابي الصبي بحجر خلط به فكه

فوق صريراً وتواتر عليه الرجم الى ان مات فحمل ودفن بالجيش وبعده بهنـيه طلع الصـبـى الى السـطـح لبعض شـانـه فوق من الـبـادـهـنج وتعلـق قـفص الـكـيـزان في اـصـلاـعـه فوقـهـ مـيـتاً وـذـكـرـ انـ ذـلـكـ النـصـرـانـيـ كانـ بـرـيـاً وـانـ الفـاعـلـ لـقـبـيـحـ العـبـدـ الـذـىـ قـتـلـهـ فـانـهـ لـقـىـ شـدـةـ عـظـيمـهـ وـهـلـكـ وـسـافـرـ الشـيـخـ السـنـيـ بوـالـجـدـ بنـ القـسـيسـ بوـالـفـرجـ الىـ قـوـصـ لـانـهـ كـانـ مـسـتـوـفـيـهاـ وـهـوـكـانـ اـكـبـرـ المـضـادـينـ لـلـقـسـ دـاـوـدـ الـجـاهـدـيـنـ لـسـيـهـ وـقـبـضـ عـلـىـ القـاضـيـ الـاعـزـ الـوزـيرـ وـخـشـبـ وـاعـتـقـلـ بـدـارـ السـلـطـانـ وـاخـذـ بوـسـعـيدـ بنـ اـخـتـ الـبـطـرـكـ المـتـنـبـعـ وـادـخـلـ عـلـىـ السـلـطـانـ الـمـلـكـ العـادـلـ فـقـالـ لـهـ اـرـيدـ مـنـكـ اـرـثـ الـبـطـرـكـ لـانـهـ حـشـرـيـ فـقـالـ يـاـ مـولـايـ لـمـ يـكـنـ لـهـ شـىـ وـقـدـ اـشـهـدـ عـلـىـ نـفـسـهـ قـبـلـ مـوـتـهـ قـالـ ذـاهـذـيـانـ اـرـيدـ ثـلـثـيـنـ الـفـ دـيـنـارـ وـامـرـ باـعـتـقـالـهـ فـيـ دـارـ السـلـطـانـ فـخـافـتـ نـفـوسـ النـاسـ وـاستـوـتـ الـامـرـ لـلـشـيـخـ نـشـ الـخـالـفـهـ وـكـتـبـ لـلـقـسـ دـاـوـدـ بـالـتـزـكـيـهـ مـنـ لـمـ يـكـنـ يـكـتـبـ لـهـ وـلـمـ يـقـنـ مـنـ الـجـمـاعـهـ مـنـ لـمـ يـكـتـبـ لـهـ إـلـاـ التـزـرـ الـيـسـيرـ قـومـ يـعـدـونـ وـبـعـدـ ذـلـكـ وـصـلـ الـقـسـ نـصـيرـ الـراـهـبـ الـذـىـ كـانـ الـبـطـرـكـ اـبـاـ يـوـحـنـ سـيـرـهـ إـلـىـ بـلـادـ الـجـبـشـ بـكـتابـهـ بـالـوـصـاهـ عـلـىـ الـمـسـلـمـيـنـ الـذـينـ هـنـاكـ وـالـمـرـدـدـيـنـ كـماـ كـانـ اـمـرـهـ الـمـوـلـىـ الـمـلـكـ الـكـاـمـلـ وـمـعـهـ رـسـوـلـ جـبـشـ اـسـقـفـ مـنـ بـلـادـهـ وـرـجـلـ مـنـ اـهـلـ الـخـيـمـ رـفـيقـ اـسـقـفـ فـيـ الرـسـالـهـ يـعـرـفـ بـاـبـيـ الـفـضـلـ اـبـيـ الـمـنـصـورـ وـعـلـىـ يـدـهـ هـدـيـهـ بـرـسـمـ السـلـطـانـ وـهـدـيـهـ اـخـرـىـ بـرـسـمـ الـبـطـرـكـ رـحـمـهـ اللهـ فـاـمـاـ هـدـيـهـ السـلـطـانـ فـاـوـصـلـوـهـاـ وـاـمـاـ هـدـيـهـ الـبـطـرـكـ فـلـمـ يـعـلـمـ مـاـ كـانـ مـنـهـ وـنـزـلـ الـمـذـكـورـيـنـ فـيـ دـارـ عـلـىـ الـبـحـرـ وـاقـمـواـ مـدـهـ وـلـمـ يـظـفـرـواـ بـكـثـيرـ طـاـيلـ وـلـاـ مـتـوفـرـ قـبـولـ وـانـصـرـفـواـ إـلـىـ بـلـادـهـ بـعـدـ اـنـ شـاهـدـواـ مـنـ اـخـتـلـافـ الـشـعـبـ وـتـنـفـرـ اـرـاهـمـ وـوـقـعـ الـفـتـنـةـ بـيـنـهـمـ مـاـلـاـ مـزـيـدـ عـلـيـهـ وـبـلـغـ النـيلـ فـهـذـهـ السـنـةـ الـىـ

ثم دخل فصل التريف فرض الناس كلهم وكان فصلاً شديداً مثل الفصل الذي كان قبله واشد ودخلت سنة ثلاثة وثلاثين وتسع مائة للشهداء الاطهار وكان الحكيم بوشاكر ملازم القلعة مايتناً بها لاجل مرض من بدار السلطان وكانت له منزلة كبيرة وحرمة عظيمة حتى انه كان يدخل من باب القلعة راكباً الى الباب الخوافي ولم يكن احد يدخله راكباً الا السلطان وحده وكان في بعض الاوقات

يلقى اخوة السلطان و اكابر الامراء و قاضى القضاة وجلة الفقهاء رجاله يمشون وهو راكب فلا ينزل وكانوا يعتدونه لأن الامر خرج اليه بذلك واما في هذه المدة مدة المرض فانه كان يركب في صحن القاعة الجوانى ويدور على الحرم من قاعة الى قاعة فرض في القاعة التي افردت له بالقلعة واقام ايام وتوفي الى رحمة الله فحمل على سريره الذى كان عليه الى الخندق وجذب هناك ودفن الى جانب أخيه ابن سعيد في كنيسة بالدير المذكور واشتمل السلطان على ابن أخيه وابن ابنته وامرها بالملازمة وأحلهما محله لانه كان علمهما ورجحهما لذلك قبل موته ثم بي الحال على ما هو عليه الى طوبه فاستدعى الشيخ نش الخالفة وقال نريد رقعة للسلطان بسبب البطرك فقررنا مسودة رقعة مضمونها ان مولانا قد انعم على كافة الخلق وقوم كل فاسد وبقي الماليك مختلي الاحوال بغير بطرك ويستثنون النظر في حالم واندتها فعرضها على السلطان وكان قبل عيد الفطر فقال بعد العيد نظر في حالم فلما كان في يوم الجمعة الثامن عشر من طوبه الموافق للثالث من شوال تقدم الى السلطان وقال يا مولانا النصارى يتطلبون مراسم السلطان بما وعدهم به من النظر في حالم فقال نعم اجمعهم حتى نقدر حالم فقال يا مولانا ومن هو انا هؤلاء ارباب بيوتات وما يلتقطون الى بل بأمر مولانا والى مصر والى القاهرة ينذرهم ليحضرروا بين يدي مولانا في اليوم الذي يعينه وخرج من عنده في شغل طلبه منه فوجد والى مصر على الباب فعاد اليه وقال يا مولانا هو ذا والى مصر برا ان كان مولانا يأمره بشيء فذاك اليه قال نعم صيحوه به فاستدعاه وامرها ان يجمع النصارى ويخضرهم صحبه يوم الاثنين الحادى والعشرين من طوبه ليتفقوا على البطرك الذى يقيمه لهم وانحضر والى القاهرة وامرها بمثل ذلك فأشعروا الناس ليلة السبت وليلة الأحد وليلة الاثنين واعلموا قسيس كل كنيسة ان يعلم جماعته وياخذهم ويخضر في صبيحة يوم الاثنين واما والى مصر فسير كاته و حاجبه الى المميزين من اهل مصر يعلمهم بذلك فاجتمع المصريون الى دار امين الدين والى مصر والقاهريون الى باب دار السلطان وطلع والى مصر بالصريين واجتمعوا مع القاهريين وكانوا زها مایة رجل او اكثر ودخلوا جميعهم الى دار السلطان فوجدوا الواليين على مصطفية بها فاستدعيا جماعة من اعيانهم وقال من تريدون ان يكون لكم بطرك

منع من مقدمتنا قال فن الثالثة الذى تعينون عليهم قالا الصنيعة اى غالب بن السكرى قال ذلك كاتبنا ما لكم معه حديث فن غيره قالا الشيخ بوالكرم رجل من مصر شيخ عالم قال ومن قالا الحيس الذى بابيار قال فاكتبوا اسمهم بخطكم فكتبا فقال ومن الثالث قالا صاحب هذه الحاضر . قال فالساعة نفيت منه وقلما ما يجب قالا يا مولاي هذه الرقاع نحن نعتقد انه لا يطلع فيها الا من يختاره الله فما نبالي من كتبنا ونحن نعمل هذا قطعاً للشر لثلا يبقى في قلب احد من الجماعة شيء فالتفت الى الوالىين وقال احضر الى خمسة من وجوه المصريين وخمسة من وجوه القاهرةين فخرج الوالىين فاختارا خمسة من كل فئة كنت انا من خير المصريين فعبر الجماعة الى قدامه وجلسوا في الجانبين بين يديه فرفع راسه اليهم وقال هاذان مقدماما قالوا هاذان مقدماما كتايسمما قال افلدتم راضين بما قررنا قالوا حتى نعلم ما هو قال قد ذكرنا اسماء بيعملنا عليهم القرعة قالوا ومن هم الاسماء قال السلطان للقسيسين تعرفاهن قالا اخترنا الشيخ ابا الكرم قالت الجماعة يا مولانا رجل شيخ فاني لا يقوم بهذا الامر قال السلطان فأين هو قالوا بمصر قالت الجماعة يا قسيسين من غير ابي الكرم قالا حيس ابيار قالوا لها فانت تعرفاه حتى تزكياه قالا الملك الكامل يعرفه وهو الذى اختراه فقال السلطان الملك الكامل ما يدخل بينكم دعوه عنكم وكثير العياط فامرهن السلطان بالسکوت ثم قال هاتوا الحاضر فاحضرت فقال لوالي القاهرة اعطها لهم فأخذ يدفعها للقاھريين فقال السلطان لا ادفعها لمولاء الذين يخالفون يعني المصريين ولم يكن احد من دخل اليه في هذه المرة يخالف في القس داود بل كلهم كانوا كتبوا له وانما السلطان كان يثبت في نفسه ان المصريين كلهم كانوا مخالفين لما كان يجري من اجتماع اكثراهم ووقفهم للملك الكامل فاخذنا الحاضر . فقال ما تقولون في هذه قلنا نحن راضون بهذا الرجل وهذه خطوطنا قال ما هو خطكم وحدكم بل وخط الاساقفة والرهابنه قلنا نعم يا مولانا فالتفت الى القاھريين وقال فانت ما تقولون قالوا راضون بهذا الرجل فقال القسيسين فانت ما تقولان فسكت القس برکات فقال القس يوسف اذا رضى هولاء وهو لا اى شيء تقول نحن ، فقال السلطان اخرجوا واتفقوا مع اصحابكم الذى برأ وقدموا بطرركم ووحيات رأسى وترية السلطان ان لم تتفقوا ما قدمت السلطان قد سير احضر الحاضر . فقالا يا مولاي ما يجوز عندنا تقديميه لانه

فالقس داود الذى كتبنا له خطوطنا فانتدبو واحد من المصريين يقال له بو العز ابن وكيل البخاج وهو شهاب من شمامسة المعلقة وقال يا مولانا نحن ما نرضى ووازره اخر يعرف بابي الرضا بن قسيس كنيسة ابى شنوده بالساحل وشعنا ولم يتكلم غيرهما فنجد الشيخ نش الحلافة الى ابى العز احضره اليه الى الخزانة العمورة ولاطفه فامسك وبقي بو الرضا على حاله فدخل الواليان على السلطان وعرفاه اختلاف الجماعة فقال احضروا لي جماعة من هولاء وجماعة من هولاء حتى اسمع كلامهم فقال جماعة الذين لا يريدون القس داود بي من اصحابنا شيخ وهو كبيرنا قس بمحارة الروم القاهرة وهو يسمى يوسف فامر والى القاهرة باحضاره فاحضر وادخل الى السلطان وكان لرشيبابا القوسوس بالقاهرة والقس برکات ارشيبابا القوسوس بمصر وجماعة من القوسوس وغيرهم فكر كل منهم قدام السلطان وزاد ونقص فرجهم واستمر اخر حديثهم ان رضى المصريون بالقس برکات والقاھريون بالقس يوسف واعتبروا بأنهما مقدماما فامسک السلطان القسین وامر باقى الجماعة بالخروج فخرجوا والتفت الى القسین فقال لها كم يحصل للبطرك كل سنة فقال اربع مائة دينار في السنة قال فما يفعل بها قالا ينفقها على نفسه ويتصدق بها قال فاي شى كان قبل بطركته قالا تاجرًا قال فن خلف من الورثة قالا اخته قال فكم لها من الميراث قال النصف وغلطا في هذا لأنهما كان ضعيفين في علم البيعة لأن شريعة النصرانية توجب للأخت جميع الميراث اذا لم يختلف غيرها وهم عملا على شرع المسلمين فقال فالنصف الآخر من قالا لك يا مولانا قال فانا اطلب منكما نصبي لأنكما مقدماما الجماعة قالا نحن ما كنا نكتاته ولا نعلم شيئاً ما كان فيه فقال هذا شى ما اعرفه وتشدد علينا فقلنا يا مولاي اولاد اخته أولى بهذا متنا فقال كان له جماعة اولاد اخوت ما نعرف الا واحداً الذى هو عندنا قالا يا مولاي بي اخر يسمى مكارم وهو مقيم بمصر فالتفت الى الوالى وقال يحضر الساعة فاحضر لوقته وترك عند اخيه في الموضع الذى كان معتقلًا به بدار السلطان ثم التفت اليهما وقال من تريدين ان يكون لكم بطركا قالا يا مولانا نحن لنا عادة ان نعمل القرعة ونكتب ثلاثة اسماء فن طلع لنا عملناه قال فهذا صاحب الحاضر وكان السلطان قد سير احضر الحاضر . فقالا يا مولاي ما يجوز عندنا تقديميه لانه

لكم بطركا ابدا فقاموا خرجوا وارتفعت الضجة بناء على ان القس داود قد اثبت امره وانحزا الذين يصادونه وعاد اكثراهم الى الرضى ودخل الناس الى الشيخ نش الخلافة يشنونه وخرجوا من عنده الى دار القس داود ويدعوه ويئشونه حتى لم تسهم الدار وكان ناس يرحوه وآخرون يحيون وما شكل احد في انه البطرك وانه يكرز في يوم الاحد الذي بين الرفاعين وهو السابع والعشرين من طوبه ونجد الشيخ نش الخلافة لاحضار الاساقفة واجتمع بي القس وقال تريد كتب التقليد فقلت يا مولاي هذه وظيفة فخر الدولة اي سعيد كاتب القلايه وكان قريبا لي وصديقاً ونبياً ولم يكن طيب القلب بهذه القضية فقال فخر الدولة الساعه ما اليه سيل وربما لا يفعل فقلت انا ا فعل هذا بشرط على حكم النيابة عنه بشرط ان الاب لا يغير عليه شيئاً قال سمعاً وطاعة فقررت نسخة التقليد عربياً واسميته ابا كيرلس وبضمها ونقلوها الى القبطي وحررت نسخه القبطي عليها وفصلت الثاب . والفقافير واحضر كرسى كان من مقدم الزمان برسم البطرركه وجل واحضرت العكاكيز واشترت الدواب وتجهز القس واصحابه للرواح الى ثغر الاسكندرية بعد القمية وفي اثناء هذا خرج السلطان الى خصوص عين شمس متوجها الى ثغر الاسكندرية وكان الناس يظنون ان الشيخ ابا الفتوح قد استخرج امره بتقدمة القس داود ووصل اساقف لقائه الذى كان يتلو الارشيباسقوبو وابي اخاه الكبير مريض ووصل معه بعده ثلاثة اساقفه اخر وهم اسقف الشوم واسقف مليج واسقف شطوف وتحقق الناس انه قد تم امره وبي المضادون له يقولون نحن نفعل ونصنع اشياء ما كانوا يقدرون عليها لونخرج الامر فلما كان في عشية السبت ليلة الاحد المقدم ذكره اجتمع الاساقفة والجماعة واجروا الحديث فقالوا نحن غدا في مصر قال لهم فإذا قالوا كيف أما نكرز البطرك ، قال لا ما له في غد تكريز لاننا ما شاورنا السلطان بعد ولا اخذنا كتاباً الى والي الاسكندرية فسكتوا واصبح المصريون طلعوا الى القاهرة ليجثوا صحبته فاعلموا ذلك فرجعوا وبي الاساقفة بالقاهرة ولما كان نهار يوم الثلاثاء من جمعة الرفاع اجتمع جماعة من قسوس المصريين واهل الصفا وقوم من كان لا يريد القس داود وخرجوا يبتغون السلطان ليعلمونه انهم لا يريدون داود وفي يوم

الاربعا اتبعهم الشيخ نش الخلافه جماعة من كان معه ليقفوا له ويقولوا انهم يريدونه وخرج هولاء وهولاء وكان السلطان قد رحل فاما جماعة المصريين فانهم تموا في طلب السلطان واما اصحاب الشيخ اي الفتوح فانهم لقيوا في طريقهم الاسقف المعروف بهديه في قلوب جائعاً لتكريز البطرك فعرفوه القضية فرجع معهم وكان معه جماعة فصاروا عده وساروا فوافوا السلطان على معديه دجوه في نهار يوم الخميس وكان مطر فوقفوا له فقال ما تريدون واحضر الاسقف .

قال يا مولانا كنت انعمت علينا بتقدمة البطرك وما وصلت لم اجد معهم خط مولانا ولم ينعمل لنا شى بغير خط وانا اسأل من انعام مولانا ان يكتب لنا خطه قال بع تعالوا الى المنزله تقضي حاجتكم وسار فلقه تلك الجماعة فقال ما هولاء فقالوا يا مولانا انت امرت ان تتفق ونحن فارضينا بهذا الرجل فكان من احضر عشرة الف دينار جعلناه بطركا ووقفوا له مرة اخرى واخرى وهو لا يخرجهم عن ذلك فرجعوا وبي او ليك سايرين مع السلطان متذرين ما وعدهم به وكان الشيخ نش الخلافه يعد بالقاهرة لم يخرج منها فلما كان يوم الاحد الرفاع تقرب هو والاساقفة بكنيسة الفخارين بالقاهرة وبعد القريان اخذ الاساقفة معه ومضى الى دار القاضى الاشرف بن القاضى القاضى وادخلهم عليه فقال لهم ما بالكم قالوا يا مولانا قد فسدت احوالنا بغير بطرك ونحن فقد رضينا هذا الرجل فقال طيبوا قلوبكم انا اخرج الى السلطان واعلمه ما سمعت منكم وانجز لكم القضية فدعوا له وانفصلا من عنده وخرج هو والشيخ نش الخلافة في بقية النهار وسار للسلطان وتلك الجماعة معه وقد انضم اليهم اساقفة اخرين هم يقفون له في الوقت بعد الوقت ولا يخرجهم عن المواعيد الى ان وصلوا الى ثغر الاسكندرية ووصل الشيخ نش الخلافه واجتمعوا هناك ولم يزالوا كذلك الى ان هم السلطان بالخروج من الثغر في اخر الجمعة السادسة من الصوم وكان عازماً على المضى الى ثغر دمياط فقدم اليه الشيخ نش الخلافة وقال يا مولانا هولاء النصارى قد طالت مدتهم ومولانا أولى من قضى حاجتهم فامر السلطان ان يكتب لهم كتاب بتقدمه عليهم فكتب ولم يبق الا العلامه فسمع رجل من كتاب السلطان يعرف بالرضى اي الرضا بن دراق فكتب

فهُم من عَبْرِ وَمِنْهُمْ مَنْ بَقَى بِرَايْنَوْثْ وَيَصِحُّ وَدَخَلَ مِنْ هَذِهِ الْجَمَاعَةِ قَوْمٌ إِلَى الْقَاضِي عَمَادِ الدِّينِ بْنِ أَخْيَ الْعِلْمِ صَاحِبِ الْدِيْوَانِ وَذَكَرُوا لَهُ أَنَّ الْبَطْرَكَ مَاتَ وَلَهُ فِي جَهَةِ الْإِسْاقَةِ دِيَارَتِهِ سَنَةٌ وَهَذِهِ سَنَةٌ بَعْدَ مَوْتِهِ وَالسُّلْطَانُ وَارِثُهُ فَاطَّلُبُهَا مِنْهُمْ وَهِيَ الْقَافُونَ وَمَا يَتَابُ دِيَارُهُمْ وَوَكْلُهُمْ وَكَانُوا عَازِيْنَ إِلَى النَّزُولِ إِلَى مَصْرَ لِتَقْدِيمِ الْبَطْرَكِ وَكَتَبَ رِقْعَةً لِلْسُّلْطَانِ بَاهِنَهُ جَرِيَّ كَذَا وَكَذَا فَقَالَ السُّلْطَانُ أَنَّ تَعْرِضَ إِلَيْهِمْ أَحَدَ ضَرِبَتْ رِقْبَتِهِ هَذِيَانَ إِنْ شَاءَ اسْكَتْهُمْ عَنْهُمْ هَذَا الزَّمَانَ كَلَهُ فَقَدْ رَفَعَ التَّوْكِيلَ عَنْهُمْ وَرَكِبُوا مَطْمَأَنِينَ وَرَكِبُ مَعْهُمْ الْقَسْ وَاجْتَمَعُ مَعْهُمْ مِنَ الْخَلْقِ مَا لَا يَحْصِي عَدْدُهُ وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُودًا وَجَاتَ الرَّهْجِيَّةُ فَاعْطَوْهُمْ شَيْئًا وَصَرْفُوهُمْ وَتَبَادَرَتِ الْأَخْبَارُ إِلَى مَصْرَ بَاهِنَهُ أَنَّ الْأَمْرَ ابْنَتَ فَصَارَتِ الْأَسْوَاقُ لَا تَنْشُقُ فَامَّا الْمَعْلَقَةِ فَلَمْ يَكُنْ لَأَحَدٍ فِيهَا وَطَأَ قَدْمُ مِنْ كُثُرَةِ الْخَلْقِ فَطَلَّبُوا بِرْزَمَةً فِيهَا ثَابَهُ وَمَعَهَا عَكَازَهُ إِلَى كَنِيسَةِ الْمَعْلَقَةِ وَكَانَ وَالْقَاهِرَةُ قَدْ مَضَى إِلَى الْمَلَكِ الْكَاملِ وَعَرَفَهُ مَا جَرِيَ فَقَالَ مَهْمَا أَمْرَ بِهِ السُّلْطَانُ تَمْتَلِّ فَلَمَّا غَوَثَ النَّصَارَى تَلَكَ الْلَّيْلَةَ فَنَذَّ أَسْتِدْعَاهُ وَحَمَلَهُ رِسَالَةً إِلَى أَبِيهِ وَكَانَ الْقَسْ وَالْجَمَاعَةُ قَدْ خَرَجُوا مِنْ بَابِ الْحَوْنَهُ قَاصِدِينَ مَصْرَ فَوَصَلُوا إِلَى الْمِيمُونَ وَمَعْهُمْ نَائِبُ وَالْقَاهِرَهُ وَتَلَقَّاهُمْ بْنُ وَالْمَصْرِ هَنَاكَ وَإِذَا رَسَلَ قَدْ جَاءَهُمْ عَدُوًّا أَسْتَرَدُوا الْإِسْاقَةَ وَقَالُوا السُّلْطَانُ طَلَبُهُمْ وَفِي الْحَالِ جَاءَ سَهْمُ الدِّينِ وَالْقَاهِرَهُ يَرْكَضُ فَاسْتَعَادَ الْحَظُّ الَّذِي كَانَ فِيهِ عَلَامَةُ السُّلْطَانِ وَاخْذَ الْإِسْاقَةَ مَعَهُ وَعَادَ فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى بَابِ دَارِ السُّلْطَانِ كَادَ النَّاسُ يَرْجُمُونَ الْإِسْاقَةَ فَحَمَّاهُمْ سَهْمُ الدِّينِ وَقَالَ وَاللهِ أَنْ تَعْرِضَ إِلَيْهِمْ أَحَدَ قَطَعَتْ يَدَهُ فَكَفَتْ عَنْهُمُ الْأَيْدِي بَلْ تَنَوَّلُهُمْ بِالْأَلْسُنِ فَشَتَّمُوهُمْ وَسَبُوهُمْ وَعَيْرُوهُمْ وَعَبَرُوا إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ فَعَيْقَوْهُ بَهَا وَاما الْقَسْ وَبعْضُ الْجَمَاعَةِ فَدَخَلُوا إِلَى كَنِيسَةِ حَارَةِ الرُّومِ الْحَمْرَا وَبَعْضُهُمْ بَقَى بِرَا عَلَى الطَّرِيقِ وَبَعْضُهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ تَغَلَّبُوا وَبَقَى مِنْ بَقِيَ مُسْتَنْظَرِينَ لَمْ يَنْقُطْ رَجَاهُمْ وَاما اُولَيْكَ فَكَانُوا مُقِيمِينَ عَلَى بَابِ دَارِ السُّلْطَانِ لَا دَخَلَ الْمَلَكُ الْكَاملُ إِلَى خَدْمَهُ أَبِيهِ وَقَفَوْهُ لَهُ وَرَاهُمْ وَلَا خَرَجَ وَقَفَوْهُ لَهُ وَدَعَوْهُ لَهُ وَطَالَتِ الْحَالُ وَجَاتِ التَّاسِعَةِ وَكَنْتَ اَنَا فِي جَمِيعِ مَا جَرِيَ فِي هَذِهِ الْهَارِ مَقِيمًا بِكَنِيسَةِ ابُو سَرْجِهِ فَلَمَّا قَيلَ لِي قَدْ وَصَلَ إِلَى الْمِيمُونَ قَلَتْ اَقْوَمُ الْقَاهِرَهُ عَلَى رَاسِ الدَّرْبِ فَقَمَتْ رَكْبَتِي وَانَا اَقُولُ هَنَا الْقَاهِرَهُ هَنَا الْقَاهِرَهُ إِلَى اَنْ قَيْلَ لِي

رِقْعَةَ إِلَى السُّلْطَانِ بَانَ هَذَا الرَّجُلُ مَا يَصْلَحُ وَانَّ كُلَّ مَنْ كَتَبَ لَهُ اَنْمَا كَتَبَ لَهُ خَوْفَا وَالْإِسْاقَةَ هُوَ الَّذِي يَكْلِفُهُمْ مَا جَرِيَ مِنْ غَيْرِ رَغْبَةِ مِنْهُمْ وَدَخَلَ بَهَا يَقْصِدُ مِنْ يَعْرِضُهَا عَلَى السُّلْطَانِ فَإِذَا السُّلْطَانُ عَلَى بَابِ الْقَاعَةِ مُنْفَرِدًا فَقَالَ مَا لَكَ يَا أَبا الرَّضِيِّ فَتَأْوِلَهُ الرِّقْعَةُ فَقَرَأَهَا ثُمَّ أَمْرَ بِتَبَطِيلِ الْكِتَابِ وَقَالَ نَحْنُ نَرُوحُ إِلَى مَصْرَ نَكْشِفُ عَنْ حَالِهِ وَاما مَا كَانَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ اَخْتِ الْبَطْرَكِ فَانَ السُّلْطَانُ كَانَ قَبْلَ خَرْوَجِهِ سَلَّمَهَا لِلصَّمْصَامِ مُشَدِّدَ الدَّوَاوِينِ فَعَصَرُهَا وَتَهَدَّهَا وَعَاقِبَهَا وَلَمْ يَزِلْ مَعَهُمَا حَتَّى قَطَعُاهُ عَلَى اَنْفُسِهِمَا ثَلَاثَةَ الفَ دِينَارٍ وَضَمَّنَ عَلَيْهِمَا بَهَا وَالْحَرْجَهُمَا فَقَامَا بَهَا ثُمَّ اَنَ السُّلْطَانُ خَرَجَ مِنْ اسْكَنْدَرِيَّهُ وَرَجَعَ رَاهِيَّهُ عَنِ الرَّوَاحِ إِلَى دَمْبَاطِ فَجَاءَ إِلَى الْقَاهِرَهُ وَدَخَلَ إِلَيْهَا فِي نَهَارِ يَوْمِ الْجَمِيعَةِ مِنْ الصَّوْمِ الْمَقْدِسِ وَدَخَلَ الشَّيْخُ نَشَّ الْحَلَافَةَ مَعَهُ وَالْجَمَاعَةِ وَفِي نَهَارِ يَوْمِ السَّبْتِ الَّذِي هُوَ سَبْعَةُ الْعَازِرِ اَحْضَرَ الشَّيْخَ نَشَّ الْحَلَافَةَ اَسْلَافَهُ اَسْلَافَهُ اَلِيَّ بَيْنَ يَدِيِ السُّلْطَانِ وَكَانُوا سَبْعَةُ ، اَلْارْبَعَةُ الْمَقِيمُونَ بِالْقَاهِرَهُ فِي دَارِ الشَّيْخِ نَشَّ الْحَلَافَةَ عَنْدَ الْقَسِّ دَاؤِدَ وَوَلَّةُ الَّذِينَ كَانُوا يَسِيرُونَ وَرَأَءَ السُّلْطَانَ مِنْ مَوْضِعٍ اَلِيَّ مَوْضِعَ فَاسْتَخْبَرُهُمْ عَنِ الْقَسِّ دَاؤِدَ فَقَالُوا نَحْنُ رَاضِيُّونَ بِهِ وَلَا نَخْرُجُ عَمَّا كَتَبْنَا بِهِ خَطْوَطَنَا لَهُ فَقَالَ لَهُمْ اَخْرُجُوا وَلَا شَبِدُوا عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ فَخَرَجُوا إِلَى الْدِيْوَانِ وَكَتَبُوا عَلَيْهِمْ شَهَادَةً بِرِضاِهِمْ بِالْقَسِّ دَاؤِدَ وَاسْتَصْلَاحِهِمْ لَهُ اَنَّ يَكُونَ بِطَرِيرِكَا وَسِيرِهَا الشَّيْخُ نَشَّ الْحَلَافَةَ إِلَى السُّلْطَانِ فَخَرَجَتْ عَلَيْهَا لِلوقْتِ فَاخْذَ الشَّيْخَ اَنْطَ وَسِيرِهِ إِلَى وَالْمَرْسِ عَشَاءَ لَكِي يَنْذِرَ النَّاسَ بَانِ يَخْرُجُوا بِاَكْرَلِ للْقَاءِ بِطَرِيرِكِمْ وَلَيُوقَدُوا كَنِيسَةِ الْمَعْلَقَةِ وَيَزِيَّنُوهَا فَنَذَّ إِلَى كَهْنَةِ الْمَعْلَقَةِ وَتَقْدِمُ إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ فَشَاعَتِ الْقَضِيَّةُ وَخَرَجَ اَسْعَدُ هَبَهُ اَللَّهُ بْنُ صَدَقَةِ الْمَذْكُورِ اَوْلَا وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَوْلِي النَّاسَ عَلَى الْوَقْوفِ لِلْسُّلْطَانِ بِتَلْكَ الْمَرَارِ وَيَجْمِعُهُمْ وَصَارَ يَدْخُلُ مِنْ كَنِيسَةِ اَلِيَّ كَنِيسَةَ اَلِيَّ اَنَّ اَجْتَمَعَ مَعَهُ خَلْقَ فَطَلَّبُوا إِلَى الْقَاهِرَهُ لِوَقْتِهِمْ وَمَعَهُمْ جَمِيعَ قَسَ الْكَنَائِسِ مَا خَلَ قَسِيسُ كَنِيسَةِ بُو مَرْقُورَهُ وَأَوْقَدُوا الشَّمْعَ وَقَصَدُوا الْقَلْعَهُ لِيَلَالِ فَلَبُوا وَغَوَّثُوا وَصَرَخُوا وَاسْتَغَاثُوا إِلَى اَنَ سَمَعُهُمُ الْمَلَكُ الْكَاملُ ثُمَّ عَادُوا لِيَدْخُلُو الْقَاهِرَهُ فَوَجَدُوا بَابَ زَوِيلَهُ قَدْ اَغْلَقَ فَرَقَدُوا عَلَى الْبَابِ وَبَطَّلَتِ فَتَلَكَ الْلَّيْلَهُ جَمِيعَ كَنَائِسِ مَصْرَ مِنِ الْاِبْصِلْمَدِيَّهُ وَمِنْ تَدوِيرِ الزَّيْتُونَهُ فَلَمَّا اَصْبَحُوا قَصَدُوا دَارِ القَاضِي اَلْاِشْرَفِ بْنِ الْفَاضِلِ قَبْلَ رَكْوبِهِ ثُمَّ مَضَوا إِلَى دَارِ السُّلْطَانِ

الجماعة قد نزلوا عند الحمرا فتعجبت واسرعت لعلم الخبر فجئت وجدت اصحابنا قعوداً فاعلموني القضية فقعدت معهم فلما فاتت التاسعة قلت اليوم عظيم وما يجب ان يفوتنا فيه القربان وكان هناك قس من اهل دميرة يسمى بانوب فاخذته معى وجماعة من اصحابنا المكاربين لي وجيئنا الى كنيسة غبريل وكانت قدسوا فيها قبل ذلك فطلبنا قربانة فحضرت واحضر كسوة وابي فقدسنا وتقربنا وعدتانا الى كنيسة بوسرجه التي كنت مقيم بها في الصوم وبقي بعض اصحابنا متظراً على حاله فاما اوليك المصريون فبقوا على باب دار السلطان الى العشا الى ان اخرجت الاساقفة واكثراهم باتوا بالقاهرة واما القس داود فاقام بكنيسة حارة الروم الحمرا الى عشية النهار ثم عاد الى بيته وبطلت كنائس مصر في هذا النهار من القدس وهو يوم الشعانين واصبحوا الناس يوم الاثنين الذي هو اول يوم البصخة وكان عيد الاضحى اجتمعوا ووقفوا للسلطان بالاناجيل والمحاجم والصلبان يدعون له وخرجوا الاساقفة في ذلك النهار كل منهم الى كرسيه ورجعوا الناس الى كنائسهم واستقرروا بها وعيدوا وقال والليل بينهم يختبئ واما ما جرى على البيعة في هذه الايام فان وكيل السلطان جاء الى قصر الشمع وصفعه جميعه واخذ الناس بأن يقوموا عن كل دار يشى على حكم الحكم واخذ من كثير منهم وحدد عليهم الحكم مضاعفاً وقطع على اوقاف الكنائس التي للنفع عن كل دار خمسة دنانير ووقع للناس من ذلك في شدة عظيمة وكان التوكيل على القوسوس في كل حين بهذا السبب وقاموا ببعض المبلغ فغرمت كنيستا المعلقة وببوسرجه زهاء خمسون دينار ولما وصل السلطان وقفوا عن الطلب وبعد ذلك وردت الاخبار بغلة الغلة في الشام وخصوصاً ارض القدس والساحل حتى انهم ذكروا ان الماء عدم بها وان عين سلوان نزحت حتى صارت طريقاً ولم يسمع بمثل هذا وتحركت الاسعار بمصر الى خمسة وثلاثين دينار المائة اربد القمح ثم انحطت الى سبعة وعشرين دينار وعمل جسر مراكب من الجزيرة الى الجزيرة وكان مبتداه من قدام الصناعة المستجده وعدة مراكب التي فيه ثلاثة وخمسين مركباً وكان كماله في نهار يوم الخميس التاسع من اربعين سنة ثلاثة وثلاثين وتسع مائة وأربعين للناس بغير حق يطلب عنه واستخدم السلطان برسمه رجال لاصلاح ما يفسد منه ولفتح

الابواب للمراتب المصعدة والمنحدرة لأنهم عملوا فيه مواضع لاجل ذلك بفتح المراكب وتعداد على حالها وصار الناس راحفين الى الجزيرة وجاءين ركاباً ورجالاً وفرحوا بذلك فرحاً عظياً ودعوا للاسطان بسيبه وعمل عليه درابزين خشب من الجانبين احرزا من ان يسقط احد الى البحر في وقت .

ووجد الناس به راحة عظيمة ووصل الماء في هذه السنة الى اثنين وعشرين اصبعاً من سبع عشر ذراعاً ثم انحط وتحركت اسعار الغلة الى ان بلغ القمح خمسين دينار المائة اربد ثم انحط الى خمسة وعشرين دينار ورجعوا كرروا الطلب على القوسوس في طلب قيمة ما قطعوه على الاوقاف ولم يزالوا مجهدين الى ان غلقوا بعد جهد وشدة ورهبة اجحافت بالكنيسة وفي هذه السنة خرج السلطان الملك العادل من القاهرة الى البركة المعروفة ببركة الجيش طالباً للدار الشامية لما بلغه من اخبار الفرنج وكثراهم واقام بها مدة ثم انتقل الى بلبيس دخلت سنة اربع وثلاثين وتسع مائة ثم توجه الى الشام ونزل بيسان يجمع عساكره وجنوده واقام بها مدة طويلة وكان قد وصل الى الافرنج ملك من ورا البحر يعرف بملك الهنكر وقيل انهم اجتمعوا في اربعة الف راكب ومائة الف راجل وقصدوا عسكر الاسلام بيسان فلم يثبت قدامهم بل انهموا وتبعدوا الافرنج اربعة خمسة ايام الى ان ابعدوهم عن الساحل ونهبوا من الغلال والأسلحة وقتلوا واسروا خلقاً عظياً ثم عادوا نزلوا على طربه اياماً ثم رجعوا الى عكا اقاموا بها يعلمون آلات الحصار ثم خرجنوا نازلوا الطور وهي قلعة عظيمة استنجد بها الملك العادل قريبة من عكا وقاتلواها عشرة ايام وقتلوا مقدمها ثم رحلوا منها بغير سبب علم وعادوا الى عكا وكان قبل عيد الميلاد المقدس وفي هذه الايام امر السلطان عزّ نصره بعرض المسجونين فعرضوا عليه فكان فيهم رجل يسمى اسدأً وكان حايكلًّا وكان قد تخاصم مع امراته فحملته الى الشرع فجرت منه لقطه شهد عليه بالاسلام وانكره فاعتقل وبقي في الاعتقال مدة سنة الى هذا الاوان فاحضره السلطان ورغبه ووعده بمال وكسوة ان هو بقي على الاسلام فامتنع وقال ما انا الا نصراي وعلى نصرايني اموت فقال له ويلى تلفظ بالشهادة قدامي وابنها اردت امضى افضل بنفسك قال لا كان هذا ابداً ولم يزل الحال يتعدد بينهم وبينه الى يوم الغطاس الحميد فامر بضرب رقبته

فاحضره والى القاهرة عند باب زويله واحضر الشهود وعرض عليه الاسلام قدامهم فامتنع وقال اجزوني بالله عليكم ولا تردوني الى الحبس فتقدم اليه احد ماليكه فنحسنه بالسيف الى ان غاب منه فيه اربع اصابع فقال له كمل فقال له الملوك مد عنفك فدنه فضربه شربة طارت بها رأسه عن جسده وعلى بدنها على باب زويله ومجدد الناس الله على صبر هذا الرجل وحسن ايمانه وبقي معلقا ثلاثة ايام وبعد ذلك حطوه واخرجوه خارج المدينة وأخذوا ان يحرقوه ولم يلق عليه من الوقود ما يفي باحراقه فبقي جسده سالماً واجتمعت جماعة من النصارى المباركين وسالوا الوالي فيه فاعطاهم اياده فاخذوه ودفنوه في كنيسة الملكه التي بحارة الروم الحمرا وشكروا الله الذي يثبت قديسيه على اليمان باسمه الى اخر نفس وفي هذا الوقت امر السلطان ابقاء الله ان يعمل على مصر سور من جانب البحر وان يمد مع طول الخليج الى القاهرة وشروعوا في ذلك وابتداوا به من عند دار الملك وحفروا الاساس وشروعوا في العماره وفي هذه الايام خرج امر الملك الكامل الى القاهرة ومصر بان يخربوا كل ليلة ويتشالعوا ففعلوا ذلك وصارت تقع بينهم القتل والحرجى والمعطوبون من الحجارة وصار كل من في البلدين بآيديهم المقاليع وبطلوا اهل مصر وبقي اهل القاهرة على الحال وهم في كل وقت متزايدین وبعد ذلك دخل الصوم المقدس فجعل الاراخنة اصحاب القدس داود يأخذونه في كل احد الى كنيسة ويقدس بها ويغزون معه لانه كان كاهناً حسناً وعلماءً خيراً ومحبوباً من يخاف الله فاما من كان تعانده فما كان تعانده الا لوجوه شئ اغراضيه منهم من كان يحسده ومهما من كان يخاف من تقدمته لاجل اشياء هو مرتکبها او من مکروه قد اسداه اليه فيخاف معاقبته عليه ومنهم من لا يليالي فيظن لاجل كثرة الشناعة ان الامر صحيح وانه غير مستحق فيضاده في امره ديناً فلما كان في الاحد الثالث خلف عليه بعض الجماعة الى كنيسة القديس بوسريجه بمصر باتفاق من قس البيعة المذكورة فحضر وحضرت معه جماعة من الاراخنة وشعب كثير وضرب له قسيس الكنيسة المطاونه فقدس فلما وصلوا الى الاسطليس واذا برجل يعرف بابن صدقه المقدم ذكره قد دخل ومعه غلامان الوالي وشغب وصاج واقترى على قس البيعة ورام تبطيل القواس بعد ان حمل القربان واجتمع

من الناس على باب الكنيسه خلق عظيم لينظروا ما يكون وجرت مفاوضات كثيرة اخرها ان القس داود يکمل القدس ووالى مصر قاعد له في وسط الكنيسه على دكة ليحفظ القدس داود من يتعرض اليه لأن ابن صدقه واصحابه راموا رجمه وهو على الهيكل وكل القدس كيرلس على ما جرت به عادته لم يتغير شي من كهنوته المعروف منه ثم خرج وركب ووالى مصر راكب معه في خدمته الى ان اوصله الى قريب القاهرة ومضى الى بيته سالم واجتمع الصعيدون يباعون الزيت الحار والاشنان الذين هم يعتقدون ان هذا الذى يعملونه دين لغراتهم وجهاتهم ورباطهم وطلعوا الى تحت القلعة ثاني يوم وقدروا الوقوف للسلطان وكتبوا رقعاً ولم يخرج لهم جواب بل رجعوا خائبين وهذه امور الله فيها سر ومشيئة وهو العالم بالصلحة في كل شي وبين الناس على ما هم عليه ولما كان يوم الثالث الرابع من يونيو من السنة المذكورة وصلوا الفرج الى ثغر دمياط في عدة عظيمه وتزلوا على بر الحيره وضربوا خيامهم وتقدموا الى برج السلسلة فصبوا عليه منجنيقات وقاتلوا وعبروا بشخاخير وحراريق حرية الى البحر الحلو وصاروا قبل السلسلة وانقطعت الميرة عن دمياط في البحر وما صار ينقل اليها شي الا في البر على الجمال واشتد بالناس الامر واختلط الدميرتان والحله وشمور وسخا واكثر البلاد البحريه وانتقل اهل مصر الى القاهرة ووصلت العساكر من الشام الى دمياط وخرج من مصر والقاهرة خلق عظيم للجهاد فهم من اتفق فيهم السلطان ومنهم من اتفق فيهم وجوه المدينتين ومنهم من خرج من ذات نفسه ديناً وصارت الاخبار تزيد وتتفص وتأخذ الناس في بيوتهم الطواحين وخزنوا القمع والدقيق والكعك والارز وغيره من الات الحصار. وخرج الملك الكامل بنفسه الى التغر واقام على شارمسماح ونصب الافرج على دمياط وعلى برج السلسلة الذى مقابلها ثمانية منجنيقات وكانت حجارتها تصل الى وسط المدينة وكانت نشابهم لا تفتر ليلاً ولا نهاراً مع المنجنيقات على الاستمرار وكانت القتل والحرجى كثيرة جداً ولما كان في شهر

يوم الجمعة الثامن والعشرين من يونيو ركبوا في زهاء سبعين ثمانين مركباً بعد ان لبدوها وسروها ورصفوا بها على البلد وقاتلوا قتالاً عظيماً وكان يوماً شديداً ثم رجعوا الى مزتهم والحال على ما هو عليه من ضرب المجنينات ورمي النشاب الى يوم الاحد السابع من ابيب فعملوا على اربع بطن اربعة ابراج وزحفوا بثلثة منها الى البرج واحدة الى التغر وقاتلوا وحدوا في القتال واشرفوا على البرج ونصبوا سلام للطلاع اليه ولم يبق في اخذه شيء وما لوا كلهم الى صوب البرج وكانوا مثقلين بالحديد فانقسم الصارى ووقع كل من كان على السلام الى البحر بزرياتهم وعددهم فغرقوا كلهم وفرح المسلمين بذلك فرحاً عظيماً وزينت المدينتان ورجع من سلم منهم الى مزتهم والحال على ما هو عليه من ضرب المجنينات ورمي النشاب وبعد ايام وصلت الاخبار بان احد اولاد السلطان دخل الى بلاد عكا واحد منها برجاً يسمى دهوق كان فيه ثلاثة نساء وضررت اياها وقتلوا كلهم وبالقاهرة ومصر سلسلة عظيمة لتفوي بهائيك السلسلة وزنهما مائة وثلاثون قنطرة بالمصري واستمر الحال على الرمي بالنشاب والضرب بالمجنينات وركب من الفرنج خيل وغاروا الى بعض الدنجاويه واخذوا منها غلة وتبنا وعادوا وقتلوا من لقيوه في الطريق وسير السلطان احرق البلاد المجاورة للموضع الذي وصلوا اليه وصارت الغارات مستمرة في البر والبحر والقتال لا يفتر وكان مقابلهم في بر العرب جماعة كبيرة من العربان تناهز ثلاثة الف فارس ومعهم اميرين من اكابر العرب فركب من الفرنج الفارس وكان بينهم وبينهم مسافة يوم واحد فساقوا ركضاً الى ان وصلوهم فلما صدموهم انهزوا قدامهم وقتل منهم خلق كثير واسر وحصل بيد الفرنج من الخيول العربية مالا يدرى وتقوا عليهم الى ان تعدوا خيامهم واخذوها واحداً كلما فيها واخذوا الاوزاد التي كانت عندهم والجمال ورجعوا الى مزتهم فاما العرب الذين انهزوا فهم من كان من القبوم ومنهم من كان من الصعيد فتموا على شوطهم نهباً من كان بي في العربيه وتفرقوا الى بلادهم وفي اثناء ذلك هدم الملك العظيم سلطان الشام قلعة الطور التي كان الانفرنج نازلوها ونقل جميع ما كان فيها الى القدس الشريف واستمروا الحال بالزحف بين كل يومين ثلاثة والرمي بالمجنينات العظيمة الهايله التي وزن حجر

احدها فكان ثلثاً وخمسين رطلاً بالمصري والنشاب العظيم الكبير الذي هو اصناف وانواع واهتموا بمراكب يسمونها المرمه وهي بستان قربهما واثقوهما بالاخشاب والمسار الى ان بقيت الانتنان مثل واحدة وعملوا فيها اربعة صوارى وركبوا على الصوارى برجاً من الخشب وعملوا حوله سوراً مثل سور المدن بشواريف وعملوا اسقاله عظيمة بحبال وبكر ترجمى وترفع وتقدموا الى البرج في تهار يوم الجمعة اول النسي من ستة اربع وتلثين وتسع مائه وكان به ثلاثة مقاتل من المسلمين فارחו الاسقاله على البرج ونزلوا اليه وملكون الطبقة الغوفانية وقتلو من كان فيها فاما الذين في الطبقة الوسطى فصالحو الامان فاسروهم وكان الجسر قد انقطع فلم يفلت منهم احد الا من رمى بنفسه الى البحر وكان يوماً عظيماً ونصبوا على البرج الاعلام والصلبان وسدوا بابه الذي من جانب دمياط وفتحوا الباب الذي من برهن ونصبوا جسرهم من عندهم اليه واخذوا فيه من الاسلحة والنفط والازواد ما لا يحصى وفرحوا فرحاً عظيماً وكثرت الادلة على نظر سيدنا لهذا الدين ورضاه عن اهله فنه ما حدثني به القيس بن ابي طالب وهو رجل فاضل مسيحي صادق قال قدست في هذه السنة بكنيسة سمرس من اعمال الغريبه في يوم عيد الثالثة الفتية وهو عشرة ايام في بشنس فلما كان وقت الاسبسس الذي هو الصلح ظهر فوق قبة الهيكل شخص جالس على كرسى وقدامه شخص وافق بين يديه وفي يده مجرمه وهو يبخر ولهيب النار صاعد من المجرمه ثم ظهر بدایر القبة كلها خياله ركاب على خيل مثل صور القديسين التي في الكنائس وكانوا يدورون حول القبة وأذناب خيالهم تتحرك وكلهم اعني الناس يشاهدونها فإذا وصلوا الى الكرسى صدقوا وعبروا ولم يزالوا كذلك الى وقت القربان انصرفوا وظهر مثل ذلك في كنيسة حانوت من مدة طويلة وشاع ايضاً في كنيسة بشناس وفي كنيسة السيدة بظاهر منية عمرو في كنيسة الشيد بولحس بشبرا الحيمة وكل ذلك يشهد به المسلمين اهل البلاد وحدثني هذا القس ايضاً انه رأى في منامه كانه وافق بكنيسة يصلى وكان صليباً قد ظهر من المشرق قدر دراع في مثله وكأنه كله نار يتقد وفي وسطه صورة السيد وكأنه سجد له وارتاع وأعلن بكثير بالبصون ورفع رأسه فرأى الصليب قد امتد من اربع الجهات الى ان ملأ الافق وعم الارض فانتبه عند ذلك.

وحدثنا ايضا انه رأى في ليلة اخرى كأن الفتنة قد ثارت والناس قد خافوا وكأنه هو في كنيسة وكان رجالا جاءه اليه فقال له كلم المذكور فحضر بين يديه فقال له امض الى اخوتنا النصارى طمن قلوبهم وهدهم واعلمهم اننا ما جينا الا ننتقم من اعدائهم ما جينا لنؤذهم وانهم باقون في كتابتهم وعلى سنتهم توت فخلق المقياس وكسر الخليج فيه ونودى على الماء في ثانية اربعه اصابع من سبعة عشر ذراعاً ودخلت سنة خمس وثلاثين وتسع مایه للشهداء الاطهار وبعد ذلك وردت الاخبار بموت الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب وكان السلطان الكبير والملك العظيم وكانت مملكته من اليمن الى خلاط وجعل كل واحد من اولاده في مملكته فالمملكة الكامل وهو ولد عهده بمصر وهو الذي فتح اليمن واقام به ولدأ له ينعت بالملك المسعود وفي الشام الملك معظم وفي المشرق وخلال الملك الاشرف وفي الرها شهاب الدين غازى وفي قلعة جعبر الملك الحافظ وفي قلعة بصرى واعمالها الملك الصالح وفي قلاع بينين وهونين والشريف وبانياس الملك العزيز وحلف الناس للملك الكامل انه السلطان من بعده وخطب له على المنبر وضررت السكة باسمه وهو مقابل الافرنج على دمياط وانهى النيل في هذه السنة الى سبعة اصابع من سبعة عشر ذراعاً وهي سنة خمس وثلاثين وتسع مایه القبطية وانحط بسرعة وشرق اكثرا الديار المصرية وتحرك سعر الغلة واجتمع على الناس في هذه السنة ثلاثة اشياء موت السلطان وتزول العدو على البلاد وشحة النيل والكنيسة خالية من البطريرك ثم ان المسلمين اجتمعوا عليهم على ان يقصدوا الافرنج ويذبحوا اليهم فعدا من خيالهم مقدار اربعه الف فارس ومن الرجاله مثلها ورتبوا خمسين ستين مركباً شوانى وحراريق ترحب في البحر فاما الخياله فكان زحفهم من القبله فوصلوا الى خندق الافرنج فوجدوه منيعاً وخلفه حمية من المقاتله فلم يتعدوه واما الرجاله فانهم زحفوا من جانب البحر من شرق مزلة الافرنج فاخذوا لهم الفرنج اطراف الخيم واندفعوا قدامهم وآوجدوهم الضعف والقلة الى ان توسعوا خيالهم ثم قاطعوا عليهم من الجنوب فقتلوا اكثراهم ولم يفلت منهم الا من رمى بنفسه الى البحر واكثر الذين رموا نفوسهم الى البحر غرقوا لأن منهم من لا كان يعرف يوم من رجاله الشام

ومنهم من يعرف العم فاعجل عن نزع لباسه فوقع به الى البحر فغرقه واما الذين في المراكب فلما رأوا ما كان من الرجاله بقوا مكانهم ولم يرجعوا وكانت وقعة عظيمة في نهار يوم الثلا الحادى عشر من بايه ورجع السلطان امر العسكر الذى كان تمدى بالرجوع الى بر دمياط وشرع في الحشد والجمع ولما كان في نهار يوم الجمعة السابع والعشرين من بايه رحبت الافرنج الى عسكر المسلمين الذى كان عدى الى بر العرب وكانوا زهاء الف فارس لأنهم كانوا حلقة الملك الكامل بكمالها ومن انصاف اليهم من العرب والمغاريز فكسر وهم جميعهم واصلوهم الى البحر واخذوا خيولهم وعترتهم وقتلوا جماعة من ابطالهم ولم يسلم منهم الا العدد القليل من روى بنفسه الى البحر وكان خيراً بالعلوم واشتد الرعب وخافت نفوس الناس وعظمت مهابة الافرنج وانحلت العزائم عن لقائهم وتمادي الحال على ذلك ودخل الشتا وشئ الافرنج على البلاد ولما كان في اوائل كييك جاء نو عظيم ورياح عاصفة وطلعت البحيرة مما تحامل عليها من البحر المالح ففرق خيام العسكر من دمياط الى العادلية وهي القرية التي استجدت في بر دمياط مقابل بورة بعد اخذ الافرنج لبوره وهلك في هذه التوبه من المسلمين خلق عظيم ومن الدواب وضاع من الاموال الامتعة والأسلحة ما لا يقع عليه الحصر وكان البحر قد طا والامطار والبرد يقع والرياح يكاد يزعزع الجبال وكانت شدة عظيمة لم يشاهد مثلها وحمل البحر مسرمة كان الافرنج علوها على ست بطن كبار وعملوا فيها من السلام والابراج والازقة ما لا يخصيه الوصف فرمها في بر المسلمين وكان فيها ستة عشر رجلاً منهم اربعة عشر قاتلوا حتى قتلوا واثنان رموا نفوسهم الى البحر وعاد الى البر الآخر فأخذهما الملك وشقهما كيف لم يقتلا ويسيراً للحرب مثل البقية وتکاثر المسلمين على هذه المرآمه فنظروا ان ليس لهم بها طاقة وانهم لا يحسنون تدبيرها ولا يامنون من ان تکاثر الافرنج عليهم فياخذونها منهم فاحرقوها وكانت شيئاً عجيباً لا يوصف وكانت للفرنج مراكب في البحر جائبه من عكا وغيرها لأنهم منذ نزلوا هذه المزلة لم تقطع المراكب عنهم فتكلست كلها واستندت الى البروز فأخذ منها شيئاً في غزة والعريش وغيرها وكانوا قد حفروا بحراً كان يعرف بخليج الزعفران ليعبروا مراكبهم منه لأن السلطان كان قد وعر ما بين

البرجين خشيه من عبورهم براكبهم الكبار فلما جات الامطار وطلع البحر الكبير ملا الخليج الذي حفروه وكانوا قد قربوا الحفر من البحر فصار لهم فيه جملة مراكب واستمر الحال على ذلك الى مدة فرجع السلطان غرق مراكب قدام الموضع الذي طلعوا اليه وجعلها ثلاثة صنوف وركب فيها صوارى وسمّر عليها صوارى اخر بالعرض فلما كان في يوم السبت الذي بين الرفاعين هيأت الافرنج مراكبهم وطعوا اليها بالاهم وخiamهم وعددهم واسلحتهم وطاب لهم الريح وكان هذا اليوم الثامن من امشير فالقلموا يدا واحده وال المسلمين كلهم مطلوبون على البر راجلهم وفارسهم ومعتقدن انهم يصلون الى تلك الصوارى فيقفون فلما وصلوا الى تلك الصوارى جعلها الله لهم مثل الحشيش فقصوها جميعاً وتموا طالعين الى الموضع الذي ارادوه وهو مضيق البحر فتعجب المسلمين من ذلك وكان عليهم يوماً شديداً واقموا جميعاً الافرنج وال المسلمين يوم السبت والاحد والاثنين ملبسين رايطين بعضهم فلما كان في ليلة الثلثاء الحادى عشر من امشير جرى بين السلطان وواحد من اكابر الامرا يعرف بابن المشطوب بخلف معاهم فيه من الارتباك والشدة فقضى ذلك برحيلهم جميعهم ليل وتركهم خيامهم وجميع عددهم والاهم واصبح الافرنج متعجبين معتقدن انها مكيدة لانهم كانوا يودون لو هلك اكثربم حتى تملکوا شطراً من بر الشرق لا غير فاتفاق لهم ان ملكوه معماً من الخيرات والنعم التي لا توصف ولا تحمد ولا تخصى قيمتها فطلعوا الى البر المذكور في يوم الثلاثاء المقدم ذكره وتسلموا الحمام جميع ما فيها والابراج والمنجنقات والعدد والزرد التي لا تخصى كثرة وقتلوا كل من وجدهو متخلقاً في المنزله لان الناس كانوا يظنون ان طلو عليهم اليها يتراخي فبقو بها طمعاً فيما يشيلونه من قماشهم وكأنوا زهاء ثلاثة الف نفس واحاطوا بدبياط من كل ناحية ونصبوا عليها المنجنقات وجدوا في القتال عليها واما السلطان فانه غرس سنجقه باشئوم وكل من راه من الامرا الاكابر وقف حوله فاما المغاربه والطواشين فانهم ساحروا في البلاد واكثربم عبروا الى القاهرة وبقي الناس مختبطين فعاقت نفوسهم جداً وكثرت الشناعات على النصارى واشتند بعض القوم فيهم وكان في اثناء هذه الحال اجمع المسلمين

وقرروا تصفع الاملاك بمصر والقاهرة واخذ اجرتها شهرين ومساعدة السلطان بها وصفعوا مصر ولم يستخرجوا منها شيئاً وبطل ذلك ثم عادوا جبوا من المسلمين على قدر احوالهم طريقين حتى انتهوا الى ان اخذوا من الخمسة دراهم الى ما فوق ولم يجد ذلك نفعاً ولا حصل منه طائل وبعد هذه الكسرة المقدم ذكرها بيومين ثلاثة وصل الملك العظيم سلطان الشام الى اخيه الملك الكامل الى الشوم واتفق رايهم وقبضوا على ابن المشطوب الذي هو اكبر الامراء الذي ذكر انه كان سبب الكسرة وقيدوه وسironه الى قلعة الكرك موثقاً ثم ذكر انه نفي الى بلاد الشرق وكانت الاقوال تزيد وتنقص فقوم قالوا قتل كل نصراوى في دمياط وقوماً قالوا ما قتل الا الاسرى لأنهم وجدوهم قد بقوا وراموا الخروج الى اصحابهم واما اهل منية ابن سلسيل فان اهلها ثاروا على النصارى واهلكوا منهم جماعة وكان الزمن كلما مر اشتند والفتنة كلما مرت عظمت ثم رسم بتتصيع املاك الناس بمصر والقاهرة وان يجيء منهم اجرة شهرين واخذ اكابر مصر ان يجبوها من اهلها شيئاً على قدر احوالهم ويسرونها مساعدة للسلطان والمسلمين فحصلوا في جيابتين زهاء ثلاثة الف دينار وما وصل الملك العظيم ملك الشام واجتمع باخيه اتفق رايهم على ان يعودوا الى بر الغرب لان ضليمه الفرنج كانت فيه فعدوا بالعساكر والجنود وامروا بعمارة سور من مصر الى القاهرة ليحوز البلدين وشروعوا في عماراته وبدوا فيه من مصر من عند دار الملك ومن القاهرة من المؤؤله وجعلوا اساسه الحجر ويطلقه بالتراب عمل المغاربة ثم استأدوا جوابي الذمه لستة ست عشر وسبعينه في يوم الاثنين الثامن عشر من ذى الحجه سنة خمسة عشر وسبعينه ثم رجع رايهم عن عمل السور بالتراب فهدموا ما كانت المغاربة عملته وشروعوا في البناء باللين ثم ورد الامر باستخراج اجر الاملاك من الناس كافة بالقاهرة ومصر وشرع في استخراجها واما ما كان من امر العسكري في تعديته الى بر الغرب فانهم وصلوا الى قرب منزلة الافرنج في يوم الاحد السابع من برمييات فارسل الله ريحاناً عاصفة وامطاراً وهاج البحر وطلع عليهم ولم يتلافوا بالرجوع كان غرقهم فرجعوا ولم ينالوا قصداً وعدوا الى بر الشرق ونزلوا على فارسكور وما والاها وكانت في هذه السنة شتوة ما شوهد مثلها في الديار المصريه حتى انه حدث بها من الثامن برمييات الى

الخامس عشر منه من الرياح والامطار والبرد الشديد ما لم يشاهد قط مثله وكانت احوال هذه السنة كلها عجيبة غريبة وبعد ذلك ورد امر السلطان بالاخراج نصف اهل مصر والقاهرة الى القتال اختياراً واضطراراً وخرج اكثر الناس وصار المعزيزون الذي لا يليق بهم الخروج يفلدون انفسهم بما يقومون به من الذهب كل منهم على قدر حاله فاما النصارى الذين بالقاهرة انهم جبوا منهم مع اصحاب المعاش كل من كان متعمشاً مع اهل معيشة ولم يجحف بهم ولا باحد من اهل القاهرة وفي الاخر جبوا من الكتاب المقيمين بها وراغوا البعض وتركوا البعض فاما مصر فان واليها كان منقاداً بالفقها فاحضر قسّا الكنائس الى القبط والملكية وقال لهم تخرون وتهددهم وقال انتم تخرون مع المسلمين وما تصلون معهم الى باب المدينة حتى يقتلوكم وما يقدر احد يقول لهم في هذا الوقت شيئاً وكان الميل في القول بالاكثر على الملكية لانهم كانوا يشنعون عليهم باسم يحبون الانجليز وانهم على سنتهم في تربية الشعر وترك الحنان وما شابه فعمل فيهم الحنوف واستجعل واحد منهم وقال عندنا الف دينار فقلوا مبارك قوموا جيوا بالف دينار وقالوا للحاضرين من قوس القبط هؤلاء منكم بالقيراط نحن نجعلهم بالعشر اعطونا عشرة الف دينار واحر الحال انهم قرروا عليهم ثلاثة الف دينار وخرج جميعهم بالترسم وعلقت سبله في كنيسة المعلقة وسلبه في كنيسة الملكية وسلبة في كنيسة اليهود لأن الآخر كانوا وزنوا في المرة الأولى وقت ما طلب من النصارى شيء خمس مائة دينار وقرروا عليهم في هذه النوبة سبعة دينار وصار الضرب في الناس والتعليق والترسم والموان وكان القسا هم الذين يخرجون اسماء الناس ويقطعون عليهم القطائع وكانت ایام الصوم المقدس وكانت ایاما صعبة شديدة واضطهاد عظيم فاما الملكية فانهم جبوا من شعبهم الذى قدروا عليه وبقيت عليهم جملة فاخرجوا الانية الفضة الذى لهم ورهنوها عند واحد من المسلمين فقيه يقال له الفقيه نصر على مائة دينار بمائة وخمسين دينار واوردوها واما القبط فانهم جحفوا بالناس غاية الاجحاف ولم يتصور ان احداً بيلا غرامة الا النادر القليل وكان جملة ما حصل لهم الف و五一دينار وكان بعضهم يرافق بعضاً وصار كل من يريد ان يخفف عن نفسه دخل في القضية وصار مستخراجاً فاجتمعوا بالوالى ودخلوا في كل مدخل الى ان جعلوها

الفأ وما يرى دينار ورجعوا الى الذى بي قضوه على الكنائس كل كنيسة على قدرها حتى نفذوا الى الديارات البرانية مثل دير طموه ودير الشمع وغيرها وأخذوا منها القطيعه وطلعوا الى القاهرة يستردون اهلها فلم يعطهم احداً منها شيئاً فعادوا خاليين لانهم كانوا الدين وقفوا في امر القيس داود في معنى البطركية وما زالوا الى ان وفوا المبلغ المذكور ولم يبيعوا انية ولا ربعاً ولا رهنا بل انما كانت ایاما شديدة وكثير من الكنائس اغلقت ایاما كثيرة بسبب هذه القطيعه وكان قد استخدم من القاهرة ومصر عشرة الف راجل وسيروا وكان اکثرهم مغاربة فهدموا كل كنيسة وجدوها في طريقهم الى ان وصلوا الى المعسكر وكان الزحف قد ترب ان يكون يوم الريتونه فرحفوا الى الفرنج فقتل اکثر اوليك الرجال الذين هدموا الكنائس والذى سلم من القتل خرج ووصلت منهم جماعة الى القاهرة ومصر مراكب ملوك ثم زحفوا زحفة اخرى ولم ينالوا غرضاً لان الفرنج كانوا عملوا عليهم خندقاً من البرى وجسرین في البحر وعملوا على الخندق ابراً وبنقاً مثل سور المدينة وجعلوا خلفه الرماه والمقاتلة فصاروا لا يقدر احد يدروا منهم ثم اجمع راي المسلمين على سد بحر الشرق من عند زفتا وان يتحامل الماء جميعه الى بحر الغرب وشرعوا في ذلك وأخذوا له المراكب والعدد والآلات وتكامل سده في نهار الجمعة الخامس عشر من بشنس سنة خمس وثلاثين وتسع مایه بعد كلفة عظيمة وغرامة كثيرة الا انه صار طريقاً ولم ترجم المراكب تصعد فيه ولا تنحدر وانقطع في ليلته وضاع كلما غرم عليه وذكر انه كان غرم عليه سبعة عشر الف دينار وتحامل الماء موضعه وينس من سده ثانية فترك بحاله وهدم القدس الشريف في برموده من السنة المقدم ذكرها بعد ان اجل من اهله ولم يبق به سوى القيمة المقدسة وبرج داود ومسجد الصخرة والجامع المعروف بالاقصى وهدم باقي اسواره ودره وفنادقه وقع على الناس بسبب هدمه خوف عظيم وقلق للشام من اجله وعلا السعر فيه فاما ديار مصر فكان السعر فيها رخيصاً في طول هذه الايام ثم ان الانجليز هياوا مرماط عظيمة وابراجاً كبيرة وزحفوا الى دمياط براً وبحراً سبعة ايام متالية في العشر الاوسط من ابيب ورصفت المسلمين اليهم وبقوا في القتال ليلاً ونهاراً ثم ان الانجليز اخروا الاهم عن دمياط فرجع المسلمون

الى متزلم وبقى الامر على ما هو عليه وقد كانوا قبل ذلك شغبوا بكنيسة القديس مرسى الى بظاهر الاسكتلندية المعروفة بالقمحة وتقديم الامر بهدمها فيذل النصارى في ابقاها الى ديناراً ولم تقبل وقيل لا بد من ١٥ ديناً فان هذه اذية على الغرب لانها ترخص برجاً عليه ويقاتل العدو الغرب منها اذا نزل عليه فهدم منها اكثراًها بأمر السلطة حتى لم يبق منها سوى قامة واحدة فلما كان في يوم الجمعة الذي يتلو هدمها صلا المسلمين صلاة الجمعة وخرجوا اليها فهدموا باقيها الى الارض وكان حزناً عظياً على الطاغية وكآبة متواتره وشدة متظاهرة وكان ذلك في اوائل ايبٍ ثم ان الماء تأخر في هذه السنة حتى جاء اخر ايب وهو في سنة ادرع وتزيد سعر القمح الى ان بلغ ستين دينار المائة ارب . ثم ان النيل بي موقعاً والسعر ياشن ويعطى ولما كان في يوم الخميس السادس النسي لانها كانت سنة كيس رحبت الافرنج الى المسلمين براً وبحراً فانكسرت قدامهم وكان الفرنج تظن ان الماء الذي في خندق المسلمين حلو . فلما وصلوا الى الخندق المذكور من جانب الرمل وهو موضع بعيد من البحر ذاقوا الماء فوجدوه مالحاً فرجعوا على اثرهم من ذاتهم من غير ان يكسرهم احد فلما راهم المسلمون قد رجعوا تبعهم وطمعوا فيه فصارت عليهم كسرة عظيمة فأخذ من خيالهم زها اربع مايه فارس منهم جماعة اكتناد ومقدمون وقتل من الرجال والاطراف ما مقدره الفا نفس ووردت البطائق بذلك وطيرت الطيور وزينت القاهرة ومصر وفرح المسلمون بذلك فرحاً عظياً . ودخلت سنة ست وثلاثين وتسع مايه للشهداء وكان النيل مقصراً وغاية ما انتهى اليه خمسة عشر دراعاً ولم يثبت علياً بل نقص وتواءر نقصه وفتح خليج القاهرة المحرورة في يوم الخميس الرابع عشر من توت ونسف في يوم الخميس الذي يتلوه ومشى الناس في وسطه وفتح بحرabi المنجا يوم الاحد الذي هو عيد الصليب المقدس فنقص الماء يومئذ ذراعاً كاملاً ولم ينفع به ولا روى في بركة الحبش الا خلجان واما ارض الطباله فلم يشرب اصلاً ولم يرها من البلاد في هذه السنة الا القليل مثل الفيوم وكورة البوصيري والدنجاوي والبسمور وما جرى مجرها من بلاد الغربيه وحمل اكثراً الاسرى الذين اخذوا في هذه الكسرة الى القاهرة المحرورة وشققت المدينة بهم . وابقى منهم المقدمون بالعسكر ليتحدون في الصلح فশوا فيه حتى

كاد يتقرر على ان ياخذوا القدس بعد ان يعمر لهم وجميع ما كان في ايديهم مما فتحه الملك الناصر وبقى الامر متراجعاً بينهم وارتفع سعر الغلة حتى بيع القمح بدينارين ونصف الارب وكان لا يقدر عليه الا بالغاية ثم وردت الاخبار بأن التجددات قد وصلت الى الافرنج وان الصلح قد انتقض وجاء امر السلطان باخراج كل من بالقاهرة ومصر للغزاه وضربت الاجراس بذلك وخرج اكثر الناس على وجوههم واغلق البلدان ورجع سعر القمح انخل لاجل اشتغال الناس بتفوسيهم حتى بلغ دينار واحد ونصف كل ارب ودينار وربع ولم يجد من يشتريه وكانت شدة عظيمة وضيقه شديدة الا ان الذمه لم يكونوا تعرضوا لهم في الاول فلما كان بعد ذلك امسك والي القاهرة النصارى وعلقهم على ابواب دورهم وادارهم في الطواحين وقال لهم اريد منكم امثال وانخذ منهم ما يطيقون وما لا يطيقون حتى انهم يذكرون الحاكه وخدم من النصارى بالقاهرة قاموا بالف وتلبيه ديناراً واشتد الامر على الناس فاما والي مصر فلما رأى ما فعله والي القاهرة احضر قسا النصارى وقال لهم انتم قد سمعتم ما عمله والي القاهرة وانا اشير عليكم ان تجتمعوا مع بعضكم بعض وتجتمعوا بينكم الف دينار وتحضروا والا انا استخرجها وما اخذها الا خمسة الف فشكوا اليه وتصروا فقرها ثمان مائة دينار وخرجوا قعدوا في الكنائس وشرعوا في الاستخراج وكانت ايام صعبه على العالم اجمع ومن جملة ما جرى فيها ان السلطان كان في اثناء ما ذكرناه قد زحف الى الافرنج ونزل على كتف خندقهم من بر الغرب ونزل الملك الفاييز على كتف خندقهم من بر الشرق وضايقوهم من البرين وسير السلطان الى المدينتين يطلب الحرار الفرغ وكل اوانى الفخار الفارغة يملأها رملاء ويردم بها الخندق ونودى في مصر بذلك واجتمع على ساحل البحر من الحرار والقدور الاف لا تحسى وأحضر معظمها الى المعسكر فرجعوا تحدثوا في الصلح فاذعن اليه الافرنج بعض الاذعان حتى رجع الملك عن خندقهما من البرين ثم عادوا هم وسعوا الخندق وقووا الابراج فامتنعوا من الصلح فاغتاظ الملك وسير اخاه الملك الفاييز الى الشرق يطلب التجددات وألبسه الحداد وسفره على التخت وانقسم عسكر الافرنج قسمين قسم يزحف الى دمياط بالنوبه ليلاً ونهاراً وقسم يحفظ جهة الخندق مقابل عسكر المسلمين ولم يزل الحال على ذلك ياخذ ويعطى

والاخبار تتواءر بان الثغر قد ضعف ومات اكثرا من فيه فرتب السلطان سبع مائة راجل مقاتله وانفق فيهم وقرر معهم ان يهجموا هجمة واحدة ليلاً ويدخلوا حميده الى الثغر ففعلوا ذلك فقتل اكثرا منهم واقليل منهم سلموا وعبروا فا كان بعد عبورهم الا بليلة او ليلتين حتى فتح الافرنج ثغر دمياط في ليلة يسفر صباحها عن نهار يوم الثلاثاء من هتور سنة ست وثلاثين وتسع مائة المقدم ذكرها الموفق للخامس والعشرين من شعبان سنة ست عشره وسيماية وكانت ليلة عظيمة ويوماً مشهوداً ولم يشعر المسلمون بذلك حتى رأوا اعلام الافرنج والصلبان على الابراج والمرقب فعند ذلك علموا ان الثغر قد اخذ فرحل ملوك المسلمين لوقتهم وتركوا التجار والعوام في المزبله فصار الانسان منهم ما همه الا ان ينجوا بنفسه وتركوا كل اموالهم وبضائعهم فضاع في هذه النوبة ايضاً من الاموال ما لا يحصى وبقاء السلطان فرزل مقابل طلخا على راس بحر اشمون من القبلة واما الملك المعظم صاحب الشام فتوجه الى بلاده ونزل على غزة واختلف القول في فتح الثغر فقوم قالوا ما فتح الا مخامره من اهله لما وقعوا فيه من الشدة وقاموا ما فتح الا بالسيف عنوه وقيل انهم وجدوا فيه من الاموال الذهب والفضه قناتير مقتنيه فاما الاسلحه والزركشي من الملوك والامرا والاجناد كان قد جعل كلما يعز عليه فيها اعني دمياط لأنها كانت حصينة جداً وما ظن احد انها توخذ وقيل انهم وجدوا بها ستة الف رجل وقيل احد عشر الفاً الا انهم اسرموا كل من وجدوه بها ما خلا النصارى . واما المسلمون فكانوا يقولون انه لم يبق بها سوى سيماية نفس ولم يصح ذلك وذكر المحققون ان باب الثغر اغلق على ستة واربعين الف رجل خارجاً عن النساء والصغر واستوطن الافرنج الثغر واستقرت قاعدهم فيه فلما كان بعد رواح الملك المعظم سير السلطان استدعي الصاحب صفي الدين عبد الله بن على الذى كان وزير أبيه وقلده تدبير مملكته فنفذ هذا بالحوطة على جماعة من الكتاب المسلمين ونصارى ويهد وبوسط عليهم العقوبات وطالهم بالاموال وامثلات الحبس منهم ومنهم من خرج عن مذهبهم من الشدة والعقوبة ومنهم من عطبت بعض اعضائه وكانت ايام صعبه جداً وفي اثناء ذلك صنعوا ريع الناس واملاكم بالقاهرة ومصر واستادوا اجرتها الشهرين وكانت ايام

شديدة على الناس ولا يخرجون من شئ حتى يدخلون فا هو اشد منه وبطروا ادور الوكلالات جميعاً وكل الفنادق التي نباع فيها البضائع مثل الكتان وغيره ورسم ان لا نباع شئ الا بدار وكالة السلطان التي بدار الملك وان تكون السمسرة للسلطان ونظروا في اوراق الناس وفيما بايد لهم وضيق الوقت على العالم ولو مكنوا من الخروج لم يبق في البلاد احد واما الافرنج فكانت ترد اخبارهم من العدل والرافة وحسن المعاملة ما لا يوصف وبلغت الدراهم السودا عندهم مائة درهم بدينار لكثرة ما وجدوه منها بالثغر وكونهم لا يتعاملون بها ولما كان في نهار يوم الثلاثاء السادس عشر من امشير في الجمعة الثانية من الصوم المقدس حدثت امطار عظيمه واستمرت ليلة الاربعاء ويوم الاربعاء ونصف ليلة الخميس وفي النصف الثاني خرجت ربيع عظيمة ولم يزل اني الظهر من يوم الخميس وهدمت مواضع كثيرة وكثيرون ماتوا تحت الردم وكانت حادثة عجيبة لم يشاهد مثلها ثم بعد ذلك خرج الامريكيه الدياريه التي كان البطرك يستادها من الكراسي والكنائس وندب في كل عمل واحد لذلك وكتب الى والي مصر والقاهرة بجيشه ما يخصها فاحضر والي مصر قسا الكنائس وقال لهم اعطونا ما كان يأخذنا البطرك منكم فقالوا ما جرت عادة القاهرة ومصر ان يوخذ منها شيء قال فاكتبوا لنا حججاً يانكم ما قسم قط للبطرك بشيء فابتدر واحد منهم وقال يا مولاي نحضر تعليق البطرك ومن يضمن باسمه شيئاً قام به قال وابن تعليق البطرك قالوا هو عند بن صدقه يعنون المقدم ذكره فاحضره وقال اريد تعليق البطرك فاحضره لوقته وكان تعليقاً قديماً وفيه اشيا عتيقة قبل الغلا واشياً ما كان البطرك يستادها بل كان ذكرها في التعليق حفظاً لمبلغها فنقلوه كهيئة وسيروا نسخه الى السلطان فخرج امره الى الولاه باستيدا ما تضمنه فصار كل منهم يقصد الاستظهار والتبرير على الاخر فيستخرج المبلغ مضاعفاً وكانت هذه الايام كلها ما روى في العمر اصعب منها وندب لاستخراج مال الدياريه والتصنيع وسدس ثمن تمرة البساتين بالوجه القبلي لانهم كانوا اوجباً ذلك في جميع ديار مصر ونقط التخل ايضاً عن كل نخله خمسة دراهم خارجاً عن الخراج الجارى به العادة وكان امير يقال له المكرم بن المنطقى وكان رجلاً مغرياً وابغض ما اليه النصارى فوصل الى مصر وامسك بها جماعة من هو منهم

بحال من النصارى واليهود وعلق عليهم العقوبة والهوان الى ان اخذ خطوطهم بما مبلغه احد عشر الف دينار كل منهم على قدر ما قطع عليه وسيرها على كتابه الى السلطان فاكبر ذلك وانكره ورسم بان تعاد الخطوط على اربابها وكانت هذه نادره لم يجر مثلها في هذه الايام فاعيدت الخطوط وتوجه بن اللطفى الى الصعيد بجایة التصريح والدياري وسدس ثمن المثار ونقط النخل عن كل نخله قايمة خمسة دراهم وكان ذلك في جميع الديار المصرية واستمر الحال على ذلك وزادت الشدة على الناس حتى ان جماعة شنعوا انفسهم وجماعة خرجوا من اليمان ولم يفدهم ذلك .

ثم لما كان في جمعة الفصح المقدس وكان ذلك اخر برميات ورد على الارض من الجراد شيء لم يرقط في الديار المصرية متله حتى انه ملا القضاء وسر السماء ورعى كل خضرا وحاف الناس من ذلك وعلموا أنها ضربة من الله لتواءر الظلم واعلى كل شيء حتى كاد يعدم وفي ليلة الاثنين الذي هو صبيحة حد الحدود المواقف للحادي عشر من برموده جاء ريح سوداء ظن الناس أنها القيامة قد قاتت وظنوا انه لا يبقى على الارض جدار قائم ووقع من النخل شيء كثير وظهرت نيران في الجو وكانت ليلة عظيمة لم يتم احد فيها ولما اصروا سكن ذلك الهيج والاضطراب ووجدوا بعض الموضع وقعت وبعضاها سالمه وبقي الطلب والمصادر على حالها والاساقفة في التوكيل والضرب ونصارى البلاد كذلك ودخلت سنة سبع وثلاثين وتسع مایه وانهى النيل في هذه السنة المباركة الى اصبعين من سبعة عشر ذراعا وهي سنة سبع وثلاثين وتسع مایه المواقفه لسنة سبع عشره وسمى له للهجرة الاسلاميه وبقيت الاسعار على حالها تأخذ وتعطى القمح العال الغايه بمایه وخمسين دينار المایه اردب والشعير والقول بمایه دينار المایه اردب واما الحمص فكان قليلا بدینارين اردب وروى في البلاد اكثير مما روى في العام الماضي وكانت التقاوى قد نفذت لاجل حاجة الناس وخوفهم فامر بان يوخذ غلال التجار ويقوى بها البلاد ويكتب على الانجاد ونوابهم حجج بالثمن الى زمن الميسور ففعلوا ذلك في القاهرة ومصر وجميع الديار المصرية حتى صاروا يدخلون الى بيت الواحد يجدون فيه قمحا ولو وبيه فيأخذونه ويركونه بلا شيء ولما زرعوا ارسل الله في اواخر

بابه وهتور جرada لم ير قط في الديار المصريه مثله من كثرته وعظمته وكان احمر وقد كان الذى جا في السنة الخارجه اصفر فرعى اكثرا ما زرع وطلع وخصوصا الموضع الذى حول المدينتين والفيوم ثم ان السعر تحرك في طوبه فبلغ القمح مایه درهم الاردب والشعير والقول ستين درهم الاردب وقتل الغله من ايدي الناس وكثير الفحص وزداد الفقرا من الناس والمساكين والسايلون على الابواب واما امر العدو في طول هذه المدة فكان على حال واحد تارة يخرج اسطول المسلمين في البحر فتصادف لهم مراكب زاد ونجده فيأخذها وتارة يخرجون هم الى بعض الثغور والاطراف المصرية او الشامية فينبتون ويأسرون ويرجعون واستندت البالية من الغلا والخوف والظلم وبلغ الزيت الطيب ثلاثة دراهم الرطل والكنيسة بلا من يسوقها ولا من يدبرها ثم تزيد السعر ايضا الى ان بلغ القمح ثلاثة دنانير الاردب ولم ينزل كذلك الى عيد الفصح فانخل واستبشر الناس ولم ينزل ينحط الى ان بلغ دينار واحد الاردب القمح والشعير والقول بنصف دينار الاردب ووردت الاخبار بخروج ملك من الشرق يقال له ملك الصين ومعه خلق من الاتراك القطا والقفوج وانه كسر خوارزم شاه ملك الفرس وفتح خوارزم وبخارا والماراغه ومدنآ كثيرة من بلاد العجم وسي اهلها ووصل الى الكرج فكسرهم وجاء الى ارض اربيل وخافت البلاد منه لانه ذكر ان معه آلافا جملة من الاجناد والخلافات مایه الف او يزيدون ووصل الملك الاشرف بن الملك العادل صاحب خلط وريا فارقين وحران وسنجار وما مع ذلك الى ارض الموصل وقصد العدو المذكور هو صاحب اربيل فوجدوه قد وصل الى شهرور فلم يلتهم بل رجع على اثره من غير قتال ولا كسره فرجع الملك الاشرف الى حران وسار اليه اخوه الملك المعظم صاحب الشام واجتمعا هناك وجمع العسكر وجيشا الجيوش وقصد مصر لنصرة اخيهما الملك الكامل على عدوه الذين هم الافرنج ملاك دمياط وكانت الافرنج قد وصلت اليهم ايضا نجده من داخل البحر فجمعوا وحشدوا وخرجوا من دمياط برأ وبحراً متمهلين متقلبين من منزلة الى منزلة الى ان وصلوا قبلة منزلة المسلمين على رأس بحر اشوم من الشمال وبقي البحر فاصلا بينهم وازعجت البلاد لخروجهم وسير السلطان بسفر المسلمين للخروج للقائهم فجمعهم الولاه وقرروا على كل سوق جماعة من الرجال ينفقون فيهم

ويخرونهم وجبوا أكثر ذلك وسيراً على ذلك سير السلطان الامير حسام الدين يونس والى الاسكندرية كان الى القاهرة ومصر لاخرج من بهما قاطبة وسير الى كل عمل اميراً يفعل فيه كذلك وخرج عامة الناس واكثرهم حتى لم يبق الا شيخ فان او صبي لم يبلغ الحلم واغلق المدينتان في نهار يوم احد الثامن عشر من جمادى الآخرة سنة ثمانى عشرة وستمائة الموافق للخامس عشر من مسرى واصبحت يوم الاثنين باقية مغلقة حتى لم يوجد شئ يوكل ولا تعامل الناس في هذين اليومين الا الاجراس تضرب في البلدين معاشر المسلمين كافة من بات في هذه الليلة في المدينة شق والولاه ركاب يهجمون على الناس بيوتهم ويخرونهم منها ومن وجدهم لم يسافر غرز واحرق به حتى لم يبق الا النساء وكانت اياماً ما شوهد مثلها من الخوف والضيق والهجاج على الناس قاطبة وكانت ايام النيل الا انه لم يعني به احد ولا يطلع اليه ثم وصل الملك العظيم سلطان الشام والملك الاشرف سلطان الشرق ومن معهما من الملوك مثل صاحب حمص وصاحب حماه والعساكر والجيوش وعدوا من اشوم وقاطعوا على الافرنج وصاروا بين دمياط براً وخرج اسطول المسلمين من فم بحر المحله البحري وقطع بين مراكب الافرنج وبين الشغر فصاروا لا يصل اليهم ميره لا براً ولا بحراً ولا يجهيز خبر عن دمياط ولا يحييها عنهم خبراً واستمرروا على ذلك اياماً و المسلمين كلما مروا في قوه وهم كلما مروا في ضعف وفرغت ازوادهم واعيادهم الملاك فاجتمعوا امرهم في ليلة صبيحتها الجمعة رابع النسي على ان يوقدو النيران ويرتكوا بعض الاحيام الى لا حاجة لهم بها ويرحلوا ويصدموا العسکر الذي بينهم وبين دمياط فانه لا تقوى بهم ويلاقوا بالشغر ويخفظوا الجدار فانهم اذا حفظوه لم ينفعوا فوشى بهم الى السلطان في ليتهم فركب وركبت العساكر وكان زمان النيل وهم اغاروا بالبلاد فامر السلطان بفتح الترع الذي في طرقهم وكسر الجسور ويخربها من كل جانب وهم يتحاملون الى ان وصلوا البرمون فرأوا انفسهم في وسط الطوفان لا مسلك لهم فاجتمعوا في موضع واحد واشتتد القتال بقية الجمعة ويوم الجمعة وليلة السبت الى ان تضحي نهار السبت والرسل تتردد والسلطان يضرب الرای مع الجماعة ويعرفهم ان هذه الجماعة من الافرنج هالكة

الا انها لا تهلك حتى تهلك مثلها من المسلمين ثم لا يسلم دمياط ابداً لانه كان بها تسعون الف مقاتل خارجاً عن خرج وقد عملوا عليها سبعة خنادق ويضعف الناس عن نظرها فضلاً عن النزول عليها لأنهم لا يفرون هذه الشريدة حتى تفني اضعافها فاجتمع عليهم على الصلح وتعددت الرسل بينهم وتقرر الصلح على ان يسلموا دمياط وترد كل فتنة ما عندها من اسرى الاخري من قديم الزمان والى الان وتقرر الصلح ثمان سنين ونزل الملك والملكان والمقدمين عند السلطان الى ان تسلموا دمياط وأخذوا الفرنج عندهم رهائن عليهم خشية من ان يغدروا بهم الملك الصالح ابن السلطان وقطب الدين اخاه وشمس الدين بن اخنه وجماعة من اكابر الامراء فتركوه في مركب برا البحر المالح واحسن السلطان الى الملك والذين معه احساناً ما روى مثله وقام لهم بكلما يحتاجونه واكرهم كرامة عظيمة وامر بأن يحمل الى معسركهم من الخبز والرمان والبطيخ ما لا يحصى وامر الناس ان يعبروا الى وطاقهم ويبايعوهم ويشاروهم فصار نخيهم كانه سوق من اسوق المسلمين وباعوا واشروا وفرح السلطان والمسلمون فرحاً عظياً لأنهم كانوا متربعين انهم مغلوبون وان البلاد قد خرجت من ايديهم وقد كانوا اعطوا القدس والاساحل وقطيعة اخرى فداء لدمياط فا فعل الافرنج واعطوها هكذا فكان موضع السرور والغبطه لهم ودخلت سنة ثمان وثلاثين وتسع مائة وفي اثنا هذا وصلت خمسة واربعين شيئاً من عسک الانبرior الذى كان جانباً في التجده الى دمياط فلما سمعوا ما جرى من المدنه وان الملوك رهائن رجعوا واحد السلطان يجهز الافرنج للرهاح قفهم من راح في البحر فاعطائهم الازواد والاقامات وجهز معهم اخاه صاحب قلعة جعبر حتى سيرهم ومنهم من مد لهم الجسور الى بر الغرب حتى عبروا سايرين الى دمياط لان بر الشرق ما كان يحلقهم والمرمه العظيم الذى لهم ومراكمهم حولها محاذيه لهم في البحر وما زالوا اياماً حتى وصلوا وسافر اكثراً منهم وخرج من بني بدماط الى اجرتها وسلمت دمياط في العشرين من توت ومار السلطان اليها هو والعساكر وبيها الى ان سافر بقية الافرنج وودع الملوك الافرنجيه من البحر وعاد الى اشوم وبيها الى ان ودع اخوه وعساكر الشام والشرق وعاد الى القاهرة فعبر اليها في نهار يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان

سنة ثمان عشرة وستمائة وكان عبوره يوماً ما شهد وزينت المدينتان زينة ما روى
مثلاها وفرح الناس وأمنوا وبلغ النيل في هذه السنة إلى
وصارت بين السلطان وبين ملك عكا صدقة عظيمة أكيده والهدايا تحمل من
هذا إلى هذا وتزاحمت الظنوں فقوماً قالوا انه كان محامراً وأنه الذى فعل
بالفرنج هذه الفعلة وقوم قالوا ما كان عن رضاه وإنما اللكات الذى اشار
بالخروج وما امكنه ان يخالفه ليلاً ينسبة الى المحامره ولقد قال له ينبغي ان
لا نخرج من بلدنا هذا يعني دمياط حتى يأتي تحدثنا الامبرور ويتحقق اذا بقينا
ورا خنادقنا الف سنة ما نلتفت لاحد ولو جاء عدد الرمل وهذه العساكر التى
تسمع بها فما يتبتو عندها لأن ما فيهم الا وراه شغل وله عدو فغاياتهم ان يتزلوا
 علينا شهراً اثنين ثلاثة فلا ينالون منا طايلاً فيرجع كل واحد الى موضعه
 فتفوي نحن وتفوي عزائمنا ويقل عدونا وتضعف نفسه واذا ملكتنا مصر في
عشرين سنة تكون قد استعجلنا فما قبل منه بل قال انت محامر قال انا اخرج
 معك وارادة الرب تكون فخرجاً حتى جا وشار مساح فقال له ينبغي ان نقيم
 ها هنا هذه السنة ونحضر علينا خندقاً ونزرع من هنا الى دمياط ومرأكينا تجينا
 والطير ما يقدر يطير بيتنا وبين دمياط فإذا انقض هذا الجمع وجات نجدتنا
 كانت مصر قد امنا في يومين بلا مانع فقال انت محامر ما اخذ مصر الا في هذه
 الايام فصاروا حتى بلغوا مقابل فم بحر محله الذى قدام البرمون الذى خرجت
 منه مراكب المسلمين فقال له هذا البحر ما علينا اضر منه اعطي هذه المركب
 الكبير الذى معك نحطه في فم هذا البحر ونجعل معه عشر شوانى تمنع الهواء
 يعبر من هنا ونأمن شره فقال وحق ديني ما احبط هذه الصليان الى على رأس
 هذا الصارى الا على سور القاهرة قال له سرسوف نرى ما يجرى وانه لوم يكن
 فعل ذلك كانت الانفرنج قد اهلكته ثم خرج السلطان الى ايبار اقام بها مدة الصيف
 ثم انحدر الى دمياط وامر بان يعمل جسراً على بر البحيرة من بوره الى البحر الملاج يمنع
 ماء البحر ان يفيض على البحيره ووظف على الاما والاجناد كل صاحب الف دينار
 حراقين ففعلوا ذلك وفرغ الجسر ثم شرع في عمارة بر الجيزه قلعة حوالى النيل وجعل

فيها احد عشر برجاً وطرح الابراج على الاما على قدر قوتهم ففهم من طرح
 عليه برجاً بمفرده و منهم اثنان في برج واخرون ثلاثة وأربعة في برج ودخلت
 سنة تسعة وثلاثين وتسع مایه للشهداء الاطهار وانتهى النيل في هذه السنة
 الى سبعة اصابع من ثمانية عشر ذراعاً ورخصت الاسعار وطابت الديار وفي
 هذه السنة وصل الملك الاشرف سلطان الشرق الى ديار مصر على سبيل الفرجه
 وانخدمة لأخيه السلطان الملك الكامل وتلقوه بالصياغات والاقامات من الرمل
 وعبر الى القاهرة في يوم الخميس العاشر من طوبه من هذه السنة وقد زينت
 زينة ما روى مثلاها وكان هذا اليوم من أيامها العظيمة المشهوده وتردد الملك
 الاشرف في الديار المصرية من القاهرة الى الخرقانيه الى الشوم الى ايبار الى جزيره
 مصر وكان نزوله بالجزيره في ايام النيل المبارك وكانت النيران توقد في كل ليلة
 بحمله من الشمع والزيت وكان اهتماماً ما شوهد مثله فأماماً ليلة حلوق المقاييس
 فزادوا على وقود الزيت وقيد اطواق خشب وجدروها في البحر ووقفوا
 العشاريه والحراريق وبفرشها في وسط البحر وكانت ايام كلها اعياد ورخصت
 الاسعار الى الغايه حتى بيع القمح بثلثين دينار المایه اردب والشعير والفول
 بعشرين دينار المایه اردب والخبز عشرة ارطال بدرهم واللحم بنصف وثمان
 درهم الرطل والفاربيع بخمسة دراهم العشره ولم يكن شيئاً غالى وكان البرسيم ايام
 زيادة النيل بخمسة وعشرين درهماً الاردب وما نقص النيل بيع البعل بيستة
 وستين درهماً الاردب والحرانى بأربعة وخمسين درهماً الاردب وهو شىء عجيب
 لان النيل ما كان بالعالى الا انها امور بيد الله تعالى وتحدد بعض الاراخنه مع
 الصاحب الوزير في اقامة البطرك فرسم بان يطلب الحبيس الذى بايبار وان يقام
 عنه بخمس مایه دينار لبيت المال وشرعوا في طلب المبلغ المذكور وتقسيمه على
 الكنائس فلم يقدر عليه ولا مشى فيه حال فوقت القضية وانقطع الحديث
 وسافر الملك الاشرف من مناظر سيف الاسلام الى على بركة الفيل في نهار
 السبت الحادى عشر من شعبان سنة عشرين وستمائة الموافق الحادى عشر من
 توت وخرج السلطان الملك الكامل لوداعه وكانت المصادرات على حاتها
 والجيوش ملائى من الكتاب واصحاب الدواوين والوزير لا يعرف الا شيئاً يحصله
 للسلطان من كل وجه ودخلت سنة اربعين وتسع مایه وبلغ النيل في هذه

السنة الى اثنا عشر اصبعاً من سبعة عشر ذراعاً وكانت الاسعار رخيصة والاشيا
كثيرة موجوده والدنيا هاديه من الفتن ولم يكن شيئاً غالياً الا الذهب والشمع
فان الصرف بلغ ثلثة واربعين درهماً بدينار والشمع ثمانية دراهم ونصف الرطل
وبقي الحال على ما هو عليه وفي اخر كيده في هذه السنة وردت الاخبار ان
الملك المسعود صاحب اليمن ابن السلطان الملك الكامل واصل الى الديار المصريه
وانه بلغ عيذاب فاخراج السلطان ابنه الملك الصالح وابن أخيه الملك مظفر
بنى الدين وابن أخيه شمس الملوك ابن الملك الاعز بن صلاح الدين ومن معهم
من الامرا والاجناد لتلقیه فلقوه قريباً من قوص ثم وصل الى القاهرة في امشير
من السنة المذکورة بتحمل عظم وهدايا كثيرة واموال جمه ومن حمله ما وصل
معه من العجایب ثلاثة افیال منهم اثنان لم يرقط اعظم منها مثل الجزاير العظام
وذكر ان عمر كل منها دون العشرين سنه وآخر صغير عمره ثمان سنین وذكر
المشيخ وارباب التواریخ انه لم يرقط الى البلاد اعظم منها وكان عبوره
يوماً مشهوداً وقد كان سیر قبل ذلك عسکر الى خدمته الى الحجاز مع ابن عمه
الملك الجواد مظفر الدين ابن مودور فخالفهم في الطريق فضى اوليك الى
الینبع وهي قلعة مبنية من بلاد الحجاز وكانت ممتدة على الملك المسعود قد اجتمع
بها جماعة وقد عصت عليه ففتحوها بالسيف وسبوا كل من بها وتركوا بها
خلفية لهم ورجعوا وبقي الملك المسعود بالقاهرة نازلا بالقصر والاحوال مستقرة
على ما هي عليه والصاحب صني الدين الامر كله في يديه والاسعار بحالها في
طول السنة وزاد رخص الاشياء وبلغ النيل في هذه السنة الى اربع اصبع من
ثمانى عشر ذراعاً ثم دخلت سنة احدى واربعين وتسع مائة والسلطان الملك
الكامل مقيد بقلعته العمورة بالقاهرة والملك المسعود مقيد ايضاً والصاحب
ابن شكر الحاكم في الامور مستقل وبيعة بغير بطرک والاسعار بحالها فلما كان
في اثناء السنة بلغ السلطان من بعض الناس عن بعض الامرا أمر يومئذ منه فاعتقل
بعضهم ونفي بعضهم واحتاط على موجودهم واقطع اخبارهم وطال بعضهم
بعال وفي الصوم المبارك تقدم المستوفيون الى الصاحب وقالوا له انك قد
اصلحت كل شيء الا امر النصارى فانهم بغير بطرک وقد استضروا وانحلت
نواميسهم فقال لهم لا بد من شيء للسلطان فقرروا معه خمس مائة دينار فكتبه

الى السلطان واستاذته فجاء جوابه بان يختاروا فاختار المستوفيون وجماعة
الرعاع راهباً يقال له بولس البوشى وكان في ذلك الزمان قد حضر من ديره
ليتداوى لانه كان بمحى الكبد ووازرهم على ذلك الصاحب واختار بعض
الناس القدس داود بن يوحنا المعروف بابن لقلق ولم يكونوا يحسرن ان يظهروا
ذلك لان القيسن المذكور مشهوراً بأنه صاحب الشيخ نش الخلافه بين المقاطع
والشيخ المذكور فهو عدو للصاحب لا يصل له الى دار بالضد من كل من في
البلاد وكل من سمع انه يسلم عليه في الطريق قد عمل في اهلاكه لا سيما من
يكون صديقه وصاحبه فكان كل من يريد القدس داود يختفي بذلك ولا يظهره خوفاً
من الصاحب وتعلن الحال لبولس البوشى وأنبرم وجات الاساقفة وكتبوا له
محضراً كتب فيه اكثراً الناس بالرضى به لاجل نفس الصاحب الى ان وقف
للسلطان قوم لا يعني بهم وقالوا يا مولانا نحن ما نرضى بهذا البوشى وعندنا
من يصلح سواه فقال ومن هو قالوا داود ابن لقلق ونشتهى من مولانا ان يحضر
الاثنين الى بين يديه ويسمع حدثيهم وعلمهما ومن رجحه فقد رضينا له
مولانا نايب الله في ارضه فقرر احضارهما وقد كان الشيخ نش الخلافه تحدث
مع السلطان في ذلك وقرر القاعدة وانتهى الحال فيما بين اصحاب الاثنين الى
ان جعلوا المبلغ الف دينار فاما اصحاب داود فكانوا يقولون انهم يقتضونها
ويبدرونها ولا يكلفون احداً شيئاً فاما اصحاب بولس فكانوا قد قرروا مع
الصاحب انهم يبحونها من النصارى بالوجهين القبلي والبحري والناس كافة
فاععتمد السلطان على احضارهما في يوم معين لانهما كانوا في حيز مصر وان يحضر
بطرك الملكية معهما فحضرت جميعاً وحضر السلطان الفقها واجلا الناس
وعبر مع داود اثنان من اصحابه واما بولس فلم يتركوا احداً يعبر معه وخرج
داود مرجحاً الا ان الحال وافق لاجل ما قاله فخر الدين عثمان للسلطان
لاجل عرض الصاحب وصار الناس فيتبن ورجعوا الى ما كانوا عليه من البغضه
والتعادي وعمل المحاضر المزوره في حق القدس داود وايصالها الى السلطان الى
ان اوقفوا خاطره في القضية وضاق الوقت وتذرخت الايام وجاء العيد
والحال على ما هي عليه وفي اخر هذه السنة توفى الصاحب الوزير ودفن بالقاهرة
في موضع قريب من داره عمره لنفسه وكان له خروج عظيم وجنائزه عظيمة

شهدها كل من حضر من المدينتين وسير السلطان اولاده واقاربه صلوا عليه ثم دخلت سنة اثنين واربعين وتسع مايه في شعبان سنة اثنين وعشرين وسبعين والتيل لم يوف ولا وصل المقرر والاسعار قد تحركت وفي ليلة الاربعاء السادس من توت كسر الخليج من قبل الوفا سراً ولم يعلم به احداً وشاط سعر الغلة وطلبتها الناس فنعت السلطان احداً ان يبيع منها شيئاً اصلاً ثم وصل المقرر في النهار المذكور فاهتدى الناس واملاوا ان الماء يزيد فتمادي الحال ونقص الماء وكانت الغلة في هذه السنة كثيرة فاستقر السعر القمح العالى الغاية على عشرين درهم الاردب والشعير ثلاثة عشر درهماً والفول عشرة دراهم والجيمع من هذه النسبة ولم يغل شيء لا حمّ ولا غيره وغاية ما انتهى اليه في هذه السنة ستة عشر اصبعاً من ستة عشر ذراعاً ولم يوف ولا خلق المقاييس في هذه السنة ولا نودى عليه ثم ان السلطان كثر تخيله من الاماوا فاعتقى جماعة اخرى ثم قبض على اولاد الصاحب وغلمانه وعاقبهم وطالهم بالاموال وكان هذا الوقت وقتاً صعباً لان السلطان طالب الناس بالباقي وامر بتحريج الاخلف والمطالبة بالاموال وهو مقيم بالقلعة المحروسة وابنه صاحب اليمن عنده بالقاهرة وجميع العساكر بعد ان خرجن في اواخر السنة الخارجى الى ظاهر القاهرة وخيموا اياماً ولبسوا كلهم العدد والتشاهير وعرضوا كل امير يطلب و كان يوماً مشهوداً لم ير مثله ثم امرهم ان لا يخرج احد منهم الى الريف ولا يزالوا بالقاهرة لا صغير منهم ولا كبير وكان الذهب في طول هذه الايام لا يقدر عليه حتى ان الصرف بلغ الى اربعة واربعين درهماً ونصف بدینار واستمر كذلك ورسم السلطان ان يفتح دار ضرب بالقلعة دار اخرى بمصر مع الدار التي بالقاهرة ففتحت الدار التي بالقلعة وضررت بها دراهم مدوره وغلا الذهب بالكلية الى ان كاد يعدم ويبيت الدرارم خمسين درهماً بدینار واقله سبعة واربعين درهماً بدینار ثم خرجت الدرارم المذكورة وامر ببيعها سبعة وثلاثين درهماً بدینار وان يكون العقد اثنين واربعين درهماً بدینار وكان الناس في هذا الزمان في ضيق عظيم وتخفيط والسلطان يطلب الاموال ويجمعها من كل وجه وآولاد الصاحب وغلمانه في العصر والعقوبة وهم يبيعون ويوردون ثم ان الماء كان قد انتهى الى ما تقدم ذكره ولم يغلق وانحط الى ثلاثة عشر ذراعاً ثم رجع زاد في اواخر باه

الى ان بلغ الى اصابع من خمسة عشر ذراعاً ثم نقص الى ان عاد الى ثلاثة عشر ذراعاً ثم عاد زاد الى ان بلغ ما كان عليه في الاول وغرق كل ما كان قد زرعه الناس وعاد عبر الخليج وعبرت فيه المراكب في النصف من هتور بعدهما كان قد جف ومشى الناس فيه وتعجب من هذا الامر كل احد وفي هذه الايام اسلم راهب من رهبان دير ابو مقار ووشى بالرهبان عند السلطان وذكر ان فيهم من يحتمى بالرهبنة عن وزن الحالى وان عندهم حقوقاً ومواريث الديوان ورسم السلطان ان يخرج معه امير من الاماوا للكشف عنهم فخرج معه امير يعرف بابن سيرгин وصار الى الدياره بوداً هبيب فلم يجعله كشفاً بل امسك الرهبان وضربهم وعلقهم وعاقبهم الى ان قطع عليهم سمية دينار واستخرج منها اربع مائة دينار واحضرها صحبته وقرر معهم ان يحصلوا المائى الاخرى حتى يعود يأخذها منهم وحمل المبلغ المذكور الى السلطان وهو اربع مائة دينار وقال له انى مضيت الى الدياره وقلت للرهبان احلفوا انه ليس للسلطان عندكم حتى فاشتروا يمينهم بسمة دينار وقد احضرت منها اربع مائة دينار والبقية انا احضرها وما انفصلت منهم الا وهم على تحصيلها وحضر من مشايخ الرهبان جماعة ووقفوا للسلطان اعز الله نصره وشكوا له قضيئهم فلما وقف على امرهم امر بان يعاد ما حمل من جهتهم عليهم فأخذوه وجعلوه في صنية واوقدوا الشمع وداروا به القاهرة كلها وكانت قضية تعجب منها كل احد وعجبية ظهرت من اباء الديارات ثم امر بان لا يتعاملوا بالدرارم العقد اصلاً بل من كان معه منها شيئاً يخصى به الى الصيرفى ويأخذ به ذهباً على حساب خمسة واربعين درهماً بدینار ويرجع يصرف الذهب بدرارم جدد على حساب سبعة وثلاثين بدینار وكان هذا بالاسم لان الذهب ما كان نقى يقدر عليه وكل من كان معه شيئاً ما كان يقربه واما هو باسم حتى تحمل معاملتهم على مقتضى دينهم لا لهم شيئاً يمثله وكان الناس يتعاملون بها ولكن في السر كل عشرة درارم عقد يحسبونها بثمانية درارم وربع جداً وكل درهم ينقصونه ثلاثة خراب و الدرارم التي تجمع عند الصيرفى تحمل الى القلعه وهي بعثها الى تصرف وتعمل هذا الدرارم المدورة بلا زيادة ولا نقصان وكانت فايدة للسلطان فيها كل الف دينار مائة

خمسة وسبعين دينار وكانت الدار تعمل في كل يوم مائة الف درهم فايدتها كل يوم بالتقريب خمس مائة دينار واستمر الحال على ذلك وتتوسوس الناس وانصرروا واستغاثوا الى الله تعالى فلم يغتمم وعدم الذهب بالكلية حتى صار الدينار يدفع فيه خمسين درهماً عتقاً فلا يقبل صاحبه بيعه ولم يوجد من يقربه وانصر الناس في هذا اضراراً ييناً لأن كل درهم كان مع الناس رجع إلى النصف والربع ونقص الربع او انشف لا محالة وضرروا بعد ذلك فلوساً وباعوها كل اربعة فلوس بربع درهم واستبشر الناس بها اكثراً من الدرام الحدد وبقي الناس على هذه الحال مذبذبين وجات رسول خوارزم شاه ملك الفرس وما علم في اي شيء جاءوا وفي الصوم المقدس من هذه السنة تحرك اصحاب القسيس داود لطلب البطركيه له واجتمعوا باتسان رومي تاجر يتردد الى البلاد من عكا وغيرها وكان اسمه مفرجاً وكان قريباً من السلطان اعز الله نصره ومن الامير فخر الدين استاذ الدار وجعلوا للسلطان خلد الله ملكه الذي دينار عن تقدمه داود فطلب منهم الفاً معجلة والالف الاخراه حتى تنجز حال القسمه فاجتمع سبعة انسن من اصحابه ومضوا الى انسان تاجر يقال له الحلى فادانوا منه الف دينار بالف ومائتين دينار الى شهرين وسلموها الى مفرج وتطاول الحال وسمع اصداد داود بهذا فتجمعوا وتحربوا وكتبوا الى السلطان بانهم غير راضين وتفاقم الامر بينهم على جاري العاده واقتبلوا بالآلي دينار وقططوه على الكناس والنصارى على ان داود لا يذكر ورفعوا الامر الى السلطان فلم يقبل بل قال لهم اتفقوا مع اصحابكم ولم يزل الحال كذلك ورقة الالف دينار مع مفرج والسلطان لا يردها ولا يأخذها لانه ينتظر اتفاقهم وفي اثنا هذا قبض على بعض المستوفين الذين كانوا يعادون داود وكان اخر ما نقر ان تكتب اربعة رقاع من جعلتهم داود ويرفع على الميكل فلن طلع اسمه قدم الا ان اصحاب داود لم يرضوا بالقرعة لانهم كانوا يقولون ما عندنا الا صاحبنا ومن هو مثله حتى نقرنه به وتقارع بينهما وكان التناحر والاحتياط والمنازعة قوياً جداً وكان زماناً صعباً على الناس وخصوصاً الكتاب ولما امسك هولاء المستوفيون اشتعل كل احد بنفسه ووقف حديث البطركيه فهم من اخذ خطه بعشرة الف دينار وهم من اخذ خطه بخمسة الف دينار واقلهم ثلاثة الف دينار وكان الوقت على الناس

كلهم صعباً شديداً وان كان الشخص الا من قبل قساوة قلب السلطان عليهم وفي هذه المدة وصل رسول امير المؤمنين ابو نصر الشافعى باامر الله القائم بعد ابيه الناصر لانه توفى في هذه السنة من بغداد ومعه خلع سنه سود مذهبة وحل منها ما هو مفصل بذهب برسم رکوب السلطان الكبير ولبس السلطان واولاده الخلع بالعام والبس اكابر الاما خلعاً دونها من كان منهم يلبس العامه اعطاء عمامه ومن كان منهم يلبس شربوش اعطاء شربوش وكل ذلك مما جا من بغداد وكان يوم ذلك يوماً مشهوداً ووصل بعد ذلك رسول ملك الروم صاحب قونيه واقصراً ورسول الكرج ورسل كثيرة من كل جهة وارجف بعد ذلك بان خوارزم شاه قد كسر عسكر الكرج وفتح نفليس وایغارا وشاعت بذلك الاخبار وبعد هذا طال على اصحاب القسيس داود المطال وطالبهم صاحب الالف دينار بها وبرجها لانهم كانوا اخنوها منه الى شهرين بالف وما يلى دينار فلما تجاوزت الشهرين اعطوه فايدة اخرى فشاوروا السلطان واستعادوا الالف دينار المذكورة واعادوها الى صاحبها مع ربحها وسكنت الدهما وانقطع القال والليل ثم جآ النيل فد مدأ طيفاً ثم نقص من السادس عشر من ابيب الى العشرين منه مقدار عشرة اصابع ثم رد النقص وزاد الزيادة المعهوده وفي هذه الايام وردت الاخبار بان الملك المعظم سلطان الشام قد خرج من دمشق طالباً الى حماه وانه قد حرك خوارزم شاه على ارض خلاط وهي ملك الملك الاشرف صاحب الشرق والسلطان صاحب مصر من قبله فامر العساكر المصرية ان يخرجوا الى ارض القدس والساحل وما يتاخم دمشق ونبهوا وحرقوا وسبوا فجهزوا لذلك والناس بعد ذلك في ضاية وشدة من القهود واحتلالها وقول السلطان لا يتعامل بالنقد العتيق وهو كثير باليدي الناس وايضاً فبلغضمهم في النقد الجديد لانهم كانوا يخسرون فيه الربع من اموالهم لانهم كانوا يحضرن الى الصيارف او الى دار الضرب خمسة واربعين درهماً عتيقاً فيعطون بها سبعة وثلاثين درهماً جديداً والقيمة العيار العيار فيكون غرامتهم فيه الربع او دونه والنداء مستمر بأنه من تعامل بها احل ماله ودمه ومن وجدت معه احرق به ونكل والذهب قليل جداً ورسم السلطان ان يكون صرف الدينار بالجديد اربعين درهماً بدینار واداً جا الانسان الى الصيرفي يطلب منه دیناراً بدرام

ولا يأخذ منه الا ثلثه واربعين درهما ونصف جديده والا انكره ان ما عنده ذهبها اصلا وكان الناس من هذا الوجه في شدة شديدة الا ان الاسعار كانت رخيصة والاشياء موجوده وسببيه استيلا الفقر والضعف على الناس واستوديت الجزيه في هذه السنة من الذمه دينارين كل راس صرف ثمانيه واربعين درهما عتق بدینار تقع مایة درهم الجزيه في القاهرة ومصر فاما البلاد البرانيه فتفع الجزيه مایة وعشرين درهما وتدب من المقام السلطاني قوم يقال لهم الصقعون والكشف خرجوا الى الاعمال القبلية والبحرية واحدثوا على الناس حوادث منها انهم طلبوا منهم حق الجبانات والمقابر وثمن الطوب والحجارة التي بنوا بها بيوتهم وادعوا ملكية الدور وطالبوهم بالاثبات وقالوا البلاد كلها ملك السلطان وانتم من اين ملككم هذه اثبتوا بالشرع والا الكل ملك السلطان وقوموا بالاجرة منذ سكتم والى الان واعادوا عليهم المساحات في الراتب وغيره وزيدوها عليهم وكثير الرفاعون وانفتحت لهم الابواب وحصل من هذه الجهة جملة كبيرة افقرت الناس جميعهم وكان بمصر رجل يقال له عبد القادر وكان قد ضيئن مكوس الذمه بالقاهرة ومصر وكان عليهم منه ضر عظيم وكان يظلمهم ظلماً فاحشاً ويقطع مصانفاتهم ويأخذ جواربهم وماليكهم باليد ويودعهم الحجز ويقول هولاء مسلمون وانتم سمحتم فيهم وغلبتم عليهم فاما نبالغهم واما يقطع مصانعهم عليهم وكان ارباب الدوله يساعدونه على ذلك لعلمهم بنفس الاصيل وفي هذه السنة فتح خليج الامر الذى من قنطرة المقس وخرق الى خليج القاهرة المعروف بالحاكمي وعمل على فه سداً مضافا الى السد الحارى به العاده وفي هذه السنة التي البحران في شهر الجموع السابع من مسرى المواقف للرابع من شعبان سنة ثلاثة وعشرين وسبعين وسبعينا و كان السعر رخيصاً والاشياء موجودة الا ان الرزق مقتليل ثم ان السلطان اعز الله نصره عزم على التوجه الى الشام خلف وقع بينه وبين أخيه صاحب دمشق ورسم للامراء والاجناد بتجهيز اشغالهم وقويت الحركة في ذلك وتجهز الناس بما يقدرون عليه وخرجوا الى البركه وفي يوم الاربعاء السادس والعشرين من مسرى المواقف للثالث والعشرين من شعبان سنة ثلاثة وعشرين وسبعين وسبعينا وصل المفرد من الصعيد وانخبر بأن

الليل وفي به في وكان النيل اذ ذاك في مصر على اصبع من ستة عشر واصبح في السابعة والعشرين من مسرى زاد ثلاثة اصابع وفي الثامن والعشرين ثلاثة اصابع وفي التاسع والعشرين اصبع واحد فصار على ثمان اصابع من ستة عشر ذراعاً ثم وقف اخر مسرى واول النسي وربما اضطرب وفي هذا النهار ورد الخبر بموت الامام الظاهر ابى نصر محمد الخليفة الجديد وما له اكثرا من ستة اشهر وعملت خيمته ببركة الحب في اليوم المذكور وهو يوم الاثنين اول النسي والسلطان راحل يريده الشام والاسعار رخيصة والاشياء موجوده الا ان الناس ضعاف الى الغاية والدولة فيها عنف ثم دخلت سنة ثلاثة واربعين وتسع مایه للشهداء والماء متوقف ثم زاد وفتح سد بحراى المنجا الاول في يوم الثلاثاء رابع توت وخلق المقاييس في يوم الاربعاء الخامس وفتح الخليج البحارى به العادة في يوم الخميس السادس فاما الخليج المستجد من المقس من الخليج المعروف بخليج الامر فانه فتح من مده ثم رد عليه الخليج الحاكمى فعمل له سد عند باب القنطره من جانب الميدان الذى هناك وتتابعت زيادة النيل الى الرابع عشر من بابه وبلغ اثناء عشر اصبعاً من ثمانية عشر ذراعاً وكان من عجائب الدنيا لانه ما روى بل توقف توقفه وجأ مجده ثم انه نزل نزواً مهتدياً من اصبعين ومن ثلاثة ورخصت جميع الاشياء واتفق الملك العظيم صاحب الشام مع الملك الادشرف صاحب الشرق اخوه السلطان الملك الكامل اعز الله نصره وزال الشنان الذى يبيهم وعاد مولانا الملك الكامل بعسكره من العباسه الى القاهرة المحروسة واستقر الحال بملكه الشريف وبسط العدل على الرعيعه وبذل لهم الاحسان وكانت ايام رحمة وخيرات كثيرة ثم وردت الاخبار بخلافة الامام المستنصر ابى جعفر المنصور ودعى له وضررت السكة باسمه وهو ولد الامام الظاهر ابى نصر محمد المتوفى وفي هذه ايام تجهيز المولى الملك المسعود صاحب اليمن للرواح الى بلاده وسير اكبر قمائه في البحر وكان هو ايضاً عازماً على الرواح في البحر ثم رجع رايته عن ذلك فاخرج خيمته الى البركه وقوى عزمه على السفر في البر ثم ان

السلطان اعز الله نصره صار يتعهد التزول الى مناظر البركه المعروفة بمناظر سيف الاسلام ويأمر السكان بها بوقودها في الليالي التي تنزلها ورمي في البركه السماريه والحراريق وصار يركب فيها كل ليلة ويدور تحت دورها ويعطى الناس ويهبهم الدنانير والدرام والمطعم والمشروب والفاكهه وغيرها ويقرب من الناس وعادتهم وكانوا الناس يتغذون فيها بعلمونه من الوفيد وغيره وكانت هذه الايام ايام نزه وله وطيبة ورخا وامن والسلطان خلد الله ملكه يتردد من البركه الى الجزيره ومن الجزيره الى البركه وكانت ليالي البركه عجيبة مبدعة الى الغاية وجد الملك المسعود على المسير الى اليمن ورد بقله واحد له من جميع الصناع من يسافر معه الى بلاده وتجهز في البر والبحر وسفر الى اليمن على مكة في البر ثم ان الزراعات نجحت والخيرات كثرت والاسعار رخصت والامور ساكنة والدببة بظل السلطان آمنة وسير الملك المسعود في هذه السنة رجال من اهل الهند صورته صورة الادميين وعلى وجهه وجسمه جميعه شعر وصوف يشبه صوف الدب حتى ان لحيته لا تتميز من شعر وجهه ومعه ترجمان يكلمه بالهندى وذكر انه من اهل بيت كلهم هكذا الرجال منهم والنسوان وازله السلطان واكرمه ورتب له راتب يقوم به وزيادة وجاء الصيام المبارك فلم يجر حدث في امر البطركية ولا غيرها وانفق فيها اتفاق ردى وهو ان واحدا من الكتاب يعرف بالاسعد بن الكردوس كان يخدم كتابا بيت المال المعمور فاحضر من ثغر الاسكتندرية متعال على جاري العادة وكان قد امسى عليه المساء عن ان يفسروه فتركوه في الصناديق العرانية واصبحوا قابلا بالرسالة على المتعاق فوجدوه قد عدلت منه سوسيه فقالوا من كان في بيت المال البارحة عند وضع القماش فيه فذكرروا جماعة منهم هذا الاسعد الكاتب فكتب بن رمضان صاحب الديوان الى السلطان بصورة ما جرى فامر السلطان بمسك جميعهم وايقاع الحوطه بينهم فأمسك جميعهم واحتيط على نسائهم وكان المقصود منهم الاسعد المذكور فأمسك ولده وعوقب فأقر على ابيه انه اخذها ثم ظهرت السوسيه بعد ذلك من عند شخص عدل في بيت المال ذكر ان امراة رمتها لاجل بتسيه ومعها رقعة وتركهم وهربت وانهم اطلعوا على انها من بيت الاسعد بن الكردوس وان الرقعة من عندهم وفيها استروا ما سر الله وارحموا

ترجموا وشي من هذا فاحضرها من ساعته الى السلطان **[ما]** تقدم من اقرار ولده عليه فامر السلطان ان تقطع يده اليمنى وشفع فيه كل امير في الدولة فا قبل فقطعت يده يوم الاحد وتوفي في يوم الاحد الآخر وكان صابراً محتسباً شاكراً لله تعالى ولم يقر فقط بشئ وجري على الطايفة شدة وامتنان اياماً عده وخصوصا الكتاب ثم ادرك الغلات ورخصت الاسعار حتى بيع القمح في بلاد الصعيد باربعه دراهم ونصف الاردب والشعير بثلاثة دراهم الاردب وكذلك الحلبان والترمس اما السلجم وبذر الكتان فانهما بيعا بثمانية دراهم الاردب وهو شيء ما سمع بمثله والزيت الحار بثلاثين درهم الفلة والبطيخ بدرهم القنطار والعنب بسبعين دراهم القنطار وكل الماكولات من هذه النسبة وكانت خيرات ما روى منها من سينين عديدة الا ان الارزاق كانت قليلة والمكاسب كانت ضعيفة والناس يشكرون من وقوف احوالهم حتى ان جماعة من البذارين تركوا دكاكينهم وقاموا من المسواع لاجل البوار وتحط صرف الذهب الى ان بلغ احد واربعين درهما ونصف بدينار وجاء اوان النيل المبارك فتوقف اولاً ثم اندفع ثم وقف ايام في مصرى ونقص اصبعا او اصبعين ثم ردها وزاد ثم دخلت سنة اربعين واربعين وتسع مائة والماء لم يوقف ثم استمرت زيادته ووفى في يوم الخميس الرابع من توت وزاد الى ان بلغ عشر اصابع من سبع عشر ذراعاً في الثامن عشر من توت ونقص من التاسع عشر منه نقصا فاحشا وخرجت الاراضي وتحركت الاسعار شيئاً يسيراً ثم انحطت الى حدتها ورسم السلطان للامرا والاجناد بان يخرجوا الى ظاهر القاهرة **[ف]** ويلبسوا ويطلبوا حتى يخرج يعرضهم على الجبل في الجبل ففعلوا ذلك وخرجوا كلهم مع من اجتمع معهم من العربان والاصحاب والرحالة وكان جمعاً عظياً ويوماً مشهوداً وترزينا اطلاقاً ميمنة وميسرة وقلباً من باب القاهرة الى بركة الحب وغير السلطان عليهم راكيماً يمر يطلب طلب ينمر جميعهم وعددهم وتركهم ويحوز من واحد الى اخر في يوم الثالثاء الرابع عشر من شوال سنة اربع وعشرين وستمائة وامرهم ان يعودوا من الجبل وبيت كل امير وجماعته في منزلته بغير خيام ويصبحون يعبرون عليه فا يبقى لكل امير في وطاقه الا خيمة واحدة برسمه لا غير وباتوا واصبحوا عدوا على الخيمة التي ضربها السلطان على تل قريب من باب النصر وباديرها

شبايك خشب وقد سمرت سقفها وهو جالس داخل الشبايك مع خواصه والمعممين من اهل دولته وصار الاماير يعبرون عليه كل امير على ترتيب ما وضع لهم بأوراق بأن فلان بعد فلان وفلان بعد فلان ولا يقدر احد ان يتعدى ذلك وكان اول من عبر المونى الملك الصالح ولد السلطان لانه كان راس الميمنة وما زال الاماير يعبرون في يوم الاربعاء الخامس عشر من شوال المقدم ذكره من صلاة الصبح الى مونذ العشا طلب بعد طلب بحيث لا ينقطع العبور لحظة واحدة الا اواخر هذا الطلب اوائل الذى يده الجناب والمحجن والعدد والزرد والنشاهير والاوكواس والبوقات حتى ارهجت الارض وكان عسكراً ما روى مثله ثم عبر السلطان مساء بعد عبورهم جميعاً ثم رسم لهم بأن يشيوا ويركبوا في نهار يوم الاحد التاسع عشر من شوال الذى يلي الاربعاء المقدم ذكره لاجل ظهور المولى الملك العادل ولده الاصغر فلبسو وركبوا وليس كالومين الاولين الا مختصرین من ذلك وخرجوا الى صوب جامع بن طولون تحت القلعة ولعبوا وكان السماط قد عمل في الميدان الذى هناك وزرل السلطان من القلعة راكباً وعبر على الاطلاق ومر بالسماط فامر به فتخاطفه الناس على جاري العادة وطلع الى القلعة المحروسة وظهر ولده وخرج معه خلقها من اولاد الناس ومن الصعاليك الذين لا قدرة لهم كسباً لثوابهم وجرى الامر في نزوله لي بركة الفيل وشربه بها واعطايه الناس وهباته وصلاته ووقد البرين والازر وطرح السماريه والحراريق فيها على ما جرت عليه الحال في السنة الحالية وبعد ذلك خرج السلطان اعز الله نصره الى ثغر الاسكندرية لكشف احواله وتدب اموره لانه وقعت الشناعة بان العدو على حركه ووردت الاخبار في ذي الحجة سنة اربع وعشرين وستمائة بوفاة الملك المعظم سلطان دمشق والقدس وقعود ولده الملك الناصر بعده في مملكته واستقر الامر على يده وعمل العزا بالاسكندرية بحضور السلطان الملك الكامل وبقيت الاحوال على ما هي عليه والاسعار راخيه والاشياء كثيرة والخيرات موجودة الا ان الناس كانوا يشكون من قلة المعاش وعدم المكسب وقلة الدرهم والدينار وفي هذه الايام في اواخر كيبيك عاد السلطان الملك الكامل من ثغر الاسكندرية وجعل طريقه على الديارات دياره بمغارب يوادى هبيب ونزل بها واضافه الرهبان وكل من معه واكثروا لهم

الخير ما يوجد عند الرهبان وانعم عليهم السلطان وقع لهم بخمس مائة اردد غله ثلثايه قمحاً وشعيراً ومائة فولاً ومائة جلباناً وакرمهم وقربهم منه ورفع الحجاب دونهم وكتب لهم منشوراً بيان من ترهب لا يلزمهم جريه ولا يطلب بها وان اي راهب مات كان ميراثه للرهبان ولا للمواريث الحسديه عليه تعلق ولا للديوان السلطاني عليه اعتراض وتحذثوا معه في امر البطرك فقالوا له يا مولانا نحن بغير بطرك وقد تلفت احوالنا وكان بهذا الدبر نيف وثمانين قساً ما فيه اليوم الا اربعة لانهم ما وجد من تقدم عوضهم فقال لهم اختاروا من شتم وانا اقدمه لكم قالوا يا مولانا نحن ما معنا مال والبطرك يطلب عليه المال فقال لهم اتفقوا على من اردمتم وما يطلب احد منكم شيئاً ولم يقو عزهم على احد وانفصل السلطان عنهم وهو شاكراً لهم و Kendall ساير العسكري . ثم وصول رسول السلطان الذى كان توجه مع رسول الانبرور الوابل في السنة الخارجية ووصل معه رسول اخر من جهة الانبرور المذكور الا انه ليس مثل ذاك الرسول في حرمته بل دونه وحضر معه هدايا من خيل وقمash ومصاغ وجوارح ونزل على جاري العاده وتحرك السلطان عن نصره للسفر الى الشام هو وعاشه وخرج من القاهرة في يوم الاحد التاسع والعشرين من ابيب من السنة المذكورة وسار على فوره ونزل على تل العجول منزله بين الدارويم وبين غزة بعد ان استخلف بمصر ولده الملك الصالح وسلطنه بها واستنابه فيها ودخلت ستة خمس واربعين وتسع مائة ثم ان السلطان تنقل من تل العجول من منزله الى منزله الى ان وصل الى نابلس فقام بها وامتدت جيوشه بالفور الى قصر بن معين الدين وجاز القدس والاساحل من الدارويم الى القصر المذكور وفي اثنا ذلك وصل الانبرور من المغرب الى قبرص ومن قبرص الى عكا واجت رسنه الى السلطان بهدايا نفيسه ويجمل عظيم وكانوا اثنين جليلين احدهما صاحب صيدا والآخر للكند تماس نايب الملك في عكا وتلقاهم السلطان ملقاً عظيماً وركب العسكر جميعه يوم وصولهم ونزلوا في كرامة كبيرة وترددت الرسل من السلطان اليهم ومنهم الى السلطان وكان هذا الانبرور رجل حكماً كريماً حسن المقاصد مشكور السيرة وتمادي الحال على ذلك والسلطان اعز الله نصره يمده بالهدايا من الحجورة والبغال والمحجن والننجابي والاقمشة وغير ذلك من تحف الملوك وبعد ذلك

رحل السلطان من على نابلس وعاد إلى مجديا نزل عليها وتنقل في المازال إلى قرييا بالقرب من عسقلان وهناك وصل إليه أخوه الملك الأشرف صاحب الشرق يوم عيد الأضحى من سنة خمس وعشرين وسبعين وكم يوماً مشهوداً ورسل الانبرور لم تكن تنقطع وسير السلطان اعز الله نصره احضر من مصر الفيل الذي كان الملك المسعود صاحب اليمن والجهاز احضره صحبه مع جملة الفيلة ولم يكن بقى منهم سواه لأنهم ماتوا كلهم وسير الفيل المذكور إلى الانبرور ورحل الانبرور من عكا ونزل يافا يعمرها بعد عمارة قيسارية ووصل نيل مصر في هذه السنة إلى عشرين اصبعاً من سبعة عشر ذراعاً وكانت الأسعار راخية بها جداً والشام بضد ذلك وكان العسكر في ضاية وغلا حتى أنهم باعوا خيلهم وعددهم ورحل السلطان نزل تل العجول أقام بها الملك الأشرف معه وربيع الملك الناصر ولد الملك المعظم صاحب دمشق يسلم بلاده من الغور إلى غزة ولم يبق بيد السلطان من الشام سوا غزة والداروم ووصل إلى السلطان على هذه منزلة الملك المجاهد صاحب حمص أقام عنده مدة ورسل الانبرور متربدة وهو على يافا ورسل السلطان متربدة إليه أيضاً وفي أثناء ذلك رحل الملك الأشرف ورحل معه صاحب حمص وكان المستأمنون من عسكر دمشق كثيراً يحضرون إلى خدمة السلطان ويرحب بهم ويعطيمهم ويخلع عليهم ويقطعمهم وكانوا عدة لا تتحضر وآخر من جاء منهم عز الدين ايدر وكان من أجل أمرائهم وينزل منزلة استاذ الدار وأوفى واعطاه السلطان من النعم ما لا يوصف وادناه وقربه ورفع منزلته واعطاه في جملة ما اعطاه دار الصاحب شكر بالقاهرة لسكنه وأحسن إليه احساناً كثيرة وفي هذه المدة تحركت الغلة بمصر وبلغ القمح خمسين دينار المائة أرذب والشعير مثله أو دونه بشئ يسير ثم انحط يسير فأصار القمح بثمانية عشر درهماً أرذب والشعير ثلاثة عشر درهماً وأشيع بان السلطان عز نصره صالح الانبرور على أن تعطيه القدس الشريف وببلاد من اعماله وهي التي على الطريق من عكا إليه وبيت لم من جملة ذلك ثم صحت الشناعة وسلم الانبرور مدينة القدس الشريف وبيت لم ولد الرمله وما والي ذلك من القدس إلى عكا وبإذا وكان في طول هذه المدة قد عمر قيسارية ويافا واستتب الامر بينه وبين السلطان خلد الله ملكه وعبر الانبرور إلى بيت المقدس في اوائل الصوم

الشريف من هذه السنة وكان يوماً عظيماً وسلموا الصخرة ثم أقام الانبرور بالقدس يومين لا غير وخرج منه إلى عكا وبقي بها إلى أن فرغ العيد واستخلف في البلاد من يثق به وسافر في البحر إلى بلاده وكان السلطان الملك الأشرف قد أخذ بعض العسكر وتوجه إلى دمشق نازحاً ولحقه السلطان الكبير الملك الكامل وزلوا جميعاً عليها واجتمعت إليهم العساكر من الشام والشرق وضايقوها وحاصروها وقاتلوها وفي أثناء ذلك وردت الأخبار بوفاة الملك المسعود صاحب اليمن والجهاز بمكّة لانه كان خرج من اليمن طالباً إلى ديار مصر وحضر معه كل موجود وكل تحفة وجميع ما اقتناه واقتناه من تقدمه في طول المدى وسيرها براً وبحراً فتفوق عظمه ووصلت أمواله وخزانته إلى القاهرة الحروسة وكان موجوداً عظيماً لا يتصور فسبحان الحى الذي لا يموت ووصل نساؤه وحشمه وغلمانه بعد ذلك ورخصت الأسعار بمصر ورجعت إلى حدتها واستمر الحصار والقتال على دمشق والرسـل تردد بين السلطان وبين ابن أخيه إلى أن تقرر أنه يسلم دمشق ويقنـع بالكريـك ونابلـس والغور والبلقا وبقية بلاد القدس الشريف فسلمـها السلطان في الثامـن من شعبـان سنـة ستـ وعشـرين وسبـعين وكمـا وـالـها وتوجهـت أمرـاء السـلطـان وـامـناـوه لـتـسـليمـ ذلك فـاـذا تـسـلـموـا هـذـه الـبـلـاد يـسـلمـ الملكـ الأـشـرفـ دـمـشـقـ وـانـتـقـلـ مـنـهاـ السـلـطـانـ إـلـىـ غـيرـهاـ وـتـوـقـفـ النـيلـ فـيـ هـذـهـ سـنـةـ توـقـفـاـ عـظـيـماـ فـيـ مـبـادـيـهـ حـتـىـ آنـهـ جـاءـ الـخـامـسـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ اـيـبـ وـهـوـ فـيـ خـسـةـ اـذـرـ ثـمـ مـدـ مـدـاـ جـيـداـ مـنـ السـادـسـ وـالـعـشـرـينـ مـنـهـ وـكـانـ الـقـمـحـ وـالـغـلـةـ كـلـهـاـ قـدـ غـلـتـ وـبـعـدـ الـقـمـحـ بـعـشـرـينـ درـهـماـ الـأـرـدـبـ خـفـيـةـ لـانـهـ كـانـ قـدـ منـعـ بـيـعـهـ إـلـىـ الـمـحـاجـيـنـ مـنـ الطـحـانـيـنـ بـسـتـةـ عـشـرـ درـهـماـ الـأـرـدـبـ ثـمـ دـفـعـ النـيلـ دـفـعاـ عـظـيـماـ مـنـ السـادـسـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ اـيـبـ حـتـىـ آنـهـ كـانـ يـزـيدـ فـيـ الـنـهـارـ عـشـرـينـ اـصـبـعاـ بـمـاـ حـوـلـهـ وـالـقـيـ الـبـحرـانـ فـيـ لـيـلـةـ الـخـمـيسـ التـاسـعـ مـنـ مـسـرـىـ وـانـخـطـتـ الـاسـعـارـ وـاطـمـانـ النـاسـ وـوـصـلـ المـقـرـرـ فـيـ نـهـارـ الثـلـاثـاـ الـحادـيـ وـالـعـشـرـينـ مـنـ مـسـرـىـ الـمـذـكـورـ وـزـادـ الرـخـصـ وـاطـمـانـ النـاسـ مـنـ قـبـلـ الطـعـامـ وـمـاـ يـجـرـيـ مجرـاءـ وـفـيـ هـذـهـ الـاـيـامـ وـرـدـتـ الـاـخـبـارـ بـاـنـ السـلـطـانـ جـرـدـ عـسـكـراـ وـسـيـرـهـ مـنـ دـمـشـقـ إـلـىـ حـمـاءـ لـيـاخـذـهـ وـيـسـلـمـهـ إـلـىـ اـبـنـ اـخـيـهـ الـمـلـكـ الـمـظـفـرـ بـنـ الـمـلـكـ الـمـصـورـ بـنـ

تُفَى الدِّين لَأَنَّ الْعَهْدَ كَانَ لَهُ مِنْ أَبِيهِ أَنْهَا لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَاتَّفَقَتْ وِفَاءُ أَبِيهِ وَهُوَ عَنْدَ السُّلْطَانِ الْمُكَامِ الْكَامِلِ بِالدِّيَارِ الْمُصْرِيَّةِ فِي نُوبَةِ الْإِفْرَنجِ عَلَى دِمْبَاطِ فَغْلَبِهِ عَلَى الْمُلْكِ وَسَبَقَهُ إِلَيْهِ أَخُهُ شَفِيقٌ يُقَالُ لَهُ الْمُلْكُ النَّاصِرُ وَاقَمَ بِهَا مَدْةً وَكَانَ الْمُلْكُ الْمُعْظَمُ يَشَدُّ مِنْهُ فَلَمَّا تَوَفَّ الْمُلْكُ الْمُعْظَمُ وَفَتَّحَ دَمْشَقَ ارَادَ السُّلْطَانُ أَعْزَزَ اللَّهَ نَصْرَهُ أَنْ يَوْصِلَ كُلَّ ذَيْحَقَ إِلَى حَقِّهِ فَامْرَعَ السَّاعِكَرَ فَسَارَتْ مَعَ الْمُلْكِ الْمُظْفَرِ الْمَذْكُورِ وَنَزَلَوْا إِلَى حَمَاهُ وَنَازَلُوهَا وَضَايَقُوهَا إِلَّا أَنَّ الْمُلْكَ النَّاصِرَ الَّذِي فِيهَا حَصْنَ الْقَلْعَةِ وَقَوَاهَا وَهِيَ قَلْعَةٌ حَصِينَةٌ مُنْيَةٌ وَحَصَلَ فِيهَا مِنَ الْأَزْوَادِ مَا يَكُنْ لِسَبِّينِ كَثِيرٌ وَبَقِيتِ الْبَلْدَةُ مُحاَصَرَةً وَالْقَتَالُ عَلَيْهَا وَتَوَقَّفَ النَّيلُ بِمَصْرٍ وَنَقْصٍ أَصَابَعُ يَسِيرَةً بَعْدَ وَصْوَلِ الْمَفْرَدِ وَسَاءَ ظَنُّ النَّاسِ بِهِ .

ثُمَّ دَخَلَتْ سَنَةُ سَتٍ وَارْبَعِينَ وَتَسْعَ مَائَةً وَوَفِي النَّيلِ سَتَةُ عَشَرَ ذَرَاعًا فِي أَوَّلِ تَوْتٍ وَخَلَقَ الْمَقِيَّاسَ فِي نَهَارِ الْحَمِيسِ ثَانِيَهُ وَكَسَرَ الْخَلِيجَ فِي الْيَوْمِ الْمَذْكُورِ وَكَانَ يَوْمًا عَظِيمًا وَانْحَلَّتِ الْأَسْعَارُ وَرَخَصَتِ وَكَثُرَتِ الْحِيرَاتُ وَالْأَزْوَادُ وَفَتَّحَ حَمَاهُ سَلْمًا لَأَنَّ صَاحِبَهَا خَرَجَ مِنْهَا طَالِبًا لِخَدْمَةِ السُّلْطَانِ وَانْ يَسْتَعْظِمَهُ فَأَوْقَعَتِ الْحَوْطَةَ بِهِ وَرَأَى الَّذِينَ بَقَوا بَعْدَهُ فِي الْقَلْعَةِ أَنَّهُ قَدْ حَيَلَ بِيَنْهُمْ وَبَيْنَهُمْ فَمَا كَانَ لَهُمْ إِلَّا أَنْ رَأَسُوا إِلَاهَ الْمُظْفَرِ وَاطَّلَعُوهُ إِلَى الْقَلْعَةِ وَسَلَّمُوا إِلَيْهِ الْمُلْكَةَ فِي مَسْتَهْلِكِ شَوَّالٍ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ وَعَادَ الْعَسْكَرُ الْمُصْرِيُّ وَمِقْدَمَهُ الْأَمِيرُ فَخْرُ الدِّينِ اسْتَادُ الدَّارِ فَنَزَلُوا عَلَى بَعْلَبَكَ وَحَاصِرُوهَا فَمَا بَقَوا بِهَا إِلَّا يَامِّاً قَلَابِلَ حَتَّى اخْدُلُوا الْمَدِينَةَ وَتَحَمَّلُتِ الْقَلْعَةُ مَدْيَدَةً لَأَنَّ صَاحِبَهَا كَانَ مَدْبِرًا شَيْخًا فَنَزَلَ الْمَلَكُ الْاَشْرَفُ عَلَى الْقَلْعَةِ الْمَذْكُورَةِ عَسْكَرًا يَحْصُرُهَا وَيَمْنَعُ مِنْ يَطْلَعُ إِلَيْهَا أَوْ مِنْهُ تَحْمِلُ إِلَيْهَا وَتَوَجَّهُ الْعَسْكَرُ فِي خَدْمَةِ السُّلْطَانِ إِلَى حَرَانَ لَأَنَّ السُّلْطَانَ كَانَ قَدْ تَقدَّمَ وَقَتَ نَزْوَلِ الْعَسْكَرِ عَلَى حَمَاهُ وَكَانَ السُّلْطَانُ قَدْ أَخْذَ مِنَ الْمُلْكِ الْاَشْرَفِ حَرَانَ وَالرَّهَا وَسَرْوَجَ وَالرَّقَةِ وَرَأْسِ الْعَيْنِ وَاقَمَ بِالْبَلَادِ الْمَذْكُورَةِ يَحْفَظُهَا وَيَدِيرُ احْوَالَهَا فَجَأَ خَوارِزمَ شَاهَ وَهُوَ مَلِكُ الْفَرْسِ الْاَعْظَمِ نَزَلَ عَلَى خَلَاطِ وَحَاصِرِهَا وَقَطَعَ عَنْهَا الْمَيْرَهُ وَاحْتَاطَ بِهَا وَكَانَ فِي جَيُوشٍ لَا تَحْصَى وَشَتَا عَلَيْهَا وَاصْحَابَهَا مَهَاسِكِينَ إِلَى أَنْ فَرَغَ الشَّتَا فَتَقدَّمَ إِلَيْهَا وَقَاتَلَهَا فَاخْذَذَهَا بِالسَّيْفِ وَقُتُلَ فِيهَا جَمَاعَةً كَبِيرَةً مِنَ الْاجْنَادِ وَاهْلِ الْبَلَدِ ثُمَّ رَفَعَ السَّيْفَ عَنْهُمْ فَلَمَّا عَلِمَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ عَادَ إِلَى الْقَاهِرَهِ الْمُحْرُوسَةِ فِي بَوْنَهِ الْمَوْافِقِ لِشَهْرِ رَجَبِ مِنَ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ

وَدَخَلَ إِلَيْهَا فِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ عَشَرَ مِنْهُ وَكَانَ وَلَدُهُ فِي حَالٍ غَيْبِيَّهُ قَدْ جَافَ عَلَى الْعَامَةِ وَظَلَمَ الرَّعِيَّهُ وَصَارَ يَسْخَرُهُمْ فِي بَسْتَانِ وَمَنَاظِرِهَا بِغَيْرِ أَجْرَهِ فَلَمَّا عَلِمَ السُّلْطَانُ ذَلِكَ اَزَالَهُ وَأَخْذَ مِنْ كَانَ حَوْلَهُ مَا كَانَ يَحْسَنُ لَهُ ذَلِكَ قَوْمًا اَعْتَدُهُمْ وَقَوْمًا ضَرِبُهُمْ وَصَادِرُهُمْ وَقَوْمًا نَفَاهُمْ وَعَادَ إِلَى الدُّوَوِينِ الْمُسْتَخَدِمِينَ فَأَخْذَهُمْ بِتَعْلِيقِ الْأَمْوَالِ وَاستِخْرَاجِ بُوَاقِ الْأَعْمَالِ فَمَا كَانَ فِي شَدَّةِ سُوَاهِمِ وَطَرَحِ الشَّيْخِ نَشَّ الْخَلَافَهُ بِوَفَتُوحِ الْجَبَّ دَفْعَهُ ثَانِيَهُ لَأَنَّهُ كَانَ رَسَمَ لَهُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْأَسْكَنْدَرِيَّهُ فَيَكْشِفُهَا فَاعْتَدَرَ وَطَلَبَ الْأَعْفَانِ مِنْ ذَلِكَ فَحَتَّى عَلَيْهِ فَامْرَعَ بِرَمِيهِ الْجَبَّ وَتَوَقَّفَ النَّيلُ إِلَى أَخْرَى أَبِيبٍ وَتَحْرَكَ سُعْرُ الْغَلَةِ حَتَّى بَلَغَ عَشَرِينَ دِرَهَمًا الْأَرْدَبِ الْقَمْحِ وَالشَّعِيرِ عَشَرَهُ دِرَاهَمًا وَنَصْفَ الْأَرْدَبِ وَارْتَاحَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ تَوَقَّفَ النَّيلُ إِلَى أَنْ جَآ الْعَاشِرَ مِنْ مَسْرِيٍّ وَهُوَ أَرْبَعَهُ أَذْرَعٍ فَطَلَبَ الْقَمْحِ وَدَفَعَ فِيهِ سَتَةَ وَعَشَرِينَ وَسَعِيَّهُ وَعَشَرِينَ دِرَهَمًا الْأَرْدَبِ وَالشَّعِيرِ بِاثْنَيْنِ عَشَرَ دِرَهَمًا الْأَرْدَبِ وَكَذَلِكَ الْفَوْلُ وَجَزْمُ السُّلْطَانِ فِي ذَلِكَ جَزْمًا لَمْ يَرِ مِثْلَهُ ثُمَّ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَدَفَعَ النَّيلَ دَفْعَهُ عَظِيمًا مُتَوَاضِلًا مِنَ الْحَادِي عَشَرَ مِنْ مَسْرِيٍّ إِلَى العَشَرِينَ مِنْهُ فَزَادَ فِي عَشَرَهُ أَيَّامٍ سَبْعَهُ أَذْرَعٍ وَالْتَّقاَ الْبَحْرَانَ فِي يَوْمِ الْأَرْبَعَا الْحَادِيِّ وَالْعَشَرِينَ مِنْ مَسْرِيٍّ وَكَانَ ثَالِثُ عِيدِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ يَزِيدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ نَصْفَ ذَرَاعًا ثُمَّ تَفَاصَرَتْ زِيَادَتُهُ إِلَى يَوْمِ الْأَحَدِ الثَّانِيِّ مِنَ النَّسْيِ وَهُوَ الرَّابِعُ عَشَرُ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةٌ سَبْعَهُ وَعَشَرِينَ وَسَمَاءَهُ فَوْقَهُ وَقَدْ بَلَغَ أَصَابَعَهُ أَرْبَعَهُ عَشَرَ ذَرَاعًاً وَوَرَدَ الْجَبَّ بِكَسْرِ الْخَوارِزمِ فِي يَوْمِ الثَّلَاثَاءِ السَّادِسِ عَشَرَ مِنْ شَوَّالِ السَّنَةِ الْمَذْكُورَةِ الْمُوَافِقِ لِالْيَوْمِ الْرَّابِعِ مِنَ النَّسْيِ وَدَقَتِ الْبَشَائِرُ بِذَلِكَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَخَلَعَ عَلَى الرَّسُولِ الْوَاصِلِ مِنْ دَمْشَقِ بِهَا الْجَبَّ خَلْعًا سَنِيَّهُ وَاعْطَى فَرِسَاءً بَسْخَتَ وَشَرْفَسَارَ ذَهَبَ وَالْفَ دِينَارَ فِي كِيسٍ وَرَكَبَ بِذَلِكَ وَدارَ الْقَاهِرَةَ وَمَصْرَ وَدَخَلَتْ سَنَةُ سَبْعَهُ وَارْبَعِينَ وَتَسْعَ مَائَهُ لِلشَّهِداءِ الْأَبِيَّارِ فِي نَهَارِ الْحَمِيسِ الثَّانِيِّ عَشَرَ مِنْ شَوَّالٍ سَنَةٌ سَبْعَهُ وَعَشَرِينَ دِرَهَمًا الْأَرْدَبِ وَالْمَلَالِيَّهُ وَالنَّيلِ مَتَوَقِّفَ وَالنَّاسُ مَغْتَمُونَ لِذَلِكَ وَالْقَمْحُ مَسْعُرٌ بِعَشَرِينَ دِرَهَمًا الْأَرْدَبِ وَلَا بَيْعَ إِلَى الطَّحَانِينِ بِمَقْدَارِهِ مَا يَسْتَعْلَمُونَهُ أَوْ بِاَطْلَاقِهِ مِنَ الْوَالِيِّ وَالْجَبَّ قَدْ تَحْرَكَ

سرعها وصار الخبز ثمانية ارطال بدرهم وكسر الخليج من غير وفا في يوم الاربعاء السابع من توت الموافق للرابع والعشرين من شوال سنة سبع وعشرين وسبعين واقام الى ثاني يوم حتى وصل الى باب الحرق وبعد ثلاثة أيام وصل الى باب الخوخه ووقف هناك وبلغ الماء الى ثلاثة وعشرين اصبعا من اربعة عشر ذراعا ولم يشرب احد في هذه السنة من الخليج ولا استقا منه سقا ولا احتجج فيه الى معديه لانه كان يخاض ونقص من السابع عشر من توت الذي هو عيد الصليب وجاء في توت المذكور من الحرم لم يعهد مثله ثم رد بعض التقص في الرابع والعشرين من توت الى اخره اصابع لم ينفع بها وارتفاعت الاسعار ورسم السلطان بالتسعير وان لا يباع القمح الا بعشرين درهما الاردب ووظف على كل شونه شيئا معينا برسم الطحانين وامتنع الناس من البيع ومن جلب الغله وضاق بالناس الامر وصار الخبز لا يصاب بالأسواق وان وجد كان عليه من الضراب ما لا يوصف ثم يكون متغير الطعم والراحة لان الناس ما يبيعون من القمح الا العتيق المسوس وما يجده الطحانون سواه فيعملونه بخبي على هذه الحالة والرسوس فما كان يقدر على شرائي لان الوطف للطحانين لا يعطون احدا منه شيئا واصحاب القمح لا تسمع نفوسهم ان يبيعوا شيئا بهذا السعر الا غصبا وبقي هذا الحال الى اوائل هتور وكاد القمح يعدم ورسم السلطان باطلاق السعر في نهاية اطلاقه بستين درهما الاردب ثم رجع انحط الى اربعين واستمر على ذلك مدة واما الزيت الحار فانه بلغ الى مائة ودرهمين القلمه وانحط الى تسعين وما دونها واستمر على ذلك وكان اكبر البضائع فايدة في هذه السنة وكذلك ما يختص به من البزر والسلجم وفي طوبه من السنة المذكورة رسم بخفر خليج القاهرة وطرح على اصحاب الادر والبساتين التي عليه فاعتمد الناس ذلك ونالم منه غرامة كثيرة وكانت الدار تغزم ثلاثة دينار وما دونها على قدر الدار وعرضها وكذلك رسم في جميع البلاد ان تحفر خلجانها وتقوى جسورها وتفتح لها الترع المستجدة التي تقضى فيها من الانيال القليله وكل ذلك على المقاطعين واهل البلاد ثم رسم في اواخر امشير بان يخفر بحر مصر من جهة دار الملك الى فم خليج القاهرة وجعل ذلك على اصحاب الادر بمصر والجزيره التي على البحر واجروا ذلك على الناس وجعلوه قصبا تكون القصبة طول سبعة

اذرع في عرض اربعة قصبات او خمس على حسب بعد المكان من البحر وقاربه في عمق خمسة عشر ذراعا بالعمل فكان ينوب القصبة عشرة دنانير واكثر وتحرك السعر وبلغ القمح الى ستين درهما الاردب والشعير الى ثلاثين درهما وجميع الحبوب من النسبة واحترق البحر احرقا ما روى مثله وظهرت القرابيص التي فيه من امشير وجرفت المراكب الصغار وقيل ان الذي في قاع البحر في الوقت المذكور ثلاثة اذرع ونصف وربع ولم يزل الحال على ذلك والاسعار غالبة والناس في شدة شديدة لان احوالهم كانت ضعيفة الى الغاية وجاء الخامس والعشرين من بلوونه الذي يطالع فيه باحوال النيل وفي القاع ذراع واحد ونصف وربع وهو شئ قليل ما روى مثله وتوقف الماء ايام كله ثم زاد في مسri وانتهى الى خمسة عشر ذراعا ثم وقف النسي ويئس الناس منه ثم دخلت سنة ثمان واربعين وتصاعد مياه الشهداء الابرار وكسر مجراى المنجا خشية من نزول الماء وكذلك ساير الابحر الكبار واذن الله بزيادته فزاد في توت شيئا لم يعهد قط ووفي في التاسع منه وانتهت زيادته الى عشرة اصابع من سبعة عشر ذراعا وروى في البلاد كلها لان السلطان كان دبر البلاد تديير لم يديره احد وأخذ اهل كل عمل لعمل جسورهم وحفر تراعهم وحمل الماء اليها من الموضع البعيد بالحسور التي تعمل عليها فروى في البلاد كلها ولم يشرق منها الا السواحل العوال التي لا يالي بها معا انه روى من هذا الماء ما لا كان يروى الا من ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر ذراعا وكل ذلك بتديير مولانا السلطان وحسن نظره وكانت الفلوس قد كثرة فيها الزغل والفساد وصار في الصعيد من يضر بها خارج الدار وكثير ذلك وفشا وكان صرفها كل ستة عشر فلسا بدرهم اسود وليس بينها وبين الصرف في الذهب بالدرهم سوى نصف درهم في الدنيا ونصف وربع وكان الناس طيبين النفوس بها ولا يردها احد فامر السلطان بان ينادي ان لا يتعامل الا بالفلوس السلطانية وما ظهر من غير ذلك يقصد ويطرح واقيم لذلك صيروف وتلف على الناس من ذلك شيء كثير ثم ان صرفها رخص فصار الدينار بخمسة واربعين درهما فلوسا ثم تدرج الى ان بلغ يوم تطيره وهو السادس والعشرين من ايام الى ثمانين درهما فلوسا بدينار والدرهم السواد كل عشرة دراهم بثمانية عشر درهما فلوس يكون الدرهم المصرى ثلاثين فلسا واما الدرهم القره فانها تساوى

سع وعشرين وسبعين على ما تقدم ذكره وتوجه الى الشرق وقصد الكافر فاندفع قدامه ولم يقف اصلا وخرج عن البلاد ونزل السلطان عز نصره على أميد وحاصرها ووفى النيل المبارك في الثاني من النسي بعد توقيمه اياماً كثيرة لان المفرد وكان وصوله في السادس عشر من مسرى وتأخر الوفا بعده الى هذا التاريخ وكانت الفلوس قد كثرت جدا ورخصت حتى بلغ الدينار الى تسعين درهما فاوس والدرهم النقرة الى سبعة دراهم وتأذى الناس من ذلك .

ثم دخلت سنة تسعة واربعين وتسع مایه وبلغ النيل الى ان وفي ثمانية عشر ذراعاً وامتدت زيادته الى السابع من بابه وزاد في هذا الشهر زيادة ما عهد مثلاها وذلك انه زاد في ثانية وثالثة وخامسه اصبعين اصبعين في كل يوم وهو ذراع الثمانية عشر وفي سادس وسابع وهو اخر زيادته كل يوم ثلاثة اصابع ورخصت الاسعار ويع القممح بعشرين درهما الاردب بالفلوس والشعير بعشرة دراهم الاردب ورخصت الاشياء كلها الا ان الفلوس رخصت بالاكثر وبلغت الى مائة وعشرين درهما بدينار والدرهم نقره بستة دراهم فلوساً وضاق الامر على الناس لان ديوان السلطان لا يستخرجون من الناس في سائر معاملاتهم الا ذهباً او دراهم سواداً ولم يبق بآيدي الناس الا الفلوس وكانوا في شدة عظيمة من هذا المعنى ووردت الاخبار بان السلطان عز نصره فتح اند وجميع حصونها وهى اثنين وسبعين حصناً = ولم يبق منها سوى حصن واحد يسمى حصن كيما ومات في اوائل هذه السنة شمس الملوک بن اخت السلطان والامير فخر الدين عثمان استاذ الدار وجماعة من الامراء الكبار وكان الغلا عندهم الى حد لا يوصف الخبز بثلاثة دراهم نقرة الرطل والعلاق الشعير بدرهمين نقره والتبن باربعين درهما نقره الجمل ولا يقدر عليه ووصل اكثير العسكر رجاله عرباً الى القاهرة المحروسة ثم ورد الامر السلطاني بتاريخ يوم الاحد اخر كيما الموافق للثاني عشر من شهر ربيع الاول سنة ثلثين وسبعين بتبطيل ضرب الفلوس والمعاملة بها فنودى عليها في يوم الاثنين ثاني النهار المذكور وبيعت من نهارها بالرطل في سوق النحاسين بدرهمين ونصف الرطل ودرهمين وربع وصار المال الى ربعة وتلف على الناس جملة كبيرة ثم بيعت بعد ذلك بدرهم واحد وربع الرطل وتلف على الناس شى كثير وجملة كبيرة الا انهم تباشروا ببطلانها للنظر في العاقبة فما تقدم ثم وردت

كل درهم ستة دراهم وربع بالفلوس وما بي بايدى الناس سوى الفاووس لأن
ديوان السلطان ما كان يأخذها في شيء من معاملاته لا في اجرة املاك ولا ضمان
ولا بيع ولا شراء وبطل عمل الفلوس بدار ضربها وهي كلما مرت رخصت ثم
انه جرت في هذه السنة كابينة عجيبة وذلك ان رجلا قسيساً راهبا خبيرا يعرف
بابي سعيد بن العفيف كانت زوجة أخيه قد ابتعات جاريه روميه من رجل
فرنجي ثم باعوها الى رجل من التجار المترددين من بلاد الفرنج فلما بلغ مولانا
السلطان ذلك انكره غاية الانكار وامر بان يباع القسيس وامراة أخيه واختها
ونوادي عليهم في سوق الرقيق وكانت شدة ما سمع بمثلها فاشتراه رجل
مبارك اصله نصري من الشام من المارونيه وقد اسلم فابتاعهم بستين دينار
وانتحى الناس عنهم وجمعوا هنالك وانتكوا بهم وكان هذا الرجل محسناً اليهم
اليغاية وأما القدس فانه خرج الى دير العربة فاقام به والمرتان احداهما كانت
راهبة وكان كلامها قدسيسين واطلق سبيلهما وسافر السلطان بالعسكر المنصورة
في يوم عيد الفصح من هذه السنة وهو في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين
وسبعين الهلالية ومضى الى دمشق ومن دمشق الى الشرق لأن عدواً كان قد
خرج على بلاد الفرس والعراق يعرف بكافر ترك في عدة كثيرة لا يحصى عددها
وهزم خوارزم شاه واستباح بلاده وأخرجاها ووصل الى اطراف بلاد بغداد
وسير الخليفة الامام المستنصر ابو جعفر المنصور من بغداد الى السلطان رسولين
جليلي القدر احدهما معمم والآخر مشرب من اخص مماليكه وكانت لها
حشمة وحرمة لم يعرف لرسول مثلها واهتم بها السلطان اهتمام مثله وجعل لها
من الاقامة والراتب ما يعجز الواصف عن وصفه وكانت احضر معهما خليع
الخلافة الشريفة على السلطان عز نصره وعلى اقاربه وخواصه والوعهد بسلطنة
البلاد والماليك التي بيد سلطاناً وكان وصوتها من دواعي اسباب سفر السلطان
عز نصره وكانت اخبار هذا الخليفة احسن الاخبار من العدل والاحسان وتجنب
الظلم والعدوان واعاده ما عطبه من سالف الزمان والمساواه في الفضل على
كل انسان حتى ان الذهب كثُر في ايدي الناس وورد منه الى مصر جملة كبيرة
لكثرة عطايه واحسانه الى رعيته كافة واولياته ثم ان السلطان الملك الكامل
سافر الى الشام المحروس في برموده من هذه السنة الموافق بجمادى الآخرة سنة

الاخبار بفتح حصن كيما وتسليم السلطان له ثم انه استناب عنه في بلاد الشرق
وامد ، عمالها وحران وما والاها وسروج وما معها ابنه الملك الصالح ايوب
الذى كان ولی عهده بمصر ووصل الى القاهرة المحررة في جمادى الآخرة سنة
ثلاثين وسبعين ووصل بعده في خدمته الملك المعبد الذى كان صاحب امد
ومعه خواصه واهله وماله وحرمه واحسن اليه سلطانا احسانا لم يسبق اليه
واعطاه من الاموال والكساوی والاواني ما لم يعط احد واقطعه بلاداً تغل
اربعين الف دينار في السنة خاصة خارجاً عن الغله واضاف اليه خجز مائى
فارس وانزله في قطر من دار الوزارة وهو المعروف بباب السر وشکره كل ملك
في الارض وعلى ذلك وعرف حسن عهده وصحه وفائه وتحرك جماعة اصحابنا
واجتمعوا مع رهبان دير بو مقار لازه كان الصيام واتفقوا على اختيار الشیخ
يوحنا بن المولمن بن بو البدر شناس من كنيسة المعلقة ذو دین ونسک واعمال
جمیله وکتبوا له محاضر وکتبوا کلهم خطوطهم فيها وقدموها لمولانا السلطان
عن نصره ورسم على لسان الامیر الصلاح بأنه اذا اتفقا عليه تقدم لهم ثم تجادلوا
فيما بينهم ولم يعلموا شيئاً ونحلت القضية وخرج الرهبان الى ديرهم * وبقى الحال
بحاله الا ان هذه الايام كانت اياماً مباركة الكنايس تعمّر بالنهار باذن مولانا
السلطان وقتها والنصارى مكرمون معزوزون ركاب الخيل والبغال
ولا يطالهم احد بغيار والسلطان مراع لرهبان منع عليهم محسن اليهم وارثهم
بعضهم للبعض لا يدخل بينهم يد حشرية وكذلك النصارى واليهود تقبل اقوال
مقدميهم في انسابهم ومن ذكرروا انه اهل لم يتعرض اليه ثم جاء النيل المبارك وبدر
شيما لم يعرف مثله وذلك انه التقى البحران تحت جزيرة مصر في الرابع والعشرين
من اییب ووصل الماء الى سد الخليج في التاسع والعشرين منه ووصل المفرد
في السادس من مسرى وتوقفت الزيادة ووفي وحلق المقیاس في يوم الجمعة
التاسع عشر من مسرى الموافق ^{لثالث} من ذى القعده سنة ثلاثين وسبعين وكسرا
الخليج في ثاني اليوم المذكور وكان نيلاً ما روى اعجب منه ومن عجایبه انه
زاد في السادس والعشرين من مسرى في ذراع السبعه عشر عشرة اصابع فصار
تسعة عشر من سبعه عشر وفي ثانية سبع اصابع فكل سبعه عشر ذراعاً ودخلت
سنة خمسين وتسعاً على الشهداء الابرار ثم زاد في ذراع الثمانية عشر في الثاني عشر

من توت اربعة اصابع فصار تسعة من ثمانية عشر ذراعاً وزاد في السادس عشر
توت اربعة اصابع صار على سبعة عشر من ثمانية عشر ذراعاً وزاد في سابع عشر
بوت وهو يوم عيد الصليب سبعة اصابع فكل ثمانية عشر ذراعاً وزاد في ثامن
عشرين ستة اصابع في ذراع التسعة عشر وكانت نهاية زيادته عشر اصابع من
تسعة عشر ذراعاً وثبتت على الارض في اخر بابه حتى ظن انه ما ينزل ثم نزل
في واحدة وزرع الناس وباشروها بعد ان غرق بلاداً كثيرة واحرب عمارة
عظيمة وكان نيلاً عظيماً ورخصت الاسعار وبيع القمح العالى بتسعه دراهم الاردب
والشعير بخمسة ودونها بدون ذلك وساير الحبوب من النسبة ولم يكن ثم شيء
غالياً الا اللحم والدواجن وكان ذلك لانقطاع الطرق لان النيل غنى الارض
كلها وفي هذه السنة تجهز السلطان الملك الكامل عن نصره للخروج الى الشرق
وانفق في العساكر اموالاً عظيمة حتى كانت الدراما تشقت القاهرة على اقسام
الحملان الى ادر الامراء لكل امير على قدر عدنه لانه اذا كان الامير معه مائة
فارس اعطى المائة الى دينار لكل فارس عشرين دينار والامير الف دينار
وليمium من هذه النسبة وفيهم من خصصه بزيادة عن ذلك مثل حلقته
الخاص وغيرهم فاما انقض فلا ولم يبق من لا اخذ هذه النفقة الا المجردون
بالحجاز وولا الاعمال والمتاخرون من السفر لا غير وخرج من القاهرة في
الحادي عشر من بشنس من هذه السنة وقد كان تقدمه اخوه الملك الاشرف
موسى بأيام ثم رسم بان يكون نائباً عند ولده الاصغر الملك العادل فواه ذلك
وركب بالسيوف والستنقع بعد سفره في يوم الاثنين العشرين من بشنس
المقدم ذكره وقد كانوا الجماعة يحدثوا في امر البطرك على لسان امير يقال له
الصلاح الاربلى وطلب منهم خمسة الف دينار ووعدهم ان يحظهم منها شيئاً
فلم ينهض قواهم بذلك ولا تحرر امر بل قالوا انه وصى ولده الملك العادل
بائهم اذا اوردوا المبلغ تقدم لهم من يختارونه وبقي الناس بعضهم يرى ذلك
وبعضهم يقول ما هو مصالحة لانه حدث على الكنيسة ولا يرجع يتغير ابداً
ولم تكن نياتهم خالصة ولا ينهض اتفاق الا في الظاهر واستمر الرخيص والامن
الا ان اثار في هذه السنة كانت قليلة جداً لاجل الغرق وثبات الماء على الارض
المدة الطويلة ثم ان الماء زاد في بعوشه زيادة ظاهرة مقدار ذراعين وكان في القاع

مقدار ستة اذرع وجأ او ان اخذ استقرار القاع بالمقاييس المبارك وهو الخامس والعشرين من يونيو وهو في اول التسعة اذرع ثم نقص مقدار نصف ذراع ووقف وتحرك سعر الغلة اربعة دراهم الاردب وحدث في عشية نهار السبت الرابع والعشرين من ابيب الموافق للتاسع من شوال سنة احدى وثلاثين وسبعين غيم كثيف واصفر الجو وامطرت ساعة بجده وبي الغيم طول الليل وكان هذا من جملة النوادر التي لم يجر مثلها وفي النيل المبارك في يوم الاربعاء الثالث والعشرين من مسري وخلق المقاييس في النيل المذكور بحضور الملك العادل بن السلطان الملك الكامل اعز الله تصره ورخصت الاسعار ورجعت الى حدتها الا ان العل كان قليلاً والمثار فسدت كلها لان النيل الماضي كان غرقها وبناته خفتها فافسد اكثراً المثار مما اصلاح وخسر اكثراً ما اربع وبيع العنبر في هذه السنة بخمسين درهماً القنطار والقند باربعة دنانير ونصف القنطار واصناف الخلاوة من النسبة « ولم يعصر من الناس في هذه السنة الا النزر البسيء والذي يعمل شيئاً اقتصر على نصفه لاجل غلا الاصناف ووردت الاخبار ان السلطان اعز الله نصره دخل الى بلاد الروم ودق البشائر بالقلعة بالنصرة والظفر وانه اخذ من بلاد الروم حصناً يقال له حصن منصور ثم عبر على ضياعة يقال لها رعيان وعبر منها الى الدربيendas التي تسميتها العرب الدروب وانهى الى الدربيند الثالث بالعساكر والجموع وكانت عساكر جمه لم يجتمع مثلها وقيل انه عرض في سبعة وعشرين الف جندي خارجاً عن يتبعلها من غلمان واتباع وعربان وكان الشئ عندهم غالياً جداً لان بلاد الروم لا يخرج لهم منها شيء وبالبلاد الشام قد ابعدوا عنها فرأى السلطان ان الامر عسر وان عساكر الروم قد امامه فرجع من هناك وعدى موضع يعرف بجسر الحشب طالباً الى الشرق وكان صاحب خرت برت فيمن كان معه وكان قد عرفه ان الطريق من بلاده الى بلاد الروم سهلة وان الذي دل السلطان على هذه الطريق غره فقد السلطان اعز الله نصره ان يعبر الى الروم من هناك ودخلت سنة احدى وخمسين وتسع مايه للشهداء الابرار وزاد النيل المبارك وانهى الى احدى عشر اصبعاً من تسع عشرة ذراعاً واطمأن الناس وكثرت الخيرات ورخصت الاسعار ثم ان الملك الروم وهو السالم صاحب قونيه واقصرياً ابلغه قصد السلطان خرت برت فاتاتها

بالرم والطم فسير السلطان اعز نصره ابن اخته الملك المظفر بن تقي الدين صاحب حماه نجدة لصاحب خرت برت ومعه جماعة من اكابر الامراء مثل البانسي وصواب الخادم ومن يجرى مجراهم فواقوها المدينة قبل وصول الروم اليها فجعلوها ظهرهم وجاء الروم فقاتلوه اشد قتال وامرها ثم كثروا عليهم الجمع لأنهم ما كان معهم سوى زهاء ثلاثة الف فارس فانكسرت وعادوا الى المدينة فاما صاحب حماه والامرا ومن معه من الامراء فالتجأوا الى القلعة واما الاجناد والغلمان والجمع فنهم من اسر وهم من هرب وفيهم من قتل وعبروا الى القلعة وصاحب خرت برت معهم وكان قد وعدهم ان بالقلعة كلما يحتاجوه فا وجدوا بها شيئاً وقيل انها كانت مكيدة منه فتجلدوا وتصبروا على ضر شديد وضنك عظيم أيام تناهز العشرين يوماً فلما تيقنوا الالاكان « يروا من جماعتهم امير يقال له بها الدين بن ملكيشوا الذي كان الى القاهرة الى ملك الروم يطلب لهم الامان على انفسهم وان يسلمو القلعة فاعطاهم الامان على نفوسهم خاصة فخرجو باسو حال يكون ولم يخلع على احد منهم سواء الملك المظفر وصواب الخادم واعطى كل منهم فرساً يركبه الى عسكر السلطان وكان في طريقهم الدير المعروف بدير برصوماً فخرج اليهم الرهبان السريان تلقوهم بالازواود والخيرات وحملوهم على بغال الدير الى ان اوصلوهم الى العسكر وصار للرهبان بهذه القضية عند سائر المسلمين مذلة عظيمة وتزل النيل في وقته وتباشر الناس بأنها سنة مقبلة وان الزرارات فيها ناجية لان السنة الماضية ما افلح فيها زرع وكان سعر القمح من ثلاثة عشر درهماً الاردب الى سبعة دراهم الاردب على قدر العالى والدون والشعير بخمسة دراهم الاردب والقول بسته والجلبان مثله وبين الكتان بعشرة دراهم الاردب والسلجم والبرسيم من النسبة وجميع الماكولات والمطعومات رخاص جداً ولم يكن شيئاً غالياً اصلاً وعاد السلطان الملك الكامل اعز نصره الى الديار المصرية وطالع الى قلعة المحروسة في يوم الاثنين الثامن من جمادى الاول سنة اثنين وثلاثين وسبعين الموافق للرابع من امشير سنة احدى وخمسين وتسع مايه وهو اول يوم من صيام اهل نينوى واطمأن الناس وظابت الاخبار الا ان الناس لقوا في هذه السفره شدة عظيمة وقادوا صعوبة في الطريق ووقعت اصابع اناس كثير من الثلج وناس ماتوا بالكلية وهم الاقرئ بن

زنور فنه وقعت اصابع يديه ورجليه من الثلاج ومات بحران ليلة الميلاد وكثير منه مهن لا يعرف ومن يعرف وكانت الرهبان قد جرت لهم تجربة عجيبة وهو ان جماعة من الصبيان قد صاروا يلبسون الثياب الصوف ويتزرون بزي الرهبة وهم في المدن متصرفون ليحتموا من الجزيه فنمى امرهم الى السلطان فرسم بانه اي راهب لا يكون مقينا في دير منقطعا في البرية مشهود له بذلك توخذ جزريته وما احتاج النواب والمستخدمون اكثر من هذه الكلمة ومدوا ايديهم الى الرهبان وصاروا يسكنون الصالح والطالع ويأخذون المشايخ الذين لهم خمسون سنة في البرية واستادوا من جزريتهم جملة كبيرة تزيد على الف دينار وخصوصا بالغربية لانه كان فيها رجل ناظر من اهل اسكندرية يقال له ابن القرمسيني وكان مبغضا في النماري فجعل وكذلك الرهبان واكثراهم في اعمال الغربية وهي بلاد جرائهم ودياراتهم في ذلك الحين فأنالم اذية عظيمة وكان هذا ادبا من الله لأنهم ما كانوا يقوى مستقيمين واما الرهبان الصغار فانهم كلهم رجعوا الى ما كانوا عليه وقلعوا الثياب الصوف اذ لم تعن عنهم من اداء الجزيه ولما جا السلطان عز نصره اجمع جماعة من رهبان الديارات وجاءوا الى باب السلطان بهدية على قدر حالم مما يليق بالرهبان فكتب لهم بعامة وخمسين ارببا غله وسمع بخبرهم رهبان دير القصیر الملكية فاحضروا الآخر هدية من النسبة فامر لهم بعامة اربب غله وبقي الرهبان ملازمين بباب السلطان مدة وبعد ذلك خرج الامر بان يكتب لهم بان يحرروا على عادتهم بشرط انهم لا يخفون عندهم احدا من يحب عليه الجزيه ولا يرهبون احدا الا بعد تزييه في الديوان ومن يستحق الرهبهن ويدخل فيها لطلب الله تعالى لا لاجل جزية ولا شدة لحقته وأخذوا الكتاب المذكور ومضوا به الى الغربية ولم يفدهم شيئا واستمر ابن القرمسيني على ما هو عليه والرهبان في الشدة الشديدة وكانت هذه تجربة من الله تعالى جاء بها عليهم لاجل سوء تصرفهم في الرهبة ولما كان في العاشر من بونه ورد كتاب السلطان عز نصره الى الامير جمال الدين بن يغمور نايه في القاهرة من ثغر الاسكندرية المحروس لان السلطان كان خرج الى الشغر المذكور في هذه المدة لاجل طيبة هوايه وبين فنايه فورد كتابه المذكور يطلب القيسين داود بن لقلق ان يمضي اليه ولا علم احد من كان السبب في ذلك لأنهم عدوا

انه انما طلب للبطركيه الا ان راهبا مشارا شابا من اهل الصعيد كان قد توجه مع الشيخ عماد الدين شيخ الشيوخ الى ثغر الاسكندرية وكان للشيخ المذكور عنابة بالقسبيس داود وكان يتردد اليه الى الدير الذي كان مقينا به وهذا الراهب المشار هو الذي احضر الكتاب المشار اليه فقيل انه هو الساعي وانه قرر مالا على البطركيه وكان قصد القسيس داود ان يجعل قمضا في مصر قبل خروجه الى الشغر لانه كان له رغبة عظيمة في هذا الامر وما كان يتلزم فيه ولا يتكلم فشار جماعة من العقلا ان هذا ما هو مصلحة وربما افسد ما يريد ان يتم لان السلطان ما رسم الا بتسييره لا غير واتفق الحال على ذلك ولم يكن بي في الكراسي من الاساقفة سوى خمسة ثلاثة في الوجه القبلي اسقف طحا واسقف ارمانت واسقف انسى وكان قد عجز وكبر وصار كالميت وفي الوجه البحري اثنان اسقف مليح وهو كبير الاساقفة يومئذ واسقف دمنور فاحضر اسقف مليح على انه يجعله اقتصاد وكان اسقف ارمانت بمصر لانه كان بالقدس ووصل وحصل الروح من جماعة المصريين وكثير القال والليل الا انه لم يحسن احد ان يتظاهر بشيء وكان بمصر بكنيسة بو سرجه رجل راهب يعرف قبل رهيبته بالسني ابن الحجد بن القسيس ابي الفرج من بيت بن غليل فترهب بدير انطونيوس وعاد منه لما استدعاه السلطان واستخدامه في ديوان النظر على الديار المصرية واقام سنين وهو راهب ثم انفصل منه وقعد في الكنيسة المذكورة لانه كان شهاساً بها قبل رهيبته وكان رجل جليل القدر مسموع القول عند المسلمين لاجل ما اسلفه اليهم من الخير في ايام تصرفه ولانه كان متزها ناسكاً وكان قد صار مثل البطرك وكان الناس يحتكمون اليه وامرها نافذ في الكنائس في الديارات وتمثل في الرهبان وغيرهم وحكمه جايل في الاوقاف وكان قد سعى في عمارة كثير من الكنائس وثار اواقافها فعظم عليه هذا الامر وانتظر منه غيظاً عظياً وصار يتوم في كل من يعرفه وكل من يقرب منه ويظن ان له باطننا في تقديره داود والامر بقصد ذلك حتى وصل من حرجه الى انه صار يسب ويشم ويتكلم بما لا يليق بعلمه عاقل ان يتكلم به لا سبباً شيخ راهب مثله وكان هو قد اعاد الحديث في معنى أبي البدر بن المؤمن الذي تقدم ذكره وكتب مدرجاً يأخذ فيه خطوط الجماعة بما يقوم به كل واحد مساعدة في اقامة البطرك لانه علم انه بعد ان

وصلت الامور الى هذه الغاية ما يقوم البطرك الا بشيء ووافقه على ذلك جماعة واكثراً كتبوا خطوطهم بما تيسر لهم وفيهم من كان في وقت الحقيقة يضاعف ما كان كتب به خطه وكان هذا الامر داعياً لدعاوة ولاصحابه الى تجديد الحديث وتجریده والسابقة وبذل الجملة الكثيرة والنقدة المعجلة المميزة وكان من وافقه على ابن المومن ورفض داود بالكلية الشيخ نش الخلافة بو الفتح والحكم الرشيد بو الوحش بن الفارس فلما جرى لداود ما جرى اتمها « بان لها باطننا معه كما اتم غيرهما حتى ان الشيخ بو الفتح طلع اليه يوم ميلاد يوحنا المعمدان ثلين من بعونه ليقتده فجرى عليه منه من السفة والشم والقذف بالقبابع التي لا يستحسن الانسان ان يخطرها بياله فصلاً عن ان ينطق بها وكان ذلك يحضر من جماعة قنوس وغيرهم وكان مطلع كلامه معه ان قال له هذا مسلمة الكذاب ثم خرج من ذلك الى ما لا يتسع ذكره وهذا مسلمة فهو رجل يزعم المسلمين انه رجل ادعى النبوة بعد نبيهم وظهر كذبه الا ان الشيخ ابو الفتح لزم لفظه اكثر من الراهب وبعد ذلك ما انفصل حتى اصطلاحاً وضرر كل منهما الاخر المطانوه واما القيس داود فانه توجه الى الاسكندرية في يوم الخميس الثالث من بعونه ومعه اسقف مليح فاما اسقف مليح فاعتذر بالمرض ولم يخرج لانه خشي ان لا يتم له شيء ووصل القيس داود الى اسكندرية يوم الاثنين السابع عشر من بعونه واجتمع بالسلطان عز نصره في يوم الثلاثاء على موضع يعرف ببوقير وتقررت له البطركية وقام بالف دينار وحملها الى الخزانة معجلة ولم تكن معه وانما دبرها بفرض وغيره وكتب خطه بألني دينار اخرتين الى شهرين وقدم اقصاصاً في يوم السبت الثاني والعشرين من بعونه بكنيسة بوشنوده المعروفة بكنيسة السباع خارج البلد وكل في يوم احد بطرريكا بكنيسة السوتير وسير اليه السلطان خلعة حسنة وهي ثوب عتاني ازرق بطاراز ذهب وبعيار ذهب وطرحه وحکى الحاضر انه كان يوماً مشهوداً وان اکثر غلمان السلطان وخدماته كانوا حاضرين وانه كان مجدلاً لم ير مثله من زمان وفي يوم الاثنين الرابع والعشرين من بعونه ركب وخرج الى دار ابن السكري التي فيها راس مرقس الانجليزي وقيل أنها راس بطرس باروموريوس لأن راس الرسول الانجليزي كانت مع جسده لما نقله الروم الى البندقيه فاخراج له

على العاده وكانت لهذا الراس ما اخرج ثمانى واربعين سنة مدة مقام ابا يوحنا نوح الله نفسه ثمانى وعشرين سنة ومدة التعطيل بعده في الزور والفرق والبدع عشرين سنة ووضع في حجرة وكسه كسوة جديدة على جاري العاده واقام البطرك المذكور بالاسكندرية مدة ثم خرج منها الى دير بومقار وكرز فيه قوساً وشامسة ورتب فيه تراتيب واقام في كل دير يوماً ويومين ثم جاء الى دير منها في يوم الخميس الثاني عشر من ابيب ثم وصل الى دير الشمع في يوم الجمعة الثانية وقدس فيه وجاء يوم السبت الى كنيسة ميكائيل راس الخليج بمصر وفيها لقيته انا الحقير وسلمت عليه واحتضنته بركته واقام بالكنيسة المذكور ذلك النهار وبات بها واهتم به اهل الكنيسة المذكورة اهتماماً حسناً وهم كلهم من اهل البهنسا واصبح يوم الاحد ركب من الكنيسة المقدمة ذكرها وحضر اليه من القاهرة ومصر وما حولها ام لا تحصى واجتمع من الامم الغربية المسلمين واليهود خلق عظيم حتى كانوا متدينين ملة الطريق وبعل الدكاكين والفرج والاسطحة من ميكائيل الى المعلنة ورفعت الصليبان قدامه على العيدان والاناجيل في ثني الابرسفارنيات وكان الشامسة والكهنة يجتمعون احزاباً احزاباً خسین خسین واكثر من ذلك واقبل يقراون قدامه المدايم والتسباح والاراخنه ركب البغال والخليل قدامه ونائب والى مصر واكثر اصحابه قدامه معهم ومجات طبول وبوتقات وشبایه ضربين قدامه وكان قدامه زهاء مائة شععه موقدوه واكثر وكان يوماً ما شهر وما روی في جيلنا مثله وما جاء ما عبروا به من الخراب على الزقوتين بل جاؤا به على دار وكالة دار الملك وسيرا به من راس السوق الكبير الى القلعة وطلع اليها في يوم الاحد الحادى والعشرين من ابيب المقدمة ذكره وكرز بها وطلع الى السنترانس وقرى الانجيل المعروف للبطاركة وهو الذي فيه انا هو الراعي الصالح وهو من يوحنا وفسرته انا الحاطي عليه وكان من الايام المشهورة المشهودة ثم من بعد ذلك اجتمع جماعة من المسلمين وانكروا ما عمل واستبعدوا حمل الصليبان على رؤوس الاشهاد وسط النهار في الاسواق وتحذثروا في هذا واکثروا وحملوا رجالاً فقيهاً متميزاً يعرف بعوض البوشى على ان كتب رقعة الى السلطان فشكوا فيها ما جرى فوقع مولانا السلطان عليها الى والى صر بأن يحضر البطرك ويوقعه على مضمون الرقعة ويتقدم اليه ان لا ينعدى على

الشريعة ويعود الى مكانه ففعل الوالي ذلك واحضره وكان عنده رجالاً معلم كان في مسجد من المساجد التي في الطريق التي عبر عليها البطرك وكان قد لبى رغوث وشعت وقام الصبيان إلى عنده بالالواح التي بايدتهم وفيها القرآن ليستجيشوا ويستثروا الشرّ فلم يوثر ذلك لأن العالم كان عظياً ومهابة السلطة شديدة لا سيما ونائب الوالي وغلمانه قدام البطرك فلما حضر البطرك عند الوالي كلمه المعلم المذكور وقال انت رفعت الصليب وفعلت وصنعت فقال ما علمت شيئاً مما صنع وكنت محمولاً من كثرة الناس ولا اعلم ما كان تم وعاد إلى المعلقة ومعه جماعة من غلمان الوالي لأن المسلمين كانوا وقفوا في الطريق وقصدوا ان يعبوا به فما مكنوا ذلك وعاد إلى كنيسة المعلقة بكرامة ووقار وكانت تلك الليلة ليلة عيد القديس مرقوريوس وقد اهتموا له في كنيسته بالساحل بما ينبغي لأجل العيد والبطرك فامتنع من الروح أول الليل لانه بلغه ان جماعة وقفوا على باب الكنيسة وعبوا بالنصارى العابرين إليها ومنهم من رجموهن ومنهم من لوثوا ثيابهم .!! كان بعد العشا الاخير جاء كهنة بمرقوره ومعهم غلمان الوالي واستدعوا إلى الكنيسة المذكورة وقال له غلمان الوالي ما سيرنا الامير الا في خدمتك نقوم ونحن قدامك ومن تعرض إلى شيء جازيناه وكانت انا عنده اذ ذلك فاشترط عليه بان لا يروح فصرف . غلمان الوالي بعد ان شكره وشكراً لهم وقفت بين يديه الى ان جاء إلى كنيسة بوسوجه وطلع إلى قلادة الاب الراهب ابا بطرس المعروف قبل رهبنته بالسني بمرقوره جاؤه اليه عند ذلك واحتذوه بغير اختياراً من الوحشة وتفضل في ذلك غاية التفضل وعاد بعد ذلك إلى المعلقة مشكوراً ماجوراً ثم ان شيخ كنيسة بمرقوره جاؤه اليه عند ذلك واحتذوه بغير اختياراً منه إلى كنيستهم فبات بها وعيد ثان يوم وكان عيداً عظياً على ما بلغنى لاني لم احضره ولم يجر بحمد الله شيء مما كان يتوقع ولا شاب العيد شايب وكان ذلك اليوم الخميس وكانت عادة الفقها ان يحضروا عند مولانا السلطان عز نصره ليلة الجمعة فاجتمعوا عنده على العاده واجروا ذكر النصارى وركوبهم البغال وامر ما جرى من حديث البطرك فلم يصح الى شيء من ذلك وما كان يوم السبت كان والي مصر قد حضر بين يديه فانكر عليه وقال بلغنى ان اهل مصر تعرضوا إلى البطرك والى كتابيه . واقسم بالله لئن حرج شئ من هذا فكان

قبالته الا روحه واشهر هذا الامر لكل احد واطمانت نفوس المؤمنين وقوى نفس البطرك مع ان السادة المسلمين ما فيه الا من ساعد واحسن السفاره واما هذا كان من العوام وبعض الفقهاء ثم جاء الى كنيسة حارة الروم بالقاهرة في مهار يوم الاحد الثامن والعشرين من ايلول واهم له بها ارشد باقها الشيخ فخر السعد بن زنبور وكان ايضاً يوماً مشهوداً وكان الناس يظنون انه يأخذ الشرطونيه من كل من يكرزه لاجل المبلغ المقدر عليه فلم يجز الامر في ذلك على نظام ولا بشرط وكان يعني من الناس على قدر قدرتهم بغير عسف ولا حيف وشرع في تكريز الاساقفة على الكراسي الحاليه وكرز في يوم الاحد الخامس من مسرى بكنيسة بمرقوره اربعة اساقفة على كرسى سمنود واسنى والواح والبنوان واستمر تكريز الاساقفة والقصوس والشامسة والرهبان والعلمانيين واستقرت القاعدة على انه لا يكرز احداً الا بشرطونيه وكان في الاساقفة من يزن المائى دينار واقل الى المائى دينار والفقير والصاحب حسين دينار والذين من هذه البابه اثنان او ثلاثة والا الجميع من البابه الكبيرة ولم يتكرر من الاساقفة احد بغير شرطونيه سوى مطران دمياط الذي كان قد ترهب وكان يعرف قبل رهبنته بالعميد بن الدهيري وكان قد جا من الشام وسكن مع البطرك المذكور قبل بطركته بدبر القدس فيلاتاوس المعروف بدبر النسطور فإنه لم يأخذ منه شيئاً واما القصوس فكان فيهم من يزن الحمسة دنانير الى ما دونها والشامسة ممن كان يكون له خصم او مناصب يقوم بالعشرة الدنانير واكثرهم من ثلاثة دنانير الى دونها وكانت قضية مستكره الا أنها قد شاعت وذاعت وعرفت والفت ثم انه صرف بعض اولاد الثنائي والثالوث واقام الحجه في امرهم فجات هذه مع الشرطونية فانحرف الراهب ابا بطرس المعروف بالسني قبل رهبنته ولم يرجع يحضر معه في كنيسة ولا يأخذ له بركه مع ان الشيخ نشـ الحلافه ابا الفتوح المعروف بابن المياط قد تغير قلبه من جهته وصار لا يصل اليه ولا يسلم عليه بعدما كان بينه وبينه مما تقدم شرحه متقدماً .

ثم دخلت ستة اثنين وخمسين وتسع مائة وكرز البطرك المذكور منذ بطركته والي ان دخل الصوم من هذه السنة ما يزيد عن اربعين اسقفاً فاما من الشامسة والقصوس فـ لا يعد وكان العذر في اخذ الشرطونيه ما قرر السلطان وتغلق الذى

للسلطان وحمل هو كمال ثلاثة الف دينار والحال على ما هو عليه وكان السلطان اعز الله نصره قد بلغه خروج بعض عسكر الروم والمسلمين قد قصدوا اطراف بلاده بالشرق فخرج الى الشام بالعساكر والمحافل فاما اوائله فاهم نزلوا على امد واقموا عليها جمعه من الزمان فلم ينالوا منها طيلا فرحلوا عنها الا ان احرقوا زراعتها واحرقوا رسانيقها ثم جاوى السويدا اخذوها بمخاومة من كان بها لانه باعها لهم ثم انتقلوا الى الراها فاخذوها بالسيف وقتلوا اكثرا من كان منها واسروا وسبوا وكان اكثراهم المساكين نصارى سريان وارمن وحاصروا القلعة اياماً فاخذوها بالامان من غلام من غلامان السلطان يقال له كوبوح يقال انه صالحهم عليها لانها كان بها مال عظيم وسلاح وقماش يناظر مائة الف دينار فاخذوها واندو معهم ثم انتقلوا الى حران اخذوها واندو قلعتها بالامان ثم ان السلطان اعز الله نصره عدى الفرات فتركوا في كل قلعة من يحفظها وتوجهوا الى بلادهم بعد ان اسروا وقتلوا واصروا ما شا الله فسير السلطان عسكر دنيسر وببلاد ماردين لان صاحبها كان مع الروم فاخربوا البلاد واسروا العباد واخذوا من الكسب ما لا يحصى حتى ان المرأة المستحسن بيعت بخمسين درهما نقره وبالبل ابيت بثلاثين درهما والحروف بدرهم ووصل سيفهم الى القاهرة ومصر ثم عاد السلطان الى حران ونزل على قلعتها وحاصرها اياماً وامتنعت فتصب عليها منجيق مغربي فاخذها بالسيف واسر كل من فيها وكانت عدتهم تزيد عن سبع مائة رجل وسيرا الى القاهرة في القيد والكبوش وانتقل الى الراها نزل على قلعتها وكانت احسن وامن من قلعة حران فلم تمسك مع المنجيق المغربي لانه هد منها بدن يوم علق عليها فاخذت ايضا بالسيف واندو من بها اسرى ووصلوا ايضا الى القاهرة وكانوا زها الف رجل وكان النيل قد بلغ في هذه السنة الى مئانية عشر ذراعاً واحداً عشر اصبعاً وكانت الاسعار رخيصة والاشيا موجوده ولم يكن في البلد شى غاليا سوى السكر فانه كان بثلة دراهم الرطل وانفق في هذه السنة ان وقع في الديار المصرية وباء عظيم وخصوصا بالقاهرة ومصر وضواحيها حتى انه كان يخرج في كل يوم من البلد ما يزيد عن مائتي ميت واستمر هذا من النصف من بايه الى اخر امشير وكان شيئا ما شوهد مثله وقل من لا مرض في هذه السنة ولم يكن في البلدين بيت لم يخرج

منه ميت ثم رفع الله ذلك عن الناس وبقيت عقاب الامراض وكان الى جانب الكنيسة المعلقة مسجد وفيه مادنة عاليه وهو مجاور للطبقة التي سكن فيها الاب البطرك وهي كانت قلية ابا مرقس بن زرعه نوح الله نفسه وكان فيه موزان يسمى سالم ولا شك انه ما كان ينصف من جهة من كان يتولى احوال البطرك

وكان النصارى في هذه المدة كلها مع المسلمين في انصاف عظيم واكرام جسم وود عجم فالله سبحانه يحرس ايامهم وينصر سلطانهم وهو سلطاناً واماهم وهو راعينا وبعد ذلك توجه الاب البطرك الى دير بومقار في الجمعة السادسة من الصوم المقدس ومعه جماعة من اساقفة الوجه البحري ومن القوسos والشمامse ومحفل كبير وكان قد استطلى من السلطان الملك العادل شيئاً من دهن البسم فامر له به فاخذه معه ومضى الى الدير وقدسه في الخميس الكبير على الرسم والعادة وكان معه جمع كبير من كهنة القاهرة ومصر والبلاد فاراد ان يجبر قلوبهم بان يصرفهم في هيكل بنiamin فاغتاظ الرهبان من ذلك وجاوا بالعكاكيز وكسرموا بعض قناديل الكنيسة ولم يلتفت البطرك اليهم بل كل شغله وخرج الى قلابته بات بها واصبح صلاً فيها صلاة الساعة الاولى من الجمعة الكبيرة وادا الرهبان قد اجتمعوا وحضروا اليه وضرروا له المطانوه وسالوه ان يغفر لهم ذلهم ودخلوا تحت كلما شرطه عليهم وكانت لهم عواید ردية ازالهم عنها وجاء الى الكنيسة وفرح وكل العيد وكرز من اراد تكريزه الا ان الرسم ما كان بد منه لاجل ما تاخر من المبلغ المقرر للسلطان ثم توجه الى ثغر الاسكندرية واقام به مدة وجرى له فيها ما جرى في الدير مع كهنتها ثم رجعوا الى الطاعة وموافقة الجماعة وكان هذا البطرك له قوة نفس وصبر واحتمال فما كان يبالي بشي ما يجري ثم عاد الى مصر بعد ان شق بلاد الغريبة واكثر الوجه البحري وافتقد كنائسه والسلطان عز نصره مقيم بالشام والشيخ السنى الراہب معهم بكنيسة بورسجه بصر و هو لا يطيع البطرك ولا يجتمع به ولا يوافق على شيء من اعماله والبطرك لا يصل الى الكنيسة المذكورة وليس له فيها شيء الا ذكر اسمه في القداسات والصلوات لا غير وكان يقول لولا امر السلطان منعت من يذكر اسمه في هذه الكنيسة لأن هذا ما هو بطرک بل هو ضامن البطركيه من السلطان والسلطان لا يخالف ويذكر اشياء ينند بها ويهدى وفي هذه الايام رسم بمحفر جانب البحر على الساحل ليعمل فيه اساس السور الذى رسم ببنائه على مصر والقاهرة فسير الى البطرك ورسم له بان يحضر اصحابه ويحضر مع الناس وعزل له مكان مقدار طوله مایة ذراع في عمق الاساس وقد كان الناس كلهم قد حفروا الاما والاشراف والولاه وساير الناس واليهود اخرجوهم عند خروج النصارى

وكان من حقوق الطبقة المذكورة سطحة من جانب المسجد وكانت مكتشوفة من المسجد فاراد البطرك ان يعمل عليها ستة فنون المودن المذكور ولما عمل طلع هدها وازالها وبقيت التفوس غير طيبة واتفق ان البطرك خرج الى منية صراد ليعيث بها عيد السيد في احد وعشرين يوماً من طوبه وكانت الطبقة المذكورة خالية فاصبح من كانت معه مفاتيح القلابية. طلع اليها فوجد الابواب من برا مغلقة سالمه والباب الفوقاني قد كسر ووضع اخر قد ثقب وباب الخزانه قد قلعت منه حشو و كان ثم قماش كثير وجاء البطرك فما وجد عدم له سوى صنية فضه وصليب فضة كان فيه مفاتيح الصلبوت وجميع القماش سالماً وكانت له قيمة وحضر البوابون فشهدوا ان هذا المكان ما عمل الا من ناحية المسجد واعلموا الوالى بذلك فاخت المودن وحبسه وجاءت شفاعة بعض اكابر المسلمين الى البطرك بسيبه فابى ان يخرجه فتعصب المودنون بالجامع العتيق بعصر وهم جميع كبير وصاروا يجتمعون طوائف ويخضررون الى المسجد المذكور ويؤذنون جميعاً حتى تزعزع الحاره لهم فشكى حالم الى القاضي جمال الدين بن المثل صالح ديوان الاحباس فرسم بان لا يؤذن في المسجد الا مودن واحد وافضى الامر الى ان اغلق المسجد المذكور فاجتمع المسلمين العوام وجاوا في جم غفير الى باب الكنيسة المعلقة جمع لا يحصى وخافت انس المؤمنين وكان يوم الاحد الاول من الصوم والبطرك قد ابدل وهو في القدس وقد قدس قداس كيرلس فجا الوالى وصرف الناس وانفصل الامر على خير ومضى اكثر الجمع الى الامير جمال الدين بن يغمور نايب السلطان وشكوا اليه وقالوا يا مولانا تغلق المساجد وتفتح الكنائس فقال هذا حديث ما يسمع بل ان الجميع تفتح ومن اراد المسجد طلع اليه ومن اراد الكنيسة طلع اليها الا انه لا يؤذن احد ولا يتعرض احد الى احد فهو لاء رعية السلطان وانت اخبر وان كان هذا المسجد فقيراً انا اقوم به الا ان التعذر لا يمكن احد منه فضي المسلمين وجمعوا بينهم شيئاً وبيضوا المسجد وعملوا عنده مصطبةً وبيضوها ولم يجرعنهم الا خيراً

فاستحب الناس وحضروا من كل مكان وحفروا وبقوا كذلك قريباً من شهر ثم أنهوا العمل واستراحوا وكان البطرك يقوم بهم فيها يأكلون وما يشربون ووقف أخذ الشرطونية وقل إلا في النادر والاسعار راخيه والاشيا موجوده والامن عام البلاد وأما الشيخ نش الخليفة ابا الفتوح فان البطرك كان مشى الى منزله ليلة وبات عنده فائز فيه ذلك وصار لا صديقا ولا عدوأ بل على جانب الا انه يكثر الترداد الى كنيسة بوسوجه والاجماع بالشيخ السنى الراهب وكان البطرك قد حرم انه لا يقيم راهب في مدينة ولا ريف الا في ايام الحرام لا غير واستمر الحال على ذلك ثم وردت الاخبار بان عسكر الروم خرجوا وجاءوا الى حران واحرقوا دار العافية التي بظاهرها وسبوا ونبوا وعادوا نزلا على امد يحاصرونها وزاد الماء المبارك واطمأن الناس بذلك وجاء امر السلطان باخراج العساكر ولم يكن حضر منهم الا الاجناد وبعض الامرا القليل منهم والا الجموع كانوا في خدمة السلطان بدمشق فتجهزوا وخرجوا متقاطرين من عشرة وخمسة عشر واكثر واقل وكانت ضعفي ليس لهم شئ تخص اخبارهم ورخيص اسعار الغلات واستقر الحال على ذلك ودخلت سنة ثلاثة وخمسين وتسع مايه وبلغ النيل المبارك ثمانية عشر ذراعاً وثمانية اصابع والاسعار راخيه والخيرات موجودة كثيرة ثم ان جماعة من الاراخنه اجتمعوا وطلعوا الا البطرك بكنيسة المعلقة وقالوا له الى متى تفعل هذه الاشياء التي قد جعلتنا بها سبة بين الام والشعوب قال لهم وما هي قالوا له أخذك الشرطونية على الكهنوت فقال نوفي مال السلطان قالوا له ومن احوجك الى ان تقرر للسلطان مالا قال انتم قررتكم المال للملك قالوا فما كان يتبعك ان تدخل فيه ولا البطركيه طرحت عليك بالشدة بل انت ببرطلت عليها وخطبها ولدك اليوم تسعى فيها عشرين سنة وقد اخربت كنيستنا قال انا ما اخربت كنيستكم بل عمرتها وما كان بي فيها اسقف وقد صار فيها اليوم حسين اسقفا ومن الكهنه ما لا يحصى عددهم وزاد الحديث منهم ونفص اخر الامر انه حلف ان المبلغ الذي للسلطان ما تغلق الى الان وانه بي منه الى ساعة تلك ثمثانية دينار قالوا له فالاساقفة الاخر ياخذون

الشرطونية قال ومن يرضى للأساقفة بهذا والله ما يلغى ان اسفقاً اخذ شرطونيه الا فامتنع وهذه كتبى تتحقق البلاد بهذا قالوا فتكرز اولاد العواني قال اروني قانونا قد منعوا فيه من الكهنوت قالوا عاده كنيستنا وما حرفت به سنه ابابينا قال انا اوافقكم على هذا على انه عاده لكم لا شرع وناموس قالوا ففريد كتابا الى الوجهين القبلي والبحري بعن الشرطونيه وقطع تكريز اولاد من تزوجت رجلا ثانيا قال انا اكتبهما واسيرها لكم وانفصل المجلس على لا شيء ولم يكتب كتابا ولا عمل شيئاً ثم وقع المرض في الناس والموت مثل السنة الخارجة واشد واستمر ذلك ومات ناس كثيرون ومرض البطرك مرضه شديدة قارب فيها الموت ومن الله عليه بالعافية ثم ان السلطان عز الله نصره عاد من سفرته هذه الى القاهرة المحروسة في الثاني والعشرين من امشير اقام به مدة ثم انتقل الى ثغر الاسكندرية ثغر دمياط المحروس في العشرين من امشير اقام به مدة ثم انتقل الى ثغر الاسكندرية واقام بها مدة وكان غرضه على انه يقيم بها زمانا طويلا لاتها طيبة في الصيف وكان قد اهتم فيها بدار ما رأى احد من الملوك مثلها حتى جاء امراً وجب له الخروج منها والجبي الى القاهرة المحروسة وهو ان اخاه الملك الاشرف صاحب دمشق وسنجران تغير قلبه ووقع بينهما شتان فعاد لتدير هذه الحال وكان قد وصل رسول الخليفة من بغداد وهو رجل فقيه من اكابرها ومضى الى السلطان الى دمياط واجتمع به في معنى الصلح مع ملك الروم التي كانت المحاربة بينه وبينه وسير السلطان معه رسولا من قبله وسارا الى ان وصلا الى قيساريه وهي كرسى مملكة الروم للمسلمين فاتفق في وصوتها ان مات ملك الروم المذكور ولم يجتمعوا به وقعد على كرسيه ولده واطلق الاسرى الذين كانوا عنده من عسكر مصر والشام الذي كان ابوه اسرهم في تلك المدة المتقدمة ثم ان مولانا السلطان اعز الله نصره اطلق الاسرى الذين كانوا عنده كلهم الذين اخذتهم من القلاع التي استعادها من الروم وقويت الاخبار بمجاهدة الملك الاشرف لمولانا السلطان ووافقه على ذلك صاحب حمص وصاحب حماه واكثر ملوك الشرق حتى انه طرد نوابه الذين بدمشق واتخذ حواصله التي بها وحواصل ابن أخيه الملك الناصر صاحب الكرك لانه كان في طاعة السلطان الملك الكامل وجاء الى خدمته الى القاهرة المحروسة في يوم الجمعة الثاني من ايب من هذه السنة

وكان يوم عبوره يوماً مشهوداً لأن المدينتين زينتا والاسوار من باب النصر إلى القلعة المحروسة وكان كل أمير يأخذ برجاً وبذنيين ثلثة ومنهم من يأخذ برجين على قدرته ويزينها بعده ورنكه واسلحته والصور العجيبة والحركات المستغربة وكان كل واحد يريد أن يزيد على الآخر فكان أمراً عجياً مستحسناً فاما القلعة فما زينها الا السلطان وخواصه وخدماته الساكنون وكانت كنيسة بطريرية قد انهدت زربتها وأخذ البحر البستان الذي لها وبعض كنائس العلو رخشى على الجامع الذي بها وهو المقياس فخرج السلطان إلى والى مصر بان تقدم إلى البطريرك بمعارتها فنزل بها واهتم بأمرها وعمرها ويقال انه انفق عليها لف دينار وعمرها برسمه قاعة على البحر بشاليك وهم عالية ما ترى احسن منها وقدس بها وجلس على السنطرون وقرى عليه الإبر ولوغنس واخذها من سقف الجبزه وصارت بطريقه وتزل بها وكذلك الديارات في جميع الديار المصرية فإنه جعلها كلها بطريقه ولم يجعل لاسقف حكماً الا في كنائس المدن خاصة ثم انه قدم مطراناً على البيت المقدس والساحل والشام الى نواحي الفرات سيره الى هناك وامتنع لهذا بعض الاراخنه وقال هذا ما لا يجوز لأن هذه بلاد من كرسى انتاكى والكرسيان واحد ويقع بهذا فرق لم تجر به عادة ولم يلتفت بطريرك بل قدمه وجعل الحكم له في تلك البلاد كلها حتى بلاد الأفرنج وسيره لما كان عيد القيامة المقدسة وصل ابا اغناطوس بطريق السريان الى البيت المقدس والكتاغيطس^(١) بطريق الارمن فلما بلغ بطريرك ذلك جهز بطريرك السريان مدينة من هدايا مصر وسیر بها اسقف الخندق وقسیس من قوس مصر فلما رصلوا الى القدس بلغ المطران وصولم فخرج بلقاهم بالاناجيل والمبادر الصليبان وازطم عنده ومضى اسقف الخندق الى بطريرك السريان اجتمع به وسلم عليه واعطاوه كتاب الاب بطريرك وهديته وكانت عود بخور ومنديلين ليلى وشبوقة ابنوس فقبلها واقبل عليهم وقال لهم الاب بطريريك ابا كيرلس حتى وانما هذا الشيطان روى بيننا وافق الكنيسة وما له عندي تصرف يعني لمطران وخرجوا من عنده فنفذ اليهم وسالموا النزول عنده فامتنع الاسقف

وقال انا نازل عند المطران وما اقدر اخرج من عنده الا باذنه ففتح بطريرك السريان من ذلك ورد المدية ومنع المطران ولم يرجع يرى الاسقف وجهاً واما المطران فانه استعان بالافرنج وواحى منهم جماعة وتصرف في كنائس القبط هو شعبه ويقال ان الافرنج اخذوا خطه بان اعترافهم واعتقاده اعتقادهم وان هذه عادة لهم ان لا يتصرف احد من الاجناس الا بعد ذلك وانفصل اسقف الخندق ومن معه على غير طيه ثم ان السلطان عز نصره جهز العساكر اولاً وصار يخرج عسكر ويردفه باخر وفي هذه الايام وردت الاخبار بان التطر نزلوا على اربيل واخذوها بالسيف ويقال انهم قتلوا في جامعها سبعين الف نفس وبقيت القلعة متنعة عليهم وسيراوا الى صاحب الموصل واطاعهم صاحبها وحمل اليهم الآتاوه والازواود والاقامات لأن بينهم وبينه مسافة دون يوم وكانت الاخبار من الشرق والغرب تدل على ان الاحوال مضطربة ووفى النيل المبارك في هذه السنة في نهار يوم الخميس الثالث عشر من مسرى وهو عيد التجلي بطور تabor وكان نيلاً بدرياً وتوالت زيادته وكانت الاسعار رخيصة والاشياء موجودة رخيصة الى الغاية والناس في رخا عظيم وخيارات واسعة ثم دخلت سنة اربعين وخمسين وتشع مايه والماء يزيد الى ان بلغ ثلاثة وعشرون اصبعاً من تسعة عشر ذراعاً وكان لما بلغ ثمانية عشر اصبعاً من تسعة عشر ذراعاً رسم السلطان عز نصره ان لا يرجع ينادي عليه بل ان الخواص علموا ذلك من الرقاع التي كانت ترفع الى السلطان في كل يوم ووردت الاخبار من دمشق بان الملك الاشرف مات ولم يصبح ذلك حتى جاوا العزایه وعملت له الصبحه وفشا الامر ثم ان عماد الراہب المشار الذى كان السبب في تقدمة البطريرك وعاد عدوأ له لما ابعده اجتمع مع شخص يقال له الاسعد بو الكرم ابن ابن اخت البطريرك المتنيع وكان هذا البطريرك قد انتخبه وجعله صاحب سره وكلما يأخذه على يده وشهد قدام الجماعة مراراً انه راضٍ بقوله وان كل ما اخذه على يده وانه قد بي على البطريرك ثلثمائة دينار ذهباً والاسعد عالم بها فوقع بين البطريرك وبينه لامر ما علم فاتفق مع هذا الراہب وعمل اوراً مفصلة باسمها من اخذ منه البطريرك شرطوية وغيرها على يده خاصة في مدة صحبه له الى ان فارقه يشتمل على تسعة الف دينار ومتين واخذها وطلعا بها

إلى القلعة وكانت نسخاً فنسخة تسلّمها الأمير نور الدين بن الأمير فخر الدين عثمان استاذ الدار ونسخة تسلّمها القاضي الاسعد الفايزي الوزير فسيراً احضرها البطرك بحضور الراهب والاسعد وقابلوا بينهم فاتفق الحال على ان البطرك يقوم بالف دينار لبيت المال المعمور وفيها هو يقوم بها كان رجل صابن يعرف بيها وهو من اصحاب البطرك وهو الذي كان يخدمه ويأوي اليه في ايام العلمانية وكان له دكان في الصاغة بالقاهرة فاتفق ان عبداً سرق من القلعة مصاغاً ونزل به الى دكان هذا بها سلمه اليه وتسليمه عليه مبلغاً ثم ان هذا الصابن المذكور تصرف في بعض المصاغ وسبكه فلما كان في هذه الايام علم بالعبد انه اخذ العمله فامسك وضرب وقرر على بها المذكور فأخذ ووكل به واحرق به واستعيد منه اكثر المصاغ وغيره كلما يملكه عوضاً عما عدم منه ثم بعد ذلك رجعوا على البطرك بالطلب وقالوا هذا صاحبك وانت علمت به ورضيت وآخر الحال انهم قرروا عليه خمس مائة دينار اخرى وصار مطلوباً بالف وخمسين دينار وقام بها واماً بها فانه بي في الترسيم اياماً حتى يقوم بما طلب منه حتى انه المسكون وصلت حاله الى ان طلب من الناس وبعد ذلك لما علم انه لم يبق له شيء روى الحب واما العبد فقطعت يده ثم ان مولانا السلطان خرج من القاهرة طالباً الى دمشق في يوم الخميس الثامن عشر من بابه في هذه السنة ووصل اليها ونزل عليها وحاصرها وكان القتال يستجر علىها من جواً وبراً وكان رسول الخليفة رجلاً يقال له ابن الجوزي فشيء بين السلطان وبين أخيه الذي كان بها وهو الملك الصالح غازى فاصطلح على ان يعطي الملك مع بصرى قلعته التي له بعلبك وببلاد اخرى وسلم السلطان الملك الكامل مدينة دمشق وعبر اليها في نهار يوم الاربعاء الرابع من كييف ولم تدخل حمص وحلب في اليمين وكان المرض ايضاً قد فشل في الناس مثل السنين المتقدمة ومات خلق كثیر واقام السلطان بدمشق وعظم امره وعزم على الخروج لأخذ حلب وجهز العساكر لذلك فرض في اثنان ذلك وتوفي في ليلة الخميس الخامس عشر من برميatis الموافق للرابع والعشرين من رجب بالعدد من سنة خمس وثلاثين وستمائة فكانت مدة مقامه بدمشق مائة يوم ويوماً واحداً وكان الخدام متولين امره ولم يعبر اليه احد من اقاربه ولا خواصه من الامرا ولم يوص بشئ فكتموا

امر وفاته وادعوا انه مريض وانه رسم بان تحالف الامرا لولده بان السلطنة له من بعده وهو الولد الاصغر الذي بمصر فحلّنوا جميعهم فلما تكاملت اعمالهم افشاوا خبر موته فندم بعضهم ومن لم يخلف ما حلف وهو الملك الناصر بن المظفر الذي كان صاحب دمشق الذي كان السلطان قد ركب في القاهرة ركوب السلطنه على انه اتابك وولده هذا المخلوف له واركب في دمشق بعد فتحها كذلك فعز عليه هذا الامر وكان اهل دمشق يحبونه لولاه في ابيه وما اعني ذلك شيئاً فاخذ الامرا الكبار والخدم الملك الجواد مظفر الدين بن محمدود بن ابي بكر بن ایوب وهو ابن اخي السلطان المتوفى سلموا له دمشق وجعلوه اتابك الملك العادل صاحب مصطفها وسلموا اليه الخزائن فاعطى وخلع ووهب وقطع وكان كريماً حسن الخلق فاخذ بقارب الامرا والاجناد واحبه الناس الا ان الغلا كان بدمشق وكان لما ورد الخبر بوفاة السلطان الى مصر واستصحه الناس طلب كل أحد الغلة وشحت نفوسهم عليها وتوهوا ان ثم حصراً يقع وارتفاع السعر الى ان بلغ ثلاثين درهماً الاربب والشعيـر ثمانية عشر درهماً والقول مثله ومنع بيع الغله اصلاً الا للطحـانين على قدر غلامـهم وبقي الناس في شدة والقمع لا يقدر عليه ولا الخير وعلى كل دكان زحام حتى لا يقدر احد يعبر عليه وجدارـية الولـاه على دكـاكـين التجـازـين ولا يـاع لـاحـد خـبـز الا بالقـسـط وـاستـمرـ هـذا جـمـعـةـ منـ الزـمانـ حـتـىـ اـطـلـقـتـ الغـلـةـ لـلنـاسـ اـشـتـرـوـهـاـ وـرـخـصـتـ وـكـثـرـ الجـلـبـ وـاهـتـدـىـ الـنـاسـ مـاـ هـمـ فـيـ وـكـانـ الـبـطـرـكـ قـدـ تـوـجـهـ إـلـىـ اـسـكـنـدـرـيـهـ فـيـ اـثـنـاـ الصـوـمـ قـبـلـ وـرـوـدـ هـذـاـ الـخـبـرـ بـاـيـامـ وـبـعـدـ هـذـاـ تـوـاـصـلـتـ الـعـسـاـكـرـ مـنـ الشـامـ اوـلـاـ اوـلـاـ وـجـاتـ الخـزـائـنـ معـ الخـدـامـ بـعـدـ انـ اـخـذـ مـنـهاـ الـمـلـكـ الـجـوـادـ ماـ اـحـتـاجـهـ وـتـكـامـلـ الـعـسـاـكـرـ بـالـدـيـارـ المصرـيةـ وـلـمـ يـقـ بـدـمـشـقـ الاـ اـمـرـاءـ قـلـاـيلـ اـخـتـارـهـ الـمـلـكـ الـجـوـادـ لـمـسـاعـدـهـ وـمـرـاقـتـهـ وكانـ السـلطـانـ الـمـلـكـ الـعـادـلـ قدـ اـحـضـرـ العـربـانـ لـيـاخـذـ عـلـيـهـمـ الـعـهـودـ وـالـإـيمـانـ وـكـانـواـ قـدـ كـثـرـواـ بـالـقـاهـرـةـ حـتـىـ صـارـ فـيـهاـ زـهـاءـ فـيـ فـارـسـ وـخـشـيـ النـاسـ مـنـهـ الىـ انـ وـصـلـ الـعـسـكـرـ وـخـلـعـ عـلـيـهـمـ وـخـلـفـواـ وـخـرـجـواـ وـخـلـعـ عـلـىـ الـامـرـاءـ الـذـيـنـ وـصـلـواـ وـصـلـواـ بـالـمـالـ وـالـزـيـاراتـ فـيـ اـقـطـاعـهـمـ وـكـانـ النـاسـ بـعـدـ مـوـتـ السـلطـانـ قدـ تـكـرـهـواـ الـفـلوـسـ وـالـمـعـاـلـمـ بـهـاـ وـصـارـ فـيـ الـبـلـدـيـنـ سـعـرانـ سـعـرـ بـالـفـصـةـ وـسـعـرـ بـالـفـلوـسـ وـانـهـىـ حـالـهـاـ إـلـىـ أـنـ صـارـ كـلـ دـرـهـمـ وـرـقـاًـ بـدـرـهـيـنـ فـلـوـسـاًـ وـالـدـرـهـمـ

النقرة بستة دراهم فلوساً وضرب منهم وشهر وهم لا يرجعون ثم بعد ذلك
صاروا يبيعونها بالرطل بدرهم واحد ورقاً ونصف درهم ورقاً كل رطل وحدث
في عشية يوم الاربعاء اول يونيو مطر عظيم لم ير مثله في مثل هذا الوقت من السنة
ودام الى يرقة من الليل وكان معه برق ورعد مخوف وكان هذا من جملة
الاعاجيب ثم انهم رجعوا شرعاً في تتمة عمل السور على البلدين من ناحية
البحر والخليج ورجعوا الزموا الناس كلهم بحفر الاساس من المسلمين والنصارى
واليهود وصاروا يسكنون القصوس الذين بالقاهرة ومصر الذين هم قصوس
الكنائس بها وصار اوليك المساكين يتکلفون ان يصيروا اما حشاراً او نقباً
اسطول واخذوا معهم الجنديريه من عند المشددين ويجدون الى المساكين ارباب
الصناعات والمماعشين يخرجونهم يحفرون من بكرة الى الليل ومن كانت له
اجره وزن عن نفسه حق البديل لمن يحفر عنه على ما يشارطه عليه من ثلاثة
درارهم الى حولها وكان رجل من اهل طمبدي وكيل للبطرك على رباع الاوقاف
وكان اشد ما على النصارى هو لانه كان يؤلب عليهم الولاه والمشددين حتى
يقطع مصانعة النصارى لانه جعلها معیشه والبطرك غائب والناس في شده
وهي واقعة بالضفاف خاصة لان الكتاب وارباب الجاه ما كان احد يتعرض
لهم ولا كان فيهم هم من المروه ان يواسوهم ولا من القوة ان يخلصوهم
وبقوا على هذه الحال واما اليهود فانهم تعصبو على جارى عادتهم وواسى
غبائهم فقيرهم وقام كل عن نفسه بيديل من لا يقدر على الحفر وانجزوا ما يخصهم
وتفرغوا لاشغالهم وكان الشيخ السنى الراهب المقدم ذكره منحرفاً متوجعاً
لما يجري على القسيسين ولا يجد من ينجده ولا من يساعد له لانه كان قد انقطع
بكيسية بوسريحه وتترك خدم السلطان عن طاهر بك ولو كان متصرفاً لما جرى
من هذا شى وكان يضارب بالنيه ثم ان الراهب عماد الاخميمي الذي كان سيناً
لتقدمة البطرك وهو الذى قرر للسلطان ثلاثة الاف دينار على البطركيه ما زال
يتسبب حتى ينجز كتاب السلطان الملك العادل الى والى الاسكتدرية بان يسلم اليه
البطرك ويعمل فيه ما يقوله الراهب وينجز كتاباً من اكابر الدولة الى والى البحيرة
بان يسير معه اسقف دمنهور واسقف فوه وكان قصده ان يثبت عليه اشياء
يوجب القطع بحضور اسقفيين فما مكنته والى من ذلك الا انه اخذ معه

قراوغامين وجندارين بالكتب التي معه وعبر على فوه ودمنهور اخذ الاسقفيين معه
ودخل الشغر واوصل الكتاب الى والى فامر والى بان يسلم اليه البطرك واصحابه
المعينين في الكتب وكانت ليلة الاحد والبطرك قد فرغ من النصلة وخرج الناس من
الكنيسة فنعلم البطرك الى طبقه كان قد نزل بها واخذ اصحابه او دعهم السجن
وقصد ان يعمل مجتمعًا بالشغر فاتفق له ذلك لان اكابر البلد كانوا اصحاب
البطرك فاجتمعوا بالوالى وقالوا السلطان ما رسم الا بتسييره تسييره اليه وهو يفصل
فيه هناك فاخذه وخرج واخرج اصحابه مخسنين وهم الكاتب والتلميذان واحدهما
عبده الذي ربه وكرزه شهاساً على دير الشمع ووصل الى القاهرة في عشية يوم
الجمعة في اواخر يونيو فطلع الراهب الى القلعة واخبر بان البطرك وصل فامر
ان يحبس هو واصحابه في حبس القلعة فباتوا فيه تلك الليلة ثم ان جماعة المستوفين
اجمعوا ثان يوم وهو يوم السبت واجتمعوا بالامير الصارم لانه كان استاد
الدار في ذلك الزمان ولم يزالوا به حتى اخرجوه من الحبس وازلواه الى الكنيسة
بحارة زويلة بالقاهرة فجا الراهب الى الصارم وقال له موه على الامير وهذا الرجل
مطلوب من السلطان فحمله وقد قعد هو واصحابه يأكلون ويشربون ورحت
اليهم فضربيوني وعربيدوا على فسیر الصارم الى والى القاهرة بان ياخذه ويخبئه
فجا الراهب من عند والى يجمع عظيم ورهج واخذ البطرك حافياً راجلاً
وامسك كل من وجده عنده وركب بغلته والبطرك ماشٍ وهو يفترى عليه
فلما وصلوا الى والى على تلك الحال وكان رجلاً جيداً اعظم الحال واكرم
البطرك وخلي طريق اولئك الممسوكيين من الناس ما خلا اصحاب البطرك ورسم
بان يقعد في طبقة بالربع الجديد الذي بين القصرين الذي تحته دكاكين الصيارف
هو واصحابه ومعه مرسومون من قبله وزجر الراهب وانكر عليه واقام البطرك
هناك واما الاسقفيان فنزلوا بكنيسة ابو سرجه والراهب معهما عند الشيخ السنى
الراهب ثم ان الراهب السنى اتفق مع اسقف فوه على اوراق عملوها ليأخذوا
خط البطرك بها ان ابقوه في البطركيه منها امانة القبط وان لا يأخذ رشوه على
شرطية احدٍ من رتب الكهنوت وان لا يجعل للمطران في الشام امراً في كرسى

انطاكيه بل تقتصر به على غزة وما ولاها من تخوم مصر وان يقطع اولاد النساء الثنائى الذين يقدموا على رتبة الكهنوت وكذلك العبيد الذين قدمتهم وان يختصر في اللباس على ما جرت به عادة القبط ولا يبدل البدلات التي هي من شعار الملكية وان يوفر اجر الاوقاف على الموضع التي هي موقوفه عليها فيما فبدأ بعارة الرابع المذكورة ثم بالكنيسة والفقرا من كهنهما فيما فضل بعد ذلك استجده به وقف آخر ولا يأخذ رسوم الاعياد التي يأخذها من ساير الديار المصرية بل يوفرها على مصالح الكنائس التي الاعياد لها ومن له رسم فيها مثل اسقف او والى غيرهما فيما فضل كان للفقرا والمساكين وكذلك ديارية الديارات التي اخذها وجعلها له في الديار المصرية ان يوفرها على الديارات لعماراتها والرهبان لضروراتهم وان يأخذ من الدياريye المقررة على البلاد البحري بها العادة ما يكتفيه لنفقة وهو خمسة عشر دينار في كل شهر ويترك باقيا لمنقطع لا يقدر على جزئته فيزهها عنه ويشرى بها دينه او عادم قوته وملبوسه فيريح نفسه ويستر جسده او كائنه تجرى مثل حفر البحر وما يجري مجراه فيحمل ثقلها عن الصعاليك ويرفع البداء عن القوسون الذين عادوا مالاik وان يشتري في كل سنة من مال هذه البيعة ماية اردد قمحا برسم الرهبات المقييات بدبر المعلقة ويصون وجوههن من البدهل واحوالهن من القلة وان يكون كاتبه شيخا اسقفا لا مطعن عليه واشيا ما هذه سيله وسيرت الي الاوراق وقررت عليه فما اجاب الى شئ منها وكان الراهب عماد المبدا بذلك ملازم لباب السلطان ساعيا في عمل الجميع على البطرك فما زال المستوفيون يسعون في امره حتى اخذه امير جندار ضربه ضربا منكرا وطروحه في الزرداخانه وعمل في حلقه طوقا وفي رجله باشه وكان عادما الخيز فلقي شدة عظيمة حتى انهم منعوا من يقتده في الحبس وتسبيوا الى ان اخرجوا البطرك من الطبقه واتزلوه الى كنيسة حارة زويله اقام بها ولم يزل الحال كذلك الى الرابع والعشرين من ابيب وكانوا قد اصلاحوا اكبر الدولة فتحديثوا في خلاصه فخلص وكانت ليلة عيد بومرقوره فنزل كما هو الى كنيسته التي بمصر واصبع ابدل على سارى عادته وزفوه في وسط الكنيسة وطرح له كرسى جلس عليه ومدح وكان يوما عظيا مشهودا واجتمع فيه من الحلق ما لا يحصى وتعدد الى الكنائس وجرى على حالي الاولى واما عماد فانه كان قد اخذ خطه

بان يقوم بيت المال العمور باربعة الف وثمانى مایة دينار الى ذكر انه يظهرها في جهة اصحاب البطرك فما زال الشیخ السنی ومن يختص به يسعون حتى تخلص واستعيد خطه ثم ان البطرك لم يزل يتسلل حتى عبر الى السلطان واهدى اليه هدية فقبلها وسمع منه ما قوى جنانه وبسط لسانه وتسلط به على النصارى واما ما جرى في هذه الايام من الكائنات فان الملك الناصر بن المعظم قصد بلاد الساحل ووصل الى غزة واقطع البلاد وجند الجنود وكان قصده كله دمشق وسير الى السلطان الملك العادل يعلم انه صاحب دمشق معه وانه دعاه الى مطاوعته وان يكونوا معاً يداً واحداً وسيركتبه اليه بذلك فيبلغ صاحب دمشق ذلك وكان الملك الجحواد مظفر الدين بن ممدوح وكان قد استخدم جيشاً قوياً كثيراً مع العسكر الذي معه من مصر فخرج اليه في عدد وعُدد فالتقوا بالقرب من الغور فانكسر الناصر ولم ينج الا بنفسه فمضى الى الكرك واخذت عامة اصحابه واثقاله وازواجه ويزكه وغم العسكرية غناً كثيراً وسررت اعلامه الى القاهرة وطيف بها وكان النيل المبارك قد هجم في هذه السنة من اوها ثم توقف بعد ذلك ووفى في يوم السبت اخر النسی وفيه خلق المقاييس وكسر الخليج وكان في هذه السنة عجائب حدثت في غير وقتها جات زلزلة ظاهرة تبيّنت لكل احد في البيت ومطررت في ايام النسی وقيل انها لا تحدث الا في سنة شح النيل ثم دخلت سنة حس وخمسين وتسع مایه وانهى الماء فيها الى ستة عشر ذراعاً وثمانى اصابع وكان الحسور قد انقطع اكثراها لأنها كانت مدبرة في ايام الملك الكامل فلما مات زالت تيك المهاية ووقع الطمع في قلوب الولاه والمتصرفين فاهملوا امرها فانقطع اكثراها ومنها جسر كان بالجيزه وكان جسراً عظيماً يرد الماء من اراضي البنیسى فانقطع وخرج اليه الامير جمال الدين ابن عمومه مشد الدواوين العمورة واقام عليه مدة وانفق عليه جملة من المال والعده ولم يقدر ان يسدده واتفق على الناس في هذه السنة المباركة شحة النيل وبقطع الحسور ونشفت البلاد بسبب العربان لأنهم كانوا قد اختلفوا بالصعيد ونبوا الناس وسبوا اهل بعض البلاد فقلت الاسعار وصار القمح بدينار الاردب

الحكام رشوى له وما يقوم مقامها في حكم من ساير الاحكام بطركاً كان او اسقفاً او نائباً عنهم او يحيى في حكم لاجل جاه او شفاعة فمن فعل ذلك كان ممنوعاً . الثاني ان يتلقى البطرك مع الاساقفة العلماء على عمل مختصر قوانين في المحرمات والمباحات في الزيجات وغيرها وفي المواريث وترتيب طقوس الكهنوت وتكتب نسخاً عليها خط البطرك والاساقفة بالموافقة وتخلد للكراسي واى حكم خرج عنها كان باطلاً . الثالث ان يجتمع الاساقفة الى القلية دفعة واحدة في السنة وهي من اول الجمعة الثالثة من الحسين والى اخر الجمعة الرابعة منه وان لا يغير القواعد المستقرة في البيع القبطية كالختان قبل التعميد ما لم يقطعه ضرورة وكلامناع من تكريز اولاد السرارى والعبيد ما خلا المسبيين من بلاد الحبشة والنوبه اذا حنت سيرتهم وزكوا للكهنوت ومن كان غير مسيى بل ابن جارية عاهرة غير مكلله فلا يقدم من الان في شى من درج الكهنوت وكذلك اولاد النسا الرواجع من الان لا يقدمون في شى درج الكهنوت وكذلك اولاد الزوجة الثالثة ولو كانت بكر لا يقدمون في شى درج الكهنوت ويعنى من تكفل مراً في البيوت خارجاً عن الكنيسة والقربان ويحرم دخول الحابضات الى الكنائس في وقت حيضهن .. وان يكون كاتب القلية من يختاره البطرك اما اسقفاً واما رجلاً متبرأً .. وان يطلب خط مطران غزة وما والاها بالموافقة على اعتقاد البيعة اليعقوبية المقدم ذكره وموافقة من وافقها ويعنى من يمنعه من الجامع ومى لم يجب الى ذلك قطع وان يكون طقس مطان دمياط الحاضر بها الان مستقراً على العادة لمن يقدمه بها .. وان لا يكرز البطرك ولا الاساقفة على غير كراسيمهم بالحملة ولا يطقوسا احدا الا برضي اهل كرسيه او اكثراهم وبرضي اسقفه الذى قدمه ولا يقبله . اسقف كريسي اخر الا برضي اسقفه الذى هو في كرسيه ولو كان ساكناً عنده واى من انتقل من بلده وكنيسته من غير امر ضروري الى كرسى اخر او كنيسة اخرى فليمنع من كلها ولا يمنع البطرك احداً من شعوب كرسي الاساقفة الا بموجب شرعى اذا ثبت عن اسقفه انه لا يمنعه فليسر البطرك بامرها بمنعه فان تأبى الاساقف لوجه غير مرضى واصر على ذلك يمنعه البطرك وان لا يحل البطرك من منعه اسقفه الا اذا ثبت عنه انه منعه بهوى عن غير وجه شرعى ويكاثبه البطرك دفعه

والشعيرو قرباً منه وما روى قط الشعيرو بسر القمح الا في هذه السنة وغلا كل شى ورخص الذهب حتى مصاريف الدينار بالتقده اثنا عشر درهما وربع وثمان وبالورق خمسة وثلاثين درهما وربع وكان السبب في ذلك كثرة ما اخرج السلطان من الاموال وفرقه على الامرا والاجناد وهو السبب الاكبر في غلاء الاسعار لأن الناس كثرت معهم الاموال وخصوصاً الاجناد واطمأنوا على نفوسهم حتى ان النبيذ القديم اربع باربعه دراهم نقره الجرة لكثرة طلب الناس له والفواده غلت والملبوس والمصاغ والاملاك ايضاً وكانت ايام تشبهها الناس لايام الملك العزيز رحمة الله لطيبها ثم ان الاساقفة حضروا من الوجه البحرى وكانت عدمهم اربعة عشر اسقفاً واجتمعوا في كنيسة حارة زويلة وتحديثوا في امر البطرك وذكروا انهم ما يرضون اشياء تأتى منه عدودها وايقنواها في مسطوركتبه عنه وكتب خطه في طرته بما مثاله فوق البسمة وعلامة بين السطور تكتب الاخوة الاساقفة الرب يبارك عليهم وعلى شعبهم وكراسيهم بالموافقة على هذا المكتوب وما ثبت فيه من الامانة والسيرة المرضية والعادية البعيدة ومن خرج عنه او حاد عن شرطه كان محرومًّا مبعداً من فم الثالوث المقدس الاب والابن والروح القدس ومن فم الثلاثية وثمانية عشر المجتمعين بنقيمه بطركاً كان او اسقفاً انا او اساقفى وليس له حظ مع المؤمنين الله يعيذرنا من ذلك وكان من شرطه بعد الاعتراف بالامانة المستقمية المقررة بمجمع نيقية والمجتمعين المقدسين بقسطنطينية وافس ثم الاقرار بما اختصت به البيعة اليعقوبية مما اخذناه من الاب كيرلس الكبير والابين ساويرس وديسقرس الارتدكسيين وهو اليمان بان المسيح الاله المتأنس طبيعة واحدة اقnon واحد مشيئة واحدة فهو الاله الكلمة وهو الانسان المولود من مريم العذراء ولذلك يصح وصفه بكل الاوصاف الالهية والانسانية ثم من بعد الزام ما تضمنته الكتب الالهية والقوانين الرسولية والجماع المقبولة والعادات المستقرة في البيعة اليعقوبية القبطية التي عليها اعتمادنا في ديانتنا فاما الفصول التي دعا الوقت الى امرها بالذكر طلباً للدوام السلام الاول لا يقدم اسقف من الان الا من كان عارفاً وعملت له تزكية ورضي به شعبه ولا يوخذ منه شرطونيه ولا تباع روح القدس ولا تشرى وكذلك يجرى الامر في تقدمة القسوس والشمامسة وجميع رتب الكهنوت ولا يأخذ احد من

واثنتين بسببه فان اصر الاسقف على ذلك احضرهما كلهم وانفصلما بما يوجبه الشرع .. ومن كرز على كرسى من الاساقفة وعمله فلا تنقص عليه منه بلد ومن استتر بيده كرسى بلاده الى يوم تسطيره فلا يخرج عنه .. واما الديارييه الى توجد من الاساقفة التي للبطرك فلا يوحد على سبيل القهر الا على قدر كراسيمهم وعلى قدر ما يسهل عليهم على سبيل البركه .. وان لا يلزم البطرك الاسقف بان يطمس في كرسيه او يكرز من لا يرضاه اسقف الكرسى او اكثرا جماعته ويساوى بين الاساقفة فيما هو مطلق لجميعهم ومنوع .. وان لا يتعرض البطرك الى ما يدخل الكنائس في اعيادها ورسومها وآوافتها بل يكون تحت نظر الاسقف ولا يخرج عن يده الا من كان قد اشترط عليه ذلك قبل تكريزه ان يكون دخل الكنيسة عوضا عن دياريه الكرسى ولا يخرج عن ايديهم شيء .. من اديرة كراسيمهم الا من كان قد التزم بذلك قبل تكريزه .. وان لا يقبل قول الرهبان بعضهم في بعض الا بعد الفحص الشديد والاخذ يقول الاكثرین المزكين ولا يزعج الرهبان من اديرتهم من غير ضرورة ظاهره ولا يستتاب في الحكم بين الرهبان قوم من العلمانيين بل روسا الاديره ومن يقوم مقامهم من المؤمنين المعتبرين العارفين .. وان لا يمنع اسقف على الامور الصغار من القلايه ومتى وقع فيما يوجب منعه يكتبه البطرك دفعه واثنين ويحذره عن ذلك وبعد ذلك يحضر الى القلايه يتحقق عن نفسه قبل منعه ان وجوب عليه المنع الاغونسس رتبته ارشى ببابا القسوس له ان يقول التحليل على القسيس المقدس ويرفع البخور بعده ويقرب بعده وقبل ساير من دونه من القسوس غير المقدسين واذا حضر مع الاسقف يتناول هو البخور من يد الاسقف ولا يتناول هو البخور لاحد من يده من القسوس وليس له شئ غير ذلك ومن اراد من المؤمنين ان يضرى الى عبد كنيسه من اى كرسى كان فلا يمنعه اسقفه بهذا السبب وهو مسطور طويل الشرح وهذه زبد معانيه اختصرناها خشية من التطويل وتاريخه في سادس توت من ستة خمس وخمسين وتسع مايه وعمل منتصر القوانين في الامور الضرورية الواقعه في الزواج وشروطه والميراث واقسامه وهو باب المؤمنين نسخ عده وكتب عليه البطرك والاساقفة ثم خرج الاساقفة الى كراسيمهم وقد طابت نفوسهم بذلك ثم ان السلطان سير امير من اخض

اصحابه واجلاهم الى دمشق الى الملك الجواد بن عميه يدعوه الى الحضور الى مصر ويأخذ له اى اقطاع شاء وخирه في ذلك وينزل عن دمشق وكان ذلك تغبطا ومتوهما انه اذا وصل الى مصر صار الخيار عليه لا له فكتبه الى الملك الصالح صاحب الشرق امد وحسن كيما وسنجار وغير ذلك مما هو قاطع الفرات يعلمه انه طبيع له وانه يعطيه دمشق اذا اعطاه من بلاد الشرق ما تقدم به فحلف له على سنجار وبلا اخرى معها فلما توثق به سير اليه بان يحضر ويقال انهم اجتمعوا في البرية وتحالفا وعبر الملك الصالح ايوب ابن الملك الكامل الى دمشق وتسليمها وخرج الملك الجواد مظفر الدين الى سنجار وتسليمها واستقر الملك الصالح بدمشق وكان معه عسكرييقال لهم الخوارزميه وكان الناس خائفين منهم لانهم مفسدون في الارض من جنس التطر الا انهم لم يصلوا معه الى دمشق بل كانوا مقيمين في البرية صوب بلاد حلب وما والاها وكان قبل دخول الملك الصالح الى دمشق قد قفز على رسول السلطان الملك العادل الذى تقدم ذكره وهو عماد الدين شيخ التسيوخ بن شيخ الشيوخ وقتل بدار السلطان بدمشق وكان بدعة ما سمع بعثتها وابل رسول قتل الا انهم ذكرروا انه ما قتل الا غيلة عمل عليه صاحب حمص فقتله وبعد ذلك تسلط الخوارزميه على بلاد الشام اخربوها ونزلوا على حمص وحاصروها واعطاهم صاحبها مالا جزيلا حتى رحلوا عنها وسير الملك الصالح الى الساحل اقطعه وكان الغلا في الشام بلغ القممح في دمشق مائتي وثلاثين درهما الغراره وانجلي اكثير اهل البلاد الى مصر مع انها كانت مرتخصه الا انها بالنسبة ارفق ورسم بخروج العساكر الى بلبيس ونزولهم عليها الى ان يومروا بما يعتمدون عليه وخرج منهم جماعة عين عليهم ونزلوا بها ثم ان قوما من المسلمين كانوا مقيمين بالمسجد الذى الى جانب الكنيسة المعلقة جاؤوا الى حايط بينهم وبين الكنيسة تفضى الى مجلس كان البطرك عمله برسم جلوسه تحت قلابته الفوقانية فهدموا منها طاقات وصورة ابواب وادعوا انه من حقوق المسجد وصار فى الكنائس بلبله لأن ذلك كان في نصف الصوم المقدس .. وفي الكنيسة المعلقة بالاكثر وتعطلت من القدس

والصلة اياماً كثيرة في الصيام وكان المسلمون يطعون على سلام إلى سطح قلابة البطرك العالية ويودنون ويذكرون ما يذكرون على ما عهد منهم وجرت في ذلك خطوب وسير امير جندار احضر قوماً منهم وضرهم أشد ضرب وحبس والى مصر منهم جماعة دفعتين ولا يجدى ذلك فيهم وحضر المهندسون وكتبوا مشاريع بان هذا الحائط للكنيسة وما للمسجد فيه شيء ولا في المجلس الذي يليه ودخل في ذلك صاحب ديوان الابحاس وتحذثوا في ان يضعوا نصف نخل من دون الحائط وتسد الحائط على نصف النخل بين الموضعين ولم يجب اصحابنا الى شيء من ذلك ثم تحذثوا في ان يسدوا الحائط المهدوم على حده على ما كان عليه وتهدم الطبيقة العالية وامتنع اهل الكنيسة من ذلك وبقي الامر على ذلك مدة وجاء العيد والامر على حاله ودخل شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبعين وما عدم اصحابنا في هذه المدة غرامة جملة كبيرة وفي هذه الايام اخرج صاحب امد من الاعتقال لانه كان في برج بالقلعة وله مدة طوبه وخلع عليه واعيد اليه كل قماش كان اخذ منه لانه كان محفوظاً مودعاً مضبوطاً وجهز باهله وجماعته ليتوجه في البحر الى انتاكه الى خدمة قريبه ملك الروم صاحب قونيه واقترا وكانت هذه القضية من المكارم العظام التي ابتدعها هذا السلطان ثم ان الغلة اخبط سعرها قليلاً وكان القمح من ثلاثة الى اربعة وعشرين درهماً الاردب والشعير من ثمانية وعشرين درهماً الاردب الى دونها والقول بعشرين درهماً الاردب وتبادر الناس بالشخص لأن الغلال نجحت في هذه السنة نجاتاً ما سمع بمثله وكانت مطرت مطرأً كثيراً لم يجر به العاده في مصر وواتها برودة عظيمة الى اخر وقت ولم يكن في المدينتين شيء غالباً خارجاً عن القياس سوى التبن فانه كان بستة دراهم نقره الشبكه وحمولته والخطب فانه بلغ عشره ورقاً الجمله والزيت الحار فانه كان بخمسة عشرة درهماً العشرة ارطال ثم رسم بخروج بعض العساكر الى بلبيس واقامتهم بها فخرج جماعة من الاما يكونون زهاء من ثلاثة الف فارس فكان منهم امير كبير يعرف بنور الدين بن فخر الدين عثمان فاتفق ان وقع بينه وبين والي بلبيس واقع فصار يكتب فيه الى السلطان ويدرك انه يكاتب الملك الصالح وتجهه رسول الملك الصالح وكتبه فصار ثم توهם منه فخرج الامر بان يتوجه الى رشيد يتركز بها بمفرده وكان هذا

الثغر مما يجرى في حيز الامير المذكور فتوهم ان ارساله الى هناك لشريف ادبه وان يمسك ويخبس فتوقف عن الرواح وكانت اكابر الدولة فاعنى من ذلك وبقي في القلوب ما فيها وكان قد اتفق معه على رايهم جماعة من الامراء وهم عز الدين ايضك الكردي وعز الدين ايضك الحمد لله المعروف بقضيب البان وسيف الدين الدنیسری وسطر الخوارزمي واخوه وعلاء الدين بن الشهاب احمد ونور الدين على بن الاكتع وعز الدين تلبان المجاهدى والركن عمر الفائز وايدكين الغزیزی وعلم الدين سحر البینی وكانوا جميعاً نزلاً في منزلة واحدة ورائهم واحد وكلمتهما واحدة وشاع امرهم وذاع فسیر اليهم السلطان الامير فخر الدين بن الشيخ يطيب قلوبهم ويطمئنهم وكتب اليهم كتاباً يذكر فيه انه ليس عنده خبر مما توهموه وانه يخلف لهم حتى ما يريدونه فطابت قلوبهم بذلك وكتبوا نسخة اليدين وتسلّمها الامير فخر الدين بن الشيخ وعاد الى القاهرة ليتحالف السلطان عليها بعد ان حلف الامرا المذكورون له انهم في طاعته ما لم يغير عليهم امراً وما لم يبدئن شيئاً منكراً وحلف السلطان على النسخة وجالت مع الامير شجاع الدين بن ابي ذكري ثم ان احد الامرا المقدم ذكرهم كان متاخرًا بالقاهرة وهو تلبان المجاهدى الذي كان والي البنیس فخرج منها بغير دستور اعني القاهرة وجاء الى هذه الجماعة نزل عندهم فوقع التخيل ايضاً ولم يفده اليدين شيئاً فرجع فخر الدين بن الشيخ خرج الى العسكر وخرج معه الامير بهاء الدين ابن ملكيسيو الذي كان والي القاهرة مرة وتولى دمشق ايضاً مرة واجتمعوا بالاما وفاوضوهم في هذا الامر وان خروج تلبان المجاهدى بغير دستور ما كان واجباً وانكم رضيتم بهذا وهو قبح الایمان وكان ذلك اليوم الاربعاء الحادى والعشرين من شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبعين الموافق للثانى من بشنس واتفق في ذلك النهار ان جماعة من رجال الحلقة وهم الاتراك اتفقوا على ان يخرجوا ويلحقوا بالاما المقدم ذكرهم وكانوا زهاء الى فارس فاجتمعوا ولبسوا وخرجوا من القاهرة وكان للاما طلاب يعرفونهم الاخبار فجاءهم فارس يركض وخبرهم بان الحلقة قد خرجت لأخذهم وان الفارس خططباً مقدمهم وكان الفارس خططباً المذكور قد خرج الى الجماعة المذكورة ليزدهم هو وامير اخر معه يعرف بالصارم السعودى فاخذوهما وربطوهما معهم

وكان للامرا طلائع فجا فارس ركضا الى الخيم اخبرهم ان الحلقة قد خرجت للقبض عليهم فقاموا ولبسا وركبوا فسمع الركن المجاوي والاكراد • الفيه الاخرى بذلك فركبوا ايضاً لابسين السلاح وعدة الحرب وتواقعوا فاندفع الاما المقدم ذكرهم قدام الجماعة التي من حرب السلطان ولم يزالوا كذلك يقالبوا قلبه الى وقت المغرب وقد وصلوا الى قريب العباسه وحال بينهم الليل وعاد عسكر السلطان الى موضعه وتم الاما على نوبتهم ولم يضف معهم من اصحابهم الا القليل لان اكثراً رجعوا الى خدمة السلطان لاجل بيوتهم واقطاعاتهم وكان قد وقع من جماعة الاما امير يعرف بابن الاكتع واخذ اسيراً واصطنه الامير فخر الدين بن الشيخ والركن المجاوي ومن معهم وذكروا انه فعل ذلك قاصداً لخدمة السلطان واحضر الى القاهرة وخلع عليه وابنى على خبره واما الحلقة فانهم لم يلحقوا الاما ولم يعبروا على بليس بل جعلوها على يسارهم واخذوا من شرقها صوب البريه والاميران الاسيران معهم فاتفاق رايهم على ان يطلقوا الاميرين المذكورين وان ينفذوا من اكابرهم خمسة رجال الى السلطان يستوثقون منه ويستحلقونه ويعودون الى اخبارهم لان الجميع ما كان بهم الا خوف على نفوسهم لا غير فجاء الاميران المذكوران والخمسة الاكابر وتحدوا مع السلطان في معناهم فاجاب الى مطلوبهم وخلع على الخمسة وانعم عليهم وجهزهم وسير معهم احد خدامه وهو المسماى بنان فخرجوا الى ان وصلوا الى الدارoom فلم يجدوهم ولا شك انهم في اثناء ذلك اجتمعوا بالاما قبلوا روسهم واندوهم معهم وصاروا فعاد الخدام والخمسة ولم يصنعوا شيئاً وكانت البلاد فيها قلق واضطراب وخوف واحتياط على موجود الاما وادرهم مرة ثانية لانهم كانوا افروجا عنهم لما توهموا رجوعهم وبعد ايام وصل الملك الناصر بن الملك المعظم الى القاهرة المحرورة في يوم السبت التاسع عشر من بشنس الموافق للثامن من شوال سنة ست وثلاثين وستمائة وزيارت له القاهرة ومصر والقلعة ونزل بدار الوزارة ثم انه شفع في الاما ورجال الحلقة وتقرر انه يسير اليهم يطيب قلوبهم ويحضرهم ووصل ابنه بعده ب ايام يسيرة وما زالت الزينة مستمرة بل زيدت الى ان وصل وبعد هذا بلغتهم ان الملك الصالح خرج من دمشق فجمع السلطان الاما واحضر الملك الناصر واستخلفهم ائم مطيون

محصون وانهم يقاتلون عنه الى ان يموتوا قدامه وهذه العين الرابعة ثم ان قبيلتين من العرب يقال لاحدهما جُذام والاخرى ثعلبة وكانتا باعمال الشرقية وكان بينهما دماً وضغائن قديمة فلما حضر هذا التشويش حسد بعضهم على بعض وأقتلوا ماراً وقتل بينهم جماعة كبيرة وكانت ثعلبة في هوى ملك مصر وجذام في هوى ملك الشام فاستجذت ثعلبة بسبس فجاوهم من بر العرب واستعانت جذام بمزاته وزناره فجاوهم من البحيرة وكانت أيام خوف وحرب وانقطعت الطرق وسير السلطان جماعة من الاما والاجناد لاصلاح ما بينهم فجرروا بينهم عصى الى اجل معلوم بعدهما قتل منهم ثم ابتد للناس رجل خادم يقال له شبل الدولة خادم النبي وادعى انه رأى نبيهم في النوم وقال له خذ الذمه بتغير حلهم فانهم قد خرجن عن حدتهم وشرع في ضرب الناس والاخراق بهم من النصارى واليهود فالنصارى ناخذهم برفع الدوابيب وشد الزنانير واليهود بعمل العلامه الصفرا وصار بعض الجماعة بشد الزنار ونرخي الداربه فانهى الى ان قطع دوبه القس كاتب الحوایج خاناه لانه كان ارخاها وشد الزنار وكان اذا لم يجدهم واحد زناراً قطع عمamته وشد وسطه بها ونودى على ذلك بالاشعار بالقاهرة ومصر في يوم السبت الخامس عشر من ابيب وقع الناس من ذلك في شدة ونقل عليهم لانه شى قد بعد عهدهم به منذ عشرين سنة واكثراً من كان يمكنه القعود في بيته لزم داره واما الحكما الساميون فامر بان لا يتعرض اليهم فبقوا على حالم ولا بد للخادم المذكور اذا لقيهم من ان يذنب وبغيرهم بالكلام وسلم بهذا السبب رجل من خيار النصارى يقال له النقه بن الشهاس وكان صاحب ديوان الحوایج خاناه والبيوت والاسطبلات وديوان الحاشيه فاجتمع عليه الخدام واندوه لشد الزنار فشده فاخذوه برفع العدبه فاني فتكثروا عليه ولذوه فرمي الزنار فقالوا اسلم وشهدوا عليه فاسلم وكان النصارى في هذا الوقت في ضيق عظيم وهو ان اليم واى من لقيهم من العوام والسوق شتمهم وسبهم ثم ان الامر تخلل في امر العدبه فصار بعض الناس يرخيها لكن بامر استاد الدار وهم ثلاثة انفس الذى رسم لهم بارخاء الدوابيه مع شد الزنار ثم انهم اجتمعوا وكتبوا فتاوى واندوها فيها خطوط الفقهاء في امر الدوابيه من العمامه فافتوا جميعهم بأنه لا يلزم رفعها بل شد الزنار خاصة للتمييز بينهم وبين

المسلمين فكان من كتب لهم بذلك الشريف شمس الدين قاضي العسكر وهو نقيب الأشراف وبها الدين بن الحميري خطيب القاهرة وجمال الدين بن البورى الذى كان تولى الوزارة في أيام السلطان الملك الكامل ومبارك المعروف بابن الطباخ وبعد هذا لم يرخوها ه خوفاً من الخادم ثم ان النيل مد وزاد ووصل المفرد في يوم السبت العشرين من مسرى وانحطت الأسعار وبيع القمح بعشرين درهماً الأردب ودونها والشعير بستة عشرة درهماً وبقية الحبوب بالنسبة وكان السلطان الملك العادل قد خرج إلى بلبيس بعساكره وجندوه لما بلغه أن أخيه الملك الصالح قد تقدم من بلبيس وأصلأ إليه ورحل نزل إلى العباسة وكان بعض الجماعة قد سعى سعياً نافعاً في أمر ارضاً الدوابه من العامة فرسم بارخاً بها بشرط شد الزنار وارضاً أكثر الناس ووفى النيل المبارك في يوم السبت العشرين من مسرى وكان السلطان الملك العادل قد دخل المدينة لأجل الخلوق فلما كان يوم الخلوق اتفق أن الخادم المشار إليه كان في البحر واتفق أن فوماً من النصارى كانوا في مركب في البحر وفيهم من هو مشدود الزنار ومن هو بغير الزنار فعرفتهم الخادم والصنف اليهم وحملهم إلى الأمير جمال الدين استاد الدار فسيرهم إلى المحبس بمصر فحمل الامر على انهم جميعاً بغير زنار فضرموا وأشهروا مصر كلها وكانت قضية شديدة على النصارى وتمكن العوام منهم وكانت بدعة عظيمة وكان هذا حكماً من الله تعالى الواحدة في ترك الزنار وانفذا المذهب وأخرى أن الجماعة المذكورة كانوا شمامسة والشمامسة لا ينبغي لهم أن يشهدوا هذه المشاهدة ولا يحضرها مواضع الملاعب ولا المحاجم المدرجة عن المذهب المسيحي إلا أنهم صبروا وشكروا وحسب ذلك لهم برأً ثم ان السلطان في حال دخوله إلى القاهرة بلغه أن العسكر اضطرب عليه وأنه صار فرقاً فخرج على حاله وأمسك ثلاثة امراً أحدهم فخر الدين بن شيخ الشيوخ وليس في الاماكن منه والآخر فتح الدين سليمان ابن أخي الشهاب احمد وكان أخص من عنده هذا السلطان وقد اعطاه الله حمله كبيرة والثالث زين الدين غار فاما ابن الشيخ فخر الدين فجعل في برج بالقلعة وهذا البرج الذي كان فيه صاحب امد واما الاثنان الاخرين فنزل بهما إلى الجب الذي بالقلعة وكان الناس في هذه الأيام في وجل وتوقع وشنائعات كثيرة وكان القمح والشعير والحبوب قد توسيط

سعها فكان القمح أغلاه بثلاثين درهماً الأردب ودونه بعشرين درهماً الأردب والشعير والغول بتسعة عشر درهماً الأردب والحمص باربعين درهماً الأردب الا ان كل شيء غال من المأكول والمشرب والملبوس والعدد والالات العمارة وغيرها وساير المأكولات غالياً السعر والنبيذ باربعة دراهم نقره الجره والشمع بثمانية دراهم ونصف الرطل ولم يكون في المدينتين شيء رخيصاً سوى السكر فانه كان بدرهم ونصف الرطل وهو رخيص بالنسبة لغيره من الاصناف ثم ان العربان كانوا قد طعموا وصاروا يغارون على البلاد فأخذون كل ما فيها ويقتلون ويسبون وفي هذه الأيام غاروا على خمسة وعشرين بلداً في الغربية فجرد لهم السلطان اميرًا يقال له الفارس خطبلاً ومعه الف فارس اقسه وحراريق في البحر فمضوا إلى العربان فوجدوهم قد طلعوا إلى البرية وفاتوهم فجاؤوا إلى البلاد فصاروا يدعون انهم بنون العربان فصاروا ينهبون اموال الناس ويأخذون نسائم ودراريم على انهم اهالي العربان وليس الامر كذلك فخررت البلاد خرباً ثانية وجاء اهل البلاد وقفوا للسلطان فأمر برد ما اخذ منهم إليهم وبقوا في حيره من يأخذون ولمن يتطلبون وقد جرى على حرمهم ما لا يعلمونه الا ان النيل زايد والاحوال متباكة ثم دخلت ستة ست وخمسين وسبعينه والبطريق ابناً كيرلس المعروف بدواود بن لقلق وهو الخامس والسبعين والسلطان الملك العادل ابو بكر بن الملك الكامل محمد والقاضي شرف الدين الاسكندرى المعروف بابن عين الدولة والغالب على الامور السلطانية بدر الدين يونس امير حدار وكان السلطان قد خرج إلى العباسة بالعساكر والجنود وبلغ النيل خمسة عشر اصبعاً من ثمانى عشر ذراعاً ثم ان رجال الحلقة الذين كانوا ناققوه وتوجهوا إلى الشام إلى خدمة الملك الصالح أخي السلطان كاتبوا السلطان الملك العادل وسيروا نقابهم يعرفونه ان قصة حرب لأخيه اوجبت له ان سير يطلب العسكر الذي على غزه مع عمته مجرد الدين وتنى الدين فانهم امتنعوا من الرواح معهم ويستاذنوه في الجبيء ويطلبون عسكراً يمضي إلى غزه يتسلمه لان اولئك تركوا وذهبوا فخلع السلطان على رسالمهم وكانوا منهم واعطائهم الهبات والصلات فصاروا يتواصلون من خمسة عشر وعشرين وكل من يصل يخلع عليه ويعطى الصلة إلى ان تكاملوا وكان الملك الناصر ابن معظم وهو ابن عم السلطان قد اخذ عسكراً

زها الف فارس وفيهم امراً مقدمون مثل ابن قلح وغيره ومضى إلى الكرك قلعته وفي إثنا ذلك عمل الملك الصالح اسماعيل الذي هو أخو الكامل الذي كان نايب الملك الأشرف في دمشق ولما مات الملك الأشرف خرج الملك الكامل إلى دمشق أخذها منه واعطاه بعلبك مع بسرى لأنها كانت له فعمل على دمشق مع روساً يها لانه كان محباً لهم وكان في القلعة ابن الملك الصالح ايوب بن الكامل وكان الملك الصالح المذكور في نابلس قد رابطها ومكث بها والأمراء الذين جاؤوا إليه فسلم روساً دمشق المذكورة إلى الملك الصالح ايوب الذي كان عندهم أولاً وخرج ابن الملك الصالح ايوب وهو ابن ابن أخيه من القلعة هارباً وقعد الملك الصالح اسماعيل بدمشق وجاءت البشائر إلى العباسة إلى السلطان الملك العادل بذلك ودقت البشائر في العسكر بذلك وفي القاهرة ومسر القلعة وزينت المدينتان والقلعة مدة أيام كثيرة وانقض العسكر الذي كان مع الملك الصالح حتى انه لم يبق معه الا خواصه وحتى كادت العرب تنهيه فاستجار بالملك الناصر صاحب الكرك فاجاره وحمل اليه الأزواد والاقامات ثم حمله إلى الكرك فقام بها لانه ابن عمه ثم ان الأفرنج لما انقضت أيام الحدة اخلوا القدس الشريف حتى لم يبق به سوى فارس واحد وسبعين راجلاً يعمرروا في برج داود ثم ان السلطان جرد زهاء النبي فارس من عدّة امراً وسبرهم إلى غزة لحفظ البلاد وكان الأفرنج قد خرجوا إلى عسقلان وتزلاوها وقصدوا عمارتها فركبوا وتجمعوا وجاوا إلى فربسيا فتوأعوا مع عسكر المسلمين الذي كان على غزة فكسر وهم من اول النهار الى الظهر ثم تحابوا عسكراً المسلمين على عادتهم وقد تعب راجل الأفرنج فكرروا عليهم فاسروا منهم جماعة وكان الأفرنج ايضاً قد قتلوا من المسلمين جماعة واسروا جماعة منهم امراً وقادمو فتكاففات القبيتان واما السلطان فعاد ببقية العساكر إلى القاهرة ثم خرج إلى الصيد بعد ان امر ان يوخذ موجود الامرا الذين نافقوا ونهب دورهم ومن كان لهم عنده شيء يوخذ منه وصار الناس يكتذبون بعضهم على بعض ووقع الناس من ذلك في شدة شديدة وطلبو بما لا عندهم ومنهم من غرم ومنهم من حبس واما الاسعار فانها رخصت وانحلت ورجع كل شيء الى حده ما خلا الزيت الطيب والزيت الحار والسيرج واللحم والدجاج والحمص والبيض واللبنان فانها كانت

الزيت الطيب لاجل انقطاع الطريق بثلاثة دراهم الرطل والزيت الحار بدرهم وربع الرطل والسيرج بدرهم ونصف اللحم بدرهم ونصف الدجاج بدرهمين الدجاجة والحمص بخمسين درهماً الاردب واللبنان بخمسة وعشرين درهماً والشعير بثانية دراهم ونصف الرطل والعسل التحل بدرهمين الرطل لأن التحل جميعه هلك في هذه السنة وما القمع فانه انحط الى خمسة عشر درهماً الاردب والشعير الى تسعه دراهم الاردب ثم بعد ذلك انحلت الوعنة بين المسلمين والافرنج على ان الكسرة للMuslimين على الافرنج وذلك ان الذين خرجوا مع الافرنج كانوا من العرب الذين لا يعرفون مكان البلاد ولا اختال المسلمين في القتال ولا حيلهم فسافروا وتفرقوا وامعنوا في البلاد لأنهم ساقوا من عسقلان الى غزة ولم يصحبهم احد من الساحليه المتدررين بالبلاد بل تركوه طعمه على جاري عادتهم في الخامره والمواطنه مع عدوهم على اهل مذهبهم وكان المسلمين قد اندفعوا قدامهم واستجروه الى ان طمعوا وتفرقوا واحدقوا بهم العربان من كل جانب فأخذ منهم كند كبير وزها خمسة عشر فارساً ومن الرجاله ما يناهر خمس مائة رجل وقتل اضعافهم ولم يقتل من عسكر المسلمين سوى ابن خانكان ومن لا يُعبأ به ووصل الاسرى المذكورون الى القاهرة وكان يوم وصلوهم يوماً مشهوداً وركب الكند والخيالة البغال والرجاله الجمال وكان معهم قسيس فركب بقلة ايضاً ثم ان السلطان احسن الى الكند فلم يقيده بل تركه في برج وحده واطلق له كلما يحتاج اليه واما القسيس والخيالة فجعلوا في ارجلهم قيوداً بطرق حديد واما الرجاله فقيدوهم واستعملوهم في القلعة ونزل الملك الناصر صاحب الكرك الى القدس بعد هذه الكسرة وتسليم وقتل كل من كان بي فيه من الأفرنج وخطب فيه خطبة عظيمة على حكم القرآن وبقي الملك الصالح بن الملك الكامل معافاً عند ابن عمه هذا الملك الناصر بالكرك وكانت الاحوال محبطة ورجم الخوارزميه عدوا الفرات وجاوا الى حمص حاصروها اياماً وخربيوا بلادها واحتذوا من صاحبها مالاً ورجعوا والعربان بالصعيد على حالم في الشفاق والنفاق بمحجة ما بين بعضهم البعض ثم ان الغلة رجعت تحركت وبلغ القمع ثلين درهماً الاردب العال الغاية والشعير ثلاثة عشر درهماً الاردب ولم يكن في هذه الايام شيءٌ رخيصاً لا غله ولا غيرها ولا ملبوس

ولا عده لأن الاجناد كانوا قد امتلأوا من عطايا السلطان وغلوا كل شيء
وفسد في هذه السنة أكثر نبيذ الناس حتى انه لا يوجد بيت لم يفسد فيه نبيذ
خمرا كان او شمسيأ ثم ان الراهب عماد المرشاد الذى كان سعى في تقدمه البطرك
بالرشى ودارس قوانين البيعة وفعل ذلك وحده من غير رأى احد اشتراك معه فيه
لا استقى ولا ارخن واقع الله بينهما العداوة لأن القصد كان فاسداً فصار
البطرك يضطهد في كل موضع وينفعه لانه كان قساً وكان هو يتتصدى عبرات البطرك
ويتبع تقايصه ويقاومه في كل زمان ويرومه قطعه كما تقدم من الشرح فجاء
في هذا الوقت وتسبب الى ان استخرج امر السلطان الى امير من الامرا يقال له
الصارم المسعودي بان ينظر في أمر البطرك ويعقد له مجلساً مع النصارى بحضور
سادة المسلمين وقضائهم وحكامهم وعدوهم فشرع في ذلك وكان البطرك قد
طلع الى الكنيسة المعلقة بمصر ليكرز راهبه بها وكان له زمن كبير ما طلع اليها
منذ خرج منها لما استولى المسلمون على قطربها بسبب ما جرى بينه وبينهم
من التفاقم ولاجل النظرة التي حددتها وكانت قد دبرت على ما قدّم من القول
فلما ابدل وخرج الى وسط الكنيسة والشمع قدامه والكهنة يمدحونه على
جارى عادته وكان هناك رجل مخلب يعرف باسرائيل بن المهندس مقينا في علو
الكنيسة فلما سمع بذلك جاء الى موضع يشرف على المكان الذى فيه الجماعة
وسب وذكر قبایع وقال اخرجوه اخرجوه وعمل ما لا يسوغ عقلا الا انه
عادم العقل فاحتدى بعض الجماعة وطلعوا اليه فضربوه وشجووا راسه وجرى
دمه على ثيابه فخرج مستينا الى والى الصناعة وهو من مماليك السلطان فوافا
الراهب عماد عنده قد جآ بأمر من عند الامير الصارم يطلب البطرك فطلع البطرك
ومعه التوكيل ووكل على ابن أخيه والخازن الذى له ويعرف بابي الفرج بن
خلبوصى وجاؤ بالبطرك الى دار الامير الصارم ومعه اسقفان ابا يوساب
اسقف فوه وابا بولس اسقف الفيوم فانزلوهم في طبقة بجانب دار الامير
المذكور وكان له صاحب نصري يعرف بالنجيب كاتب الصلاح فتحادث مع
الامير ونقلهم الى داره واقاموا كذلك من يوم الاحد السادس من الصوم المقدس

الي يوم الاربعاء من الجمعة السابعة وهو التاسع من برموده من السنة المذكورة
عقد المجلس في اليوم المذكور واحضر جماعة من وبنوه النصارى من طلب
وفيمن طلب من لم يحضر منهم لقصد وهم لشغل وحضر المجلس المذكور
الامير الصارم نيابة عن السلطان عن نصره والقاضى الفقيه جمال الدين بن البورى
الناظر على الدواوين العمورة بالديار المصرية والقاضى الحى نائب الحكم العزيز
بالقاهرة المحروسة والفقىء شرف الدين السبكى المحتبس بها وهو كان المتتكلم في
المجلس واربعة عشر عدلا على ما ذكر من حضر من النفقات من اصحابنا فتقدم
البطرك وعماد وجلسا قدام صدور المجلس فقالوا من كان له قول او دعوى
يدعى بها على صاحبه فليقل فتقدم عماد وقال ادعى على هذا داود بانه اعطى
الرشا على التقدمه واخذها على من قدمه من رتب الكهنوت وهو خارج عن
شرعنا فقالوا للبطرك ما تقول قال ما اخذت قال عماد ولا امرت من اخذ لك
قال ولا امرت من اخذ لي قالوا فمن لك يشهد بالاخذ يقولون لعماد قال
هذا الانفصال فقال ما تشهد بشيء ولا رأينا شيئاً لأنهما الاخرين من كان
دفع الرشوة عند تقدمته لانه لم يكن فيما تقدم من هولاء الاساقفة كلهم الذين
قدموا في زمان هذا البطرك من لم يعط رشوة سوى اثنان وهما مطران دمياط
واسقف الخندق لا غير والباقيون جميعهم اعطوا معجلاً وموحلاً وكتبوا
خطوطهم بالمؤجل حتى خرجوا الى كراسيم حيوه وستره و كانت رشوتهم
من مائة دينار وهم الاكثر الى خمسين ديناراً وهم الاقل وذلك خارج عما يدفع
لابن اخي البطرك وهو حمله لها حسد وعن المدايا من المتعة والدواب وغير
ذلك من الاصناف الخصوصية بصفع صفع فقيل لعماد من لك يشهد غير هذين
فقال هولاء قوس المعلقة فاستدعي القس ابو المكارم لانه الكبير كان طقساً
وسناً فقام فقيل له ما تشهد فتكلما وآخر الامر قال اخذ للضرورة وخجل فقيل
اقعد فقعد واستدعي المكنا بصندول العلم القس ابو المعالى بن السنى رفيقه
فشهد وقال اشهد ان هذا البطرك اعطى الرشا على الكهنوت واخذها لنفسه
من قدمه ثم قعد ثم بدأوا براهب يعرف بابا ميخائيل وكان قبل رهبنته يعرف
بغدر الدولة مرجاً وهو كان مساكن هذا البطرك مدة ثلاثة عشر سنة فقام فقالوا
بماذا تشهد فقال اشهد ان هذا البطرك اخذ الرشا على الشرطونيه واعطاهما فقالوا

البطرك هذا راهب مجرد ما يقبل قوله على وقد كان البطرك لما استدعي القوسس للشهادة عليه قال ما يقبل قوله على قبل له فهم عدول قال عدول الا على لان البطرك لا يقبل فيه الا قول الاساقفة قالوا اكتب لانهم كلما جرى شيء سطروه على نصه فكتبو كلما جرى ثم بعد ذلك قال الحكام للبطرك فان شهد عليك الاساقفة قال ان شهد على اسقfan انى اخذت رشوة على من قدمته في رتبة من رتب الكهنوت او امرت من اخذها كنت مقطوعاً من كهنوتي فقال الراهب تحلف فقال البطرك انا ما يمكنني ان احلف لان البطاركة اذا حلفوا سقطوا من رتبتهم قالوا له فان ادعى عليك مدع بما ليس عندك كنت تقر ولا تحلف قال كنت اما اخسر واما احبس ولا احلف فتقرر القاعدة على انه لا يحلف بحال من الاحوال قال فيقسم بنعمة السلطان خلد الله ملكه انه ان شهد عليك اسقfan بأنه اخذ رشوة على تقدمة او اذن لمن اخذها كان مقطوعاً من كهنوته فسيطروا ذلك ثم قال الحكام لعاد هل من دعوى اخرى قال نعم هذا داود قدم على القدس وبلاد الافرنج مطراناً اخرج القبط عن اعتقادهم ومنهم من احتنان وزيجة القراب وصارت كتب الافرنج تaci اليه وكتبه تمضي اليهم وهذا لم تجر به عادة فقال البطرك انا ما قدمته الا على غزة لا غير فان كان قد تدى الى غيرها فما امرته بذلك فقيل له فهل فعل هذا من تقدمك قال لهم هناك قوسس قال عmad كانت القوسس لما كان القدس بيد المسلمين وانت عملت هذا مطراناً والقدس بيد الافرنج والمطران غير القوسس وهو هنا من يشهد بان هذا المطران يتحول الى بلاد الافرنجيه بامرك وقد صار اعتقاده اعتقادهم فقالوا من هو فاستدعي القس الراهب غبريل بن القس مكارم بن كليل عmad وشهد بأنه فارقه بعكا فسيطروا ذلك ثم قيل هل من دعوى اخرى فقام عmad وقال نعم اخذ رجلاً مسلماً يعرف بابي الفخر القلا لانه كان يبيع القلى الذي يبيض به الكتان وقربه فانكر البطرك وكان في الجماعة من يشهد واستمسك فشك ولم يشهد عليه احد بهذه فكتبو ذلك جميعه على انهم يوقفون عليه السلطان ويستخرجون امره بما يعتمدون فيه وجرى ذكر اوقاف الكنائس وانه يتسلم ريعها ولا يوصل ارباب الوقف الى شيء منها وزاد الحديث فيها ونقض وكتب الفصل الآخر وانقض المجلس المسلمين غير شاكرين للنصاري

ولا لقدتهم اما مقدمتهم فكيف لم يكن عنده رياضة الى ان يسوس عقولهم ويولف قلوبهم له واما النصارى فكيف وصلوا مع مقدمتهم الى هذا الحد واما العقالا من النصارى فما رضوا بهذا المجلس ولا استحسنوا ما جرى فيه وقالوا كان من الواجب ان يجتمع الاساقفة والاراخنة ويجتمعون بالبطرك وبعلوه فيما بينهم على كل ما يكرهونه منه مما يخالف شريعتهم وينافي احكامهم فان رجع عن ذلك فهو المقصود وان اصر عليه كان لهم ان لا يتبعوه ولا يذكروه في قداساتهم بحيث يتفق على ذلك جمهورتهم وجلتهم وبعد ذلك انقطع الحديث ولم يظهر لذلك المسطور اثروا ولا وقف له على خبر ورفع الترسم عن البطرك واصحابه ويقال انه غرم في هذه التوبة ثلثاية دينار فاما عmad فانه لما رأى انه لم ينعمل له شيء خرج من ساعته من دار الامير الصارم ولحق البطرك الى الموضع الذي كان فيه ولازمه وما كان جرى منه شيء وكان البطرك قد سير الى الاساقفة بان يحضرها العقد المجلس معتقداً انه يتأخر الى ان يحضرها فوصلوا الى قلوب بعد المجلس في يوم سبت العاشر وكتب البطرك اليهم بان يرجعوا الى كراسيمهم وان الله قد اغنى عن ازعاجهم وان الدايرة كانت على من عانده ووافقه فرجعوا لان طلبهم ما كان الا من جهته لا غير وكان فيهم على ما ذكر من يشهد عليه باخذ الرشى وانما ما وجدوا سبيلاً ولا صادقوه محدلاً وبقي البطرك لا هو طيب مع الجماعة ولا هم طيبون معه لا ظاهراً ولا باطناً ثم ان البطرك مضى في عيد الزيتونه الى كنيسة بوجرج الحمرا وكان مقاماً بها شيخ ارخن يعرف بالصناعة اخي السنى وهو مستوفى ديوان الخزانة المعמורה الذي الدواين كلها راجعة اليه وكان قصد البطرك اصلاح قلبه لانه كان رجلاً عالماً عاقلاً نافذاً الكلمة خالياً من الهوى فبات عنده ليلة الزيتونه وكتب له خطه بان يسلم الاوقاف التي للكنائس لرجل جيد من تختاره الجماعة فان ريعها يصرف اولاً في مرمتها ثم مرمت الكنائس ووقودها وقرابينها ومهمماً فضل فرق على المساكين وليس له في ذلك الا النظر لا غير ولا يتسلم منه درهماً وانه يقيم على مصر اسقفاً وكذلك على الخندق وكذلك سائر الكراسي الحالية من ترتضيه الجماعة ويشهد بصلاحته وانه يقيم بمصر معلماً وبالقاهرة معلماً لعلم الناس ما يشد عنهم ويفسر لهم ما يشكل عليهم ويحرر الكتب والتفسير بحيث انه لا يقف على من يقرأها منها شيء وانه

الباسية ورثتها وكان يوماً مشهوداً الا انه دون اليوم الاول لان الكبير ما ركب ولا رسول الديوان بل الامراء يعشون في ركابه وبعد هذا انتبه البطرك رجل قس يعرف بال McKinley اي اليها من اهل منية عمر وهو كان من اصحاب البطرك وكان يمشي له في جباه الوجه البحري وكان ابطرك قدمه قساً على تغير الاسكندرية وكان قد حصل له غيظ من البطرك لاجل ما يراه من اقواله واحكامه وتصرفاته فضى إلى الصارم المسعودي الذي تولى الامر أولاً وقال له ان البطرك يقول انك اخذت منه مالاً وتركته وان السلطان اذا بلغه هذا لم نامن منه والمجلس ما انفصل الا مقرضاً بحضور الاساقفة وشهادتهم وقد وصلت الاساقفة الى قلوب وردهم البطرك يكتبه واغراه بالبطرك واخرجه الى ان رجع سيراً حضر البطرك ووكل به واقعده في كنيسة حارة زويلة واحضر بن أخيه ابا سعيد ووكيله ابا الفرج بن خلبوص وكاتبته القس سمعان وحبهم وسير احضر ابا يوسف اسقف فوه لأنهم اخرجوا خطه على البطرك لفصول تحفتها في جهته كان كتبها ايام مخاصمتة معه لما اخذ منه الضبيعة المعروفة بدبيه فحبس الآخر معهم وسير الصارم كتبه الى الاساقفة بان يحضروا فحضر منهم احدى عشر اساقفاً وفيهم من كتب خطه تسعة وهم ابا يونس اسقف سمنود وابا مرقس اسقف طلخا وابا يونس اسقف بنيها وابا يونس اسقف لقانه وابا ميخائيل اسقف البرمون وابا غبرياً اسقف سنهور وابا ميخائيل اسقف سنشا وابا افرهام اسقف نسترا وابا مرقس اسقف سنجار وهم من لاحظه اثنان وهما اسقف فوه واسقف اشمون وكتبوا جميعهم خطوطهم بان البطرك اخذ الرشى على رتب الكهنوت واعطاها وهم من كتب انه دخل تحت المنع لانه كتب خطه بشروطه وخرج عنها ولم يبق من لم يكتب خطه منهم الا مطران دمياط واسقف اشمون فانها لم يوافقا على شيء من ذلك وجرت مفاوضات بين البطرك وبين هذا القس وعدده له اشياء منها انه منع اسقف الخندق على اخذ ستة دنانير في ثمن تربه بدير الخندق ثم اخذها منه لنفسه وانه حكم على امراء بان ترد المهر لما كتها مضاعفاً لما ارادت الرهبة ثم خالف الحكم في غيرها وانه كرز اولاد العبيد كهنه واثيا يطول شرحها وشرح ذكرها وكان يقول انا ما افعل هذا الا من شان الله ولابد صلاح كتبه الله وما زال الحال يتعدد والشتاء تتراكم

اى ديراً اراد اربابه ان يكون تحت نظر اسقف ذلك الكرسي الذى ذلك الدير
فيه جعل نظره عليه بشرط ان يحمل ديارية الدير المذكور اليه واثياء من هذا
الجنس كثيرة منها انه يجعل معه اسقفيين يكونان حاضرين لللاحكم والتصرفات
كلها ولا يبت امراً من دونهما فاخذ الشيخ الصناعة الكتاب المذكور وجاء به
الى كنيسة بوسierge الى الشيخ السنى الراهب لانه كان مقينا بها فاوفقه عليه وكان
معه جماعة من الكهنة والاراحنة فا رضى به وقال ان قدم اسقفا على مصر
فا تكون كنيسة بوسierge له واريدته ان يكتب نسخة هذا الكتاب واخرج
نسخة كتاب بخط ابنا يوحنا ابن ابي غالب المتنيج وفيه شرح الامانة والبركة
من الجموع الرابع وفصول كثيرة في امر الختان وتربية الشعر وما يجري مجرى
ذلك فقال الشيخ الصناعة يكتب هذا الكتاب وما فيه شى ردى قال واريد
ان يكتب بأنه يصرف الرهبان في المدن والريف وان لا يرجع بكل عروساً
في يوم رفاع نينوى ولا الرقاع الكبير لاجل دخول الاصوم عليهم وان يعمر
كنيسة المعلقة وذر بو مقار واثيا مثل هذه الامور فاخذ بها الشيخ الصناعة
نسخه وضمن انه يفعلها وتوجه وكان هذا في يوم احد الزيتونه وبعد ذلك
خرج الامر بهدم دار الامير نور الدين بن الامير فخر الدين عثمان الى بدار الديبياج
وهو مقدم الاما الذين كانوا ناقوا وراحوا الى الشام الى الملك الصالح اسماعيل
في العام الماضي فشرع في هدمها في العشر الاوسط من برموده من السنة
المذكورة وهم بهدم دار ابن الشيخ الاخرى التي في درب ملوخيه ولم يفعل
ذلك بل ان رخامها وسلامتها قلع وحمل الى القلعة المحروسة ووصلت في هذه
الايمان رسول امير المؤمنين خليفة العصر المقيم ببغداد بالجامع وتقلیده الوزارة للسلطان
الملك العادل اعز الله نصره ومعهم رسول السلطان المشار اليه الذى كان سيره الى
هناك من مدة ولبسها السلطان في يوم الجمعة وكان يوم الصلبوت العظيم
الثامن عشر من برموده من هذه السنة وطلع الى قلعته المحروسة وكان يوم مشهوداً
وخرجت الطوائف كلها في خدمته ، النصارى وبطركهم وغيرهم وفي يوم
الاربعاء الثالث والعشرين من برموده المذكور ركب ولد السلطان المذكور بمحل
الخليفة بولايته العهد بعد ابيه وكان طفلاً صغيراً مقدار عمره ثلاثة سنين الى
ما حولها وكان وراء خادم راكباً والخلع كانت سوداً كلها لان هذا شعار الدولة

وكتب كاتب البطريرك خطه مفصلاً بالاسماء بان الذى وصل الى البطريرك من رشى الكهنوت وما يجرى مجرىاً أنها سبعة عشر الف دينار وقيل خمسة عشر الف دينار وكسور ثم ان الشيخ السنى المقدم ذكره كان من المساعدين للقس ابى البها لانه كان يرى ذلك من اسباب البر وانواع الاجر فارسل اليه وطلب منه بان يكتب خطه بنسخه كتاب وجد بخط ابنا بولس بن ابى غالب الذى كان قبل هذا البطريرك قد كتبته في اول بطريركته بامانته الارتندكسيه ويقطع من يأخذ شيئاً من الرشى على رتبة من رتب الكهنوت او يعطيها وابوابا من الاحكام والبراء من مجمع خلقدوئه فكتب بالجيمع بخط كاته وكتب خطه عليه بانه صادر عنه وانه قابل بما فيه وقابل له فقال الشيخ المذكور ما يكتب الجيمع الا بخطه ويضيف اليه انه لا يقدم اولاد الرواجع ولا يدخل امراء الى الكنيسة الا بعد نقاها من الحيض بخمسة ايام فكتب الجيمع بخطه وكتب الزيادة التي زادها ثم ان السلطان حضره الامر على الخروج فخرج الى بليس وخرج معه الامير الصارم واقفل ذلك المجلس واجتمع الاساقفة بالبطريرك واتلوا عندهم ولم يقل لهم كلمة الا ان خطوطهم بما كانواكتبوا به قد صارت بيدى الناس نسخاً عده ومن بعد خروج السلطان الملك العادل الى بليس اجمع العسكر على امساكه وان يرسلوا الى أخيه الملك الصالح بان يائى ويتسلم المملكة فاجتمعوا في ليلة يسفر صباحها عن نهار يوم الجمعة التاسع من ذى القعدة سنة ست وثلاثين وسبعين للهلايله الموافق للسابع من بونوه من هذه السنة وكان الذين اجتمعوا رجال الحلقة ومقدموهم ثلاثة من الخدام شيس الخواص مسرور وشبل الدولة كافور والصنفي جوهر التوبى والاشترافية وكان مقدمهم مملوكاً يعرف بابيك الاسمر وداروا حول خيمة السلطان ملبسين الزرد والعدد من العشا الى بكره فلما أصبح النهار عبروا اليه اخر جوه وجعلوه في خركاه في خيمة لطيفة و وكلوا به من رجال الحلقة من يحفظه ليلاً ونهاراً ثم داروا على و طاقات ساير الامراء من الاركاد والمولدين فنبوهها ونهبت ادر كثيرة في مدينة بليس ونهبت الكتاب والحكاما والمغنوه و كانت نوبة عظيمة الا انها لم يسفك فيها دم ثم عادوا الى اصحاب الملك العادل الخواص فاقعوا الحوطه عليهم وعلى موجودهم وكتبوا الى السلطان الملك الصالح ايوب بان يحضر فوصل رسومهم اليه وهو بالقدس

عازم على العود الى الكرك لانه كان قد عجز عن المقام على غزه لان عسكر مصر قدامه ومن ورائه الانفرنج ومعهم صاحب دمشق وكانت نية الملك الناصر من عمه انهم اذا رجعوا الى الكرك اوقع عليهم الحوطه كما كانت اولاً فجاه الفرج بل الملك من حيث لا يحتسب وركب وجاء الى العسكر بليليس فوصل يوم الاثنين التاسع عشر من ذى القعدة سنة سبع وثلاثين وسبعين الموافق للسابع عشر من بونوه واعطى المقدمين الاموال الجزيلة وخلع عليهم وعبر الى القاهرة المحروسة في نهار يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة المذكورة الموافق للحادي والعشرين من بونوه شق المدينة وطلع الى القلعة المحروسة وعزل الامير جمال الدين بن بور من الاستاذ داريه وولاه ثغر الاسكندرية وعزل بدر الدين يونس من الامير جنداريه وولاه القاهرة المحروسة واستخدم المعين بن الشيخ وزيره وسلم اليه الاشتغال وجرد عسكراً الى الصعيد بسبب العربان وقدم عليهم الامير زين الدين بن ابى ذكرى وكان فيهم الامراء والاشراف وعدة امراً وجماعة من الحلقة يزيدون عن الف فارس ثم ان جماعة من النصارى تنجزوا وتقع على رقعة منهم بان تعاد الكنيسة الحلقة الى ما كانت عليه وجاوا الى الوالى شاوروه فامرهم بذلك فقاموا في الليل سلوا الابواب التي كان المسلمين فتحوها وعملوا على انهم قد تصرفوا فيه وكان لهم ضد يقال له بن حوله وهو المؤذن في المكان فجأ الى الموضع التي قد سدت ففتحها وردها الى ما كانت عليه وطلع الى الفقيه عباس خطيب القلعة فحمله في القضية وقال له ان هذا مسجداً وقد تغلب عليه النصارى واضافوه الى كنيستهم فاخذ ذلك معه علم الدين شتايل امير جندار وجاء الى الكنيسة وحضر معهم من عوام المسلمين جموع لا تُحصى وحضر معهم المهندسون وما قدروا ان يقولوا الحق الذي يعرفونه لاجل الجمع وخرجوا على انهم يعرّفون السلطان الذي قد راوه وكان هذا يوم الخميس فلما كان يوم الجمعة وقت الصلاة ووقف في وسط الجامع وقال يا مسلمين من كان اسلام وحميد في مذهبها يحضر نهار غد الى الكنيسة المعلقة واصبحوا طلعوا اليها وكسروا قناديلها وحجب هياكلها واخذوا كل آنية كانت فيها وقيل انهم وجدوا تحت هيكل من المياكل آنية قديمة من الايام المزمنة لم يكن احد يعلم بها من اهل هذا الزمان ولها قيمة كبيرة وجازوا من

ناحية هيكل ساويros وصار ذلك **الجانب الغربي** جميعه في حوزهم وبقيت الكنيسة مغلقة لا يقدس فيها ولا يصلى **واما الملك العادل** فان اخاه الملك الصالح طلع به الى القلعة وجعله في موضع لا يصل اليه احد ولا رجع احد يصعد وبي **النصارى** مذبذبين بالطلوع الى **القلعة** والوقوف للسلطان ولم ينعمل لهم شيء ودخلت سنة سبع وخمسين وتسع مايه في يوم الاربعاء التاسع بالعدد من صفر سنة سبع وثلاثين وسبعين **بالعربيه** والسلطان الملك الصالح ايوب والوزير معين الدين بن الشيخ والقاضى شرف الدين بن عين الدولة الاسكندراني ووالى القاهرة بدر الدين يونس الذى كان قتل امير جندار ووالى مصر عز الدين محمد ابن امرة الشهاب احمد والبطريـك ابـا كـيرلس المعروـف بـابـن لـقـلـق وانتـهـ زـيـادـةـ المـاءـ فـيـهـ اـلـىـ تـلـثـةـ وـعـشـرـيـهـ اـصـبـعاـ مـنـ سـبـعـةـ عـشـرـ ذـرـاعـاـ وـكـانـ المـاءـ قـدـ تـوقـفـ زـيـادـتـهـ مـنـ عـيـدـ الصـلـيـبـ وـقـلـقـ النـاسـ لـذـلـكـ وـبـلـغـ القـمـحـ ثـلـثـيـنـ درـهـماـ الـارـدـبـ وـالـشـعـيرـ عـشـرـينـ وـالـقـوـلـ سـبـعـةـ عـشـرـ وـالـبـرـسـيمـ سـتـيـنـ درـهـماـ الـاـرـدـبـ وـالـشـعـيرـ عـشـرـينـ وـالـقـوـلـ سـبـعـةـ عـشـرـ وـالـبـرـسـيمـ سـتـيـنـ درـهـماـ زـادـ اـصـبـعاـ فـانـ خـلـلـ السـعـرـ قـلـلـاـ وـاـطـمـانـ النـاسـ وـرـوـيـ اـكـثـرـ الـبـلـادـ وـوـرـدـتـ الـاـخـبـارـ بـاـنـ الـافـونـجـ قدـ خـرـجـواـ اـلـىـ نـاـبـلـسـ وـالـغـورـ وـجـاـواـ اـلـىـ غـرـهـ تـزـلـوـهـاـ وـاخـذـواـ الـقـدـسـ الشـرـيفـ وـشـرـعـواـ فـيـ عـمـارـةـ عـسـقـلـانـ وـاـنـ ذـلـكـ بـعـاـفـةـ الـمـلـكـ الصـالـحـ غـازـىـ صـاحـبـ دـمـشـقـ عـمـ السـلـطـانـ وـاـنـ اـعـطـاهـ رـهـانـيـهـ عـلـىـ اـنـ مـوـافـقـهـ وـمـعـاـضـدـهـ وـجـرـدـ السـلـطـانـ زـهـاءـ اـرـبـعـةـ اـلـافـ فـارـسـ يـمـضـيـاـ اـلـىـ غـرـهـ وـخـرـجـواـ وـبـرـزـواـ اـلـىـ بـلـيـسـ ثـمـ اـنـ النـصـارـىـ رـجـعـواـ اـلـىـ مـاـ كـانـواـ عـلـىـ مـنـ مـنـازـعـةـ الـبـطـرـيـكـ وـرـفعـ بـعـضـهـ قـصـةـ اـلـىـ السـلـطـانـ بـاـنـهـ يـتـعـدـدـ مـاـ لـاـ يـنـبـغـيـ وـيـخـرـجـ عـنـ الشـرـعـ وـاـنـ فـيـ جـهـتـهـ لـلـسـلـطـانـ جـمـلةـ كـبـيرـ اـخـذـهـ عـلـىـ اـسـمـهـ وـاـنـهـ اـنـ حـضـرـ اـسـاقـفـةـ وـعـقـدـ لـهـ مـجـلـسـ تـحـقـقـتـ فـيـ جـهـتـهـ فـرـسـ باـحـضـارـ اـسـاقـفـةـ مـنـ الـوـجـهـيـنـ الـبـحـرـيـ وـالـقـبـليـ وـرـسـمـ عـلـىـ الـبـطـرـيـكـ وـبـيـقـيـ فـيـ كـنـيـسـةـ حـارـةـ زـوـيلـهـ عـلـىـ جـارـىـ الـعـادـةـ ثـمـ عـقـدـ الـمـجـلـسـ بـيـنـ يـدـيـ الـمـعـيـنـ الـوـزـيـرـ وـكـانـ الـخـاطـبـ لـهـ الشـيـخـ السـنـيـ الـرـاهـبـ (وـ) اـبـاـ بـطـرـسـ وـاسـقـفـ فـوـهـ الـمـعـرـفـ قـبـلـ رـهـبـتـهـ بـالـفـقـهـ يـوـسـفـ وـاسـقـفـ اـسـيـوطـ وـاسـقـفـ سـمـنـودـ وـجـمـاعـةـ مـنـ اـسـاقـفـةـ وـجـرـتـ بـيـنـهـ خـطـوبـ وـمـنـازـعـاتـ اـخـرـهـ اـنـهـ قـالـواـ عـنـدـنـاـ لـلـسـلـطـانـ ثـلـاثـةـ اـلـفـ دـيـنـارـ وـيـعـلـمـ بـطـرـكـاـ عـوـضـهـ فـقـالـ الصـاحـبـ لـعـضـ الـحـاضـرـينـ يـجـوزـ هـذـاـ عـنـدـكـمـ قـالـ لـاـ يـاـ مـوـلـانـاـ مـاـ يـجـوزـ قـالـ وـمـاـ نـعـملـ مـاـ لـاـ يـجـوزـ

اـلـاـ انـ هـذـاـ قـدـ اـخـذـ مـاـ لـلـسـلـطـانـ وـمـاـ اوـصـلـهـ اـلـيـهـ وـاـنـ اـرـيـدـهـ مـنـهـ فـتـحـدـثـواـ فـيـاـ يـرـونـهـ وـبـلـغـ اـلـامـرـ اـلـىـ الـفـ وـخـمـسـ مـاـيـةـ وـعـشـرـ دـنـاـيـرـ وـكـتـبـ بـهـ اـوـلـادـ اـنـجـيـ الـبـطـرـكـ وـاـوـلـادـ اـخـتـهـ خـطـوـطـهـ وـخـرـجـوـاـ وـقـدـ اـنـفـسـ قـلـبـ الـبـطـرـكـ عـلـىـ اـسـاقـفـةـ وـقـلـوبـ اـسـاقـفـةـ عـلـيـهـ وـنـزـلـ بـيـمـ فـيـ الـقـيـامـ بـالـمـلـعـ وـخـرـجـ اـسـاقـفـةـ اـلـكـرـاسـيـهـ ثـمـ اـنـ السـلـطـانـ جـرـدـ عـسـكـرـاـ يـمـضـيـاـ اـلـىـ اـيـمـ مـقـدـارـهـ الـفـارـسـ وـفـيـهـ اـكـثـرـ الـاـمـرـاءـ الـكـبـارـ الـخـتـشـمـيـنـ وـتـجـهـزـوـاـ بـالـجـمـالـ وـالـمـجـنـ وـالـرـوـاـيـاـ وـالـقـرـبـ وـجـهـزـهـ لـمـ فـيـ الـبـحـرـ مـرـاكـبـ حـرـبـيـهـ زـهـاءـ اـرـبـعـينـ قـطـعـهـ عـمـلـتـ فـيـ الصـنـاعـهـ بـعـصـرـ وـرـكـبـتـ وـحـمـلـتـ عـلـىـ الـظـهـرـ اـلـىـ الـقـلـزـمـ لـتـرـكـ هـنـاكـ وـتـسـافـرـ مـنـ تـمـ وـقـبـصـ رـجـالـهـ مـنـ الـقـاـهـرـهـ وـمـصـرـ الـمـحـرـوـسـيـنـ وـبـلـادـهـاـ وـكـانـ الـجـبـوـسـ وـالـفـنـادـقـ بـعـصـرـ مـلـوهـ مـنـ رـجـالـ اـسـاطـلـ وـانـفـقـ فـيـهـ جـمـلـهـ كـبـيرـهـ وـخـلـعـ عـلـىـ اـمـرـاءـ الـقـدـمـيـنـ خـلـعـاـ سـنـيـهـ وـطـيـبـ الـسـلـطـانـ قـلـوـبـهـ اـلـىـ الـغاـيـةـ الـقـصـوـيـ وـبـذـلـهـ كـلـ جـمـيلـ ثـمـ اـنـ الـمـلـكـ الـجـوـادـ مـظـفـرـ الـدـيـنـ بـنـ مـوـدـودـ وـهـوـ الـذـيـ كـانـ صـاحـبـ دـمـشـقـ وـسـلـمـهـ اـنـ الـمـلـكـ الـجـوـادـ مـظـفـرـ الـدـيـنـ بـنـ مـوـدـودـ وـهـوـ الـذـيـ كـانـ صـاحـبـ دـمـشـقـ وـسـلـمـهـ لـلـسـلـطـانـ الـمـلـكـ الـصـالـحـ وـكـانـ قـدـ اـعـطـاهـ سـنـجـارـ وـلـاـ شـكـ اـنـهـ غـلـبـ عـلـيـهـ بـجـيـهـ اـحـتـالـ بـهـ عـلـيـهـ صـاحـبـ الـمـوـصـلـ فـاـخـذـهـ مـنـهـ وـلـمـ يـقـيـدـ لـهـ سـوـىـ عـانـهـ فـبـاعـهـ اـحـتـالـ بـهـ عـلـيـهـ صـاحـبـ الـمـوـصـلـ فـاـخـذـهـ مـنـهـ وـلـمـ يـقـيـدـ لـهـ سـوـىـ عـانـهـ صـاحـبـ دـمـشـقـ وـصـاحـبـ الـكـرـكـ فـلـمـ يـمـكـنـ مـنـ الـعـبـورـ اـلـىـ الـقـاـهـرـهـ بـلـ بـقـيـ بـالـعـبـاسـهـ وـكـانـ مـعـهـ عـلـىـ مـاـ ذـكـرـ اـبـنـ صـاحـبـ حـمـصـ الـصـغـيـرـ وـابـنـ صـاحـبـ قـلـعـهـ جـعـبرـ فـاـخـرـجـتـهـ لـهـ اـلـاقـامـاتـ وـالـنـفـقـاتـ وـالـكـسـاوـيـ وـالـانـعـامـ وـالـخـيلـ وـالـبـغـالـ وـكـلـ ماـ يـحـتـاجـونـ اـلـيـهـ وـرـسـمـ لـهـ بـاـنـ يـتـوـجـهـوـاـ اـلـىـ الشـوـبـكـ فـتـوـجـهـوـاـ اـلـىـ نـخـوـالـشـامـ صـوـبـ غـزـهـ وـمـاـ وـالـاـهـاـ وـكـانـ السـعـرـ غالـيـاـ بـلـغـ القـمـحـ اـرـبـعـينـ درـهـماـ الـاـرـدـبـ وـالـشـعـيرـ نـيـفـاـ وـثـلـثـيـنـ درـهـماـ الـاـرـدـبـ وـالـلـحـمـ وـالـدـجاجـ وـالـزـيـرـ وـالـسـيـرـ وـجـمـيعـ اـصـنـافـ الـلـاـكـوـلـ عـلـىـ غـلـائـهـ عـلـىـ مـاـ تـقـدـمـ ذـكـرـهـ وـلـمـ يـكـنـ فـيـ الـبـلـادـ شـيـءـ رـخـيـصـاـ اـصـلاـ وـلـاـ صـنـفـ مـنـ اـصـنـافـ وـاـمـاـ الـعـاـيـرـ فـاـنـهـ كـثـرـتـ اـلـحـدـ الـذـيـ مـاـ عـلـيـهـ مـزـيدـ حـتـىـ اـنـ الـبـاـ صـارـ بـارـبـعـةـ دـرـاـمـ نـقـرهـ اـجـرـهـ فـيـ كـلـ يـوـمـ وـالـجـبـسـ بـدـرـهـ وـنـصـفـ حـتـىـ اـنـ الـوـيـهـ وـالـبـيـرـ بـسـتـةـ دـرـاـمـ الـاـرـدـ بـقـنـطـارـ وـلـاـ يـقـدـرـ اـحـدـ عـلـيـهـ وـكـانـ كـثـرـةـ الـعـاـيـرـ لـاـجـلـ كـثـرـةـ الـوـاصـلـيـنـ مـنـ الـشـامـ وـالـشـرـقـ لـاـنـهـ وـصـلـ مـنـهـ فـيـ هـذـهـ الـاـيـامـ اـمـ لـاـ تـحـصـىـ وـبـنـواـ لـهـ اـدـرـكـثـرـةـ بـرـاـ الـمـدـيـنـةـ وـفـيـ سـاـيـرـ الـمـوـاضـعـ وـالـطـرـقـاتـ حـتـىـ

صارت المدينة بمقدار عشرة مدن وهو السبب في غلا الاصناف واجر الصناع وكان الغلا بغیر مصر اکثر من مصر اضعاف مضاعفة وكان السلطان خلد الله ملکه قد رتب موضعًا وسماه دار العدل ورتب فيه ثلاثة اشخاص جندا تعرف بالافتخار ياقوت الحمالی اليماني والشريف قاضی العسکر وهو من سادات الناس ورجل اخر يعرف بالفقیه عباس وهو خطیب القلعة وكان الناس يرفعون اليهم ظلاماتهم ويوقعون لهم على الولاه ويکسون موضع العلان أسماءم الثلاثة واستراح السلطان بذلك وصار ملازمًا للذئه وركوبه وصیده وما هو بصدره ثم ان رسول الافرنج ترددت الى مولانا السلطان في طلب الصلح على ابقاء البلاد التي اعطاهم الملك الناصر بن المعظم ايها بایدیهم وان يتسلموا اسرامهم الذين اخذوا في هذه الوعة القریبة على انهم يعذوهم ايضا الاسرى المسلمين الذين عندهم وتردد الوزیر کمال الدين بن الشیخ شیخ الشیوخ اليهم في هذا المعنى وابت الحال بينهم على ذلك وحلقوا للسلطان وحلف السلطان لهم واخراج الکند الذى كان اسر وانحیاله الذين كانوا معه وخلع عليهم اجمعین وشقوا القاهرة راکین وتوجهوا الى بلادهم في برميقات من هذه السنة ووردت الاخبار بان قاضی نابلس تسلم الاسرى المسلمين وانه خلع ايضا عليهم واحسن اليهم والبلاد التي ربع الفرنج اخذوها وهي القدس الشريف وبیت لم وعسقلان واعمالها وبيت جبریل واعمالها وعمل غزة غير المدينة وطبریه واعمالها ومجدلیانا واعمالها وجل عامله وصفد وکوکب والطور وتبین وھونین والشقيقان وعلى الحملة جميع بلاد الساحل لم يخرج عنهم شی سوی نابلس والخلیل ومدينة غزة لا غير ويقال ان الصلح انا هوم العرب والاسناریه لا غير وان الدیویه لم يخلفوا وفي هذه الايام رسم السلطان خلد الله ملکه بان تهد جميع الادر واما معها وجميع ما بجزیرة مصر وان تعمر قلعة ورسم بشری الادر التي فيها من اربابها لیخدمها ويعمل الابراج والسور مكانها وشرع في ذلك وحرف الاساس وترتب العمل فيها وتضاعف ثمن الاصناف واجر الصناع بهذه الحركة وذكر ان الذى تقرر عمله بدايرها سبعة عشر برجا وان كل برج يحتاج الى احدى وعشرين خنزیره غير الابدان تسم وتدک ثم يبني عليها وسير الافرنج الاسرى الى مصر للعمل في القلعة المذکورة وانزلوهم في كنيسة ابو مرقورة التي بالساحل لاجل قربها

وقع النصارى من ذلك في بليه وهم لان الكنيسة المعلقة جرى فيها ما جرى وهذه الكنيسة هذا حادثا مع ان الحزب كان قد استولى عليها وكنيسة الجزرية ما ندرى ما يكون سببا مع هذا السور المحدث فيها وكل هذه كنائس البطرک التي انتخبا ومواضع سكنته وراحته وفي هذه الايام اسلم اسقف سندفا وكان يقال له ابن السنديوني ودور الحلة راكبا على حصان وقد خلع عليه الوالى فروه وشريوش وكانت بدعة ما شوهد مثلها وسببه انه كان خرج عن الواجب وقع في خطية الزنی وارد البطرک منه ما مکنه منه الشیخ الصنیع رئيس المستوفین خوفا مما جرى وكان السبب في ذلك رجل شناس من كنيسة سندفا منعه الاسقف واوقفه عن التصرف فما زال يرقبه حتى عبرت اليه المره الخاطیه وكانت مسلمة فضی الى والي الحلة اعلمته بذلك لان سندفا جاره من جارات الحلة ما يفرق بينهما الا البحر وكان اذ ذاك فسیر الوالى شاهدین مع الغلمان فاحضروا الاسقف مع المره وضرب ضربا اليها اقصی به الى الخروج عن المذهب وهذه الكبایر هذه تبایحها لانه بعد عن المسيح بالكلية فتخلى معونته عن راکبها فيقعنون في هذه الفخاخ الصعبۃ فتسئل الله تعالى ان يکفینا امرها ولا يخلينا من معونته فان ليس لنا غيرها وفي هذه الايام حضرت امراة من الشرق ومعها زوجها وهي بلحیه مستدیره وشوارب مثل لها الرجال وذکرت ان لها اولادا وانهم في بلادها وكان الناس كلهم يزورونها ويرونها ولا تمنع من احد لا من الرجال ولا من النساء الا انه ما كان احد يعبر اليها حتى يعطي زوجها شيئاً وحصل له من هذه الوجه جملة كبيرة وكان العربان الذين حضروا من الصعيد الاعلى مع العسكر الذي كان توجه اليهم قد قرروا ثمانين الف دینار قطعیه يحملونها الى بيت المال المعمور عن جباریة تعذیبهم وخرجوا الى بلادهم ليجبوا المال ويحملوه وكان السلطان اعز الله نصره قد اخرج مالا جزيلا وسلمه للفقیه بھاء الدين بن الجمیزی برسم مرمة المساجد التي بالقاهرة ومصر المحروستین وما بينهما واحتى بها وعمرت احسن عمارة وبيضت ونقش على ابوابها اسم المؤل سلطان الملك الصالح ایوب وتاريخ تجديدها وعمارتها وهو سنة ثمان وثلاثين وستمائة وكان السلطان قد رسم بعارة قنطرة على الخليج في موضع السد حتى يعبر عليها في ايام النیل الى بستانه المعروف بستان الحشاب وعملت ونجزت

قبل ایام النیل وعبر عليها وكانت الاسعار في هذه الايام كلها غالیة لا تنحل اصلا
القمح لا ينزل عن دینار الاردب واکثر والشعير بثلاثین درهما الاردب ولم يكن
شیء اغلا من الزيت الحار فانه كان بدرهمین الرطل ودرهمین وربع الرطل
واما الشمع فانه بلغ احد عشر درهما الرطل والخطب عشرة دراهم الحمله وكان
الناس في شدة من هذا ومن عمارة قلعة الجزيرة فلما غلت جميع اصناف العارة
وكان السلطان خلد الله ملكه قد اطلع على مخامرہ من اتبک الاسمر وكافور
الفایزی الخادم وكان اتبک في الاسکندریة وكافور في بلیس مجردین فسیر الى
كل منهما امیرا وامسکهما واحتاط على موجودهما وحبس اتبک الاسمر بالثغر
وكافور طلع به الى القلعة حبسه بها ثم تبع كل من توهم منه من المفاسد والاجناد
فامسکهم وحبسهم منهم من هو بالاسکندریة ومنهم من هو بالقاهرة ومنهم
من هو بالقلعة واکثر هولاء من الذين كانوا عملوا على الملك العادل وخلصوه
ثم ان جماعة من الاتراك الذين يقال لهم الاشرفیه كانوا قد تحالفوا على انهم
ينهبون الارکاد الذين كانوا مجردین الى اليمن وياخذون موجودهم ويقتلونهم
ويروحون لانهم جميعا كانوا نازلين بالبركة المعروفة ببركة الحب فشعر الارکاد
 بذلك فسیروا الى السلطان عرفوه فامرهم بالعبور الى القاهرة فجاوا ليلًا واصبحت
ابواب القاهرة مغلقة وما علم السبب وكان السبب لأخذ الاشرفیه فاخذوا من
كل مكان وكان بعضهم يتزیا بزی النساء ويخرج فيعلم به ويؤخذ ومنهم من
جعل نفسه في افراد البصل والجزر وما يجری مجرها لم يخف لانه كان على كل
باب امير باصحابه وجلقه واقامت القاهرة كذلك جمعه ایام وكان اليوم الاول
والثانی اشدھا وكان هذا في الجمعة السابعة من الصوم المقدس وهو اواخر
برمهات ثم استمر الحال على القبض على كل من حصل منه وهم وكثير المحابیس
من الامرا الكبار والصغر والاجناد وبالاکثر المالیک الاتراك وقبض السلطان
على بدر الدين یونس الذي كان ولاه القاهرة وعلى الحادمين الاخرين وهم
مسرور وجوهر النوبی الكبيران وكانوا مجردین بشغیر دمیاط المحروس واحضرهما
إلى القلعة حبسهما فيها واحتاط على موجودهما وفي هذه الايام خرج الافرنج
من کنیسة بو مرقوره لما توجه اکثرهم الى بلاده وهم الذين كانوا اخذوا في
هذه التوبة القریة مع هذا الکند وبقي منهم ناس قلائل نقلوا الى موضع اخر

وجريدة العساکر الى غزة والاسکندریه ودمیاط وخرجوا اولا اولا وبطل
تجريدهم بالذلة ولم يسافر سوی ثلثاية فارس او اربع میه اتراك سيرا الى
مكة قصداً ابعادهم وقبل انهم لما خرجوا الى البرية اخذوا العرب الذين كان
معهم ربظهم وقالوا لهم ان لم ترنا طريق الشام ويخرونون بنا اليهم والا قتلناكم
وانهم فعلوا لهم ذلك ثم ان السلطان اعز الله نصره جهز العساکر الى الشام وكان
قصدهم نابلس ان يأخذوها من الملك الناصر بن المعظم فخرجوا الى غزة
وكانوا زهاء ثلاثة الف فارس ومقدميهم کمال الدين بن الشیخ وعلاء الدين
قراسنقر الساق ومعهم من الاعراب جماعة كبيرة وكان الملك الج Howard مظفر الدين
بن مددود الذي كان صاحب دمشق اولا وسلمها للعمولى السلطان الملك الصالح
ایوب ودفع له عوضها سنجار وباعها للخليفة قد وصل الى العاشر في خدمة
مولانا السلطان الملك الصالح وقصد العبور الى القاهرة والمجتمع بمولانا السلطان
وان يأخذ معه العساکر ويمضي الى دمشق يفتحها فلم يتمكن من العبور الى
القاهرة ولا اجتمع به المقام السلطاني وكان معه ابن صاحب حمص الصغير
وابن صاحب قلعة جعبر فاخذوا لهم الانعام المال والخلع والخليل والاقامات
ورسم لهم بالاقامة بموضعهم وانفق خروج العساکر فتوهموا انها طالبة لهم
لتسلکهم فرحلوا ووعروا في الطريق حتى اجتمعوا بالملك الناصر واتفقا معه
على انهم يد واحدة مع من والاهم وعلى من عادهم ثم ان العسكر المصري
طمعوا فيهم فركبوا بعد ان لبسوا وطلبوا عسكر الملك الناصر وكان
مقدمه الج Howard وكانوا على ما ذكر ثلثاية فارس لا غير وكان قد اخذوا على عسكر
مصر المضايق وستقهم الى راس العقبة التي من نواحي القدس التي على طريق
بيت توبه وطاع شالیش عسكر مصر ومقدمه علم الدين سنجر الفخرى ومعه
الشجاع الاكتن والامیر احرى والمسابك هولاء امراء واما من اجنادهم فكثیر
فاخذوا باجمعهم بعد ان قتل منهم ما قتل ولما رأى ذلك من كان ورائهم من
الاطلاب لم يردونهم بل رجعوا منكسرین ولم يطلعوا العقبة بل تموا منكسرین
إلى غزة ولم يقفوا في غزة بل خرجوا منها طالبين مصر فلما علم عسكر الملك
الناصر ذلك تعوهم وخرج عليهم العربان الذين كانوا معهم وغيرهم ونبیوهم
فلما يبت لهم شيء والذی سام میهم رجع برقبته راجلا ووصل عسكر الشام الى

موقع الخزانة وكان كمال الدين بن الشيخ عندها فأخذت الخزانة عن اخرها واخذ كمال الدين اسيراً ومضى به الى الملك الناصر ونانت كسرة ما رأى اعجب منها ان ثلاثة كسروا ثلاثة الف او يزيد عنها ووصل عسكر مصر الى بلبيس واخرجت لهم الاقامات والازواد ورسم بعورهم الى القاهرة ولم يواخذهم السلطان بشيء مما جرى وبقوا على اخبارهم وكذلك الذين في الاسر بقيت اخبارهم عليهم ولم يقطع الا خبر فخر الدين بن جلدك لا غير وقيل انه بسبب عصفه بالاجناد مع انكساره من غير قتال وبعد ذلك وقع بين الملك الناصر والملك الجواد خلف وتوهم منه مخامة عليه وخفافه على نفسه فامر بالقبض عليه فقبض عليه وارد توجهه الى الكرك ليحبسه فيه فاشير عليه بان هذا ملكا شجاعاً ومن اهل بيته ومن الواجب ان تخرج من البلاد وتطرحه في البرية التي تأخذ الى الشرق وبغداد ويمضي برقه وبخته ان نجا كان وان هلك لم يكن في ذمة الملك الناصر منه شئ فامر بذلك وما توجه الى البرية عمل على عوده الى الشام وقيل انه ارغب العربان الذين معه حتى اوصلوه وقيل انهم لما ترکوه تسبب ومضى الى الشام واجتمع بالملك الصالح عم صاحب دمشق واتفقا ومشت الرسل بين مولانا السلطان الملك الصالح صاحب مصر وبين الملك الناصر واصطلحوا وتحالف كل منهما لصاحب وسير الملك الناصر الاسرى الذين كانوا عنده كمال الدين بن الشيخ والاما الذين كانوا معه بعد ان خلع عليهم وحسن اليهم وقد كانوا قبل ذلك في هوان وتهديد وتحقيق ولم يعد منهم الا الشجاع الاكثر قيلاً انه قتله لانه نافق عليه وغدر به مرتين وقيل انه جعله في الجب في الكرك والله اعلم ثم ان الملك الصالح صاحب دمشق خرج مع من ضامه ووافقه من ملوك الاطراف مثل صاحب حمص وصاحب صرخد والملك الجواد التي التجأ اليه وجاء الى نابلس واستغلها ووقع على شرذمة من عسكر الناصر فهزمهما واسر منها ونهب ووصلوا الى غزة فرحل العسكر المصري عنها وتاخروا وكان الانفرنج قد خرجوا معهم لانهم اعطوه الساحل جميعه ووعدوهم بشيء اخر اذا نجح قصدهم ورجع مولانا السلطان اعز الله نصره جهز العساكر واخرج

خيته ودهاليزه ضربها على الخندق واهتم بالسفر وخرجت العساكر اولاً او لا وهم من وصل الى العباس ثم وردت الاخبار بان العسکر الشامي تاجر عن غزه ثم وردت الاخبار باتهم ورجعوا فتوقفت الحركة الا ان مولانا السلطان صلح مع الملك الناصر وفي هذه الايام زاد النيل زيادة جيدة وطلع على العماره التي عمرت بالجزيره وبطل العمل منها ما خلا الادر والمناظر السلطانيه المحدده فان العماره كانت فيها مستمرة وفي هذه الايام نزل رجل من الاجناد وكان من مشدي عمارة الجزيره في القاعه التي كان البطرک عمرها بكنيسة الجزيره وقام بها اياماً وتندک البطرک بسيباً وتحدث للناس بان هذا هو الذي كان يخشى ويخدر لأن هذه لو كانت على حالمها من داخل الكنيسة وهي موضع لا يوبه له ما تعرض احد اليها وهو امر يودى إلى خراب الكنيسة ويطرق اليدى الغريبه اليها ثم ان المذكور خرج منها وهو المعروف بسيف الدين بورنا السهمى ثم ان النيل المبارك وفي ست عشر ذراعاً في نهار يوم الاثنين التاسع عشر من مسرى المواقف الثالث من صفر سنة تسع وثلاثين وسبعين الهلاليه وقد كان امر بعقد جسر من مصر الى الجزيره فعقد وكان فيه احد وعشرون مرکباً وكان عرضه يسع جملين محملين احدهما جائعاً والآخر رائعاً ولا يزدحمان ووجد الناس به راحة عظيمة ولما قربت ايام النیروز جا مولانا السلطان الى الجزيره وقام بها هو وخواصه وكان على عمل المقاييس المقادع الذي اخرجه على العمده وهو الذي عمله ولم يكن فقط لانه لم يكن تم قط سوى بسطه والمقادع كان داخلاً منها فعمل هذا السلطان هذا المقادع وجاء بدعيه حسنة وهو ادام الله ايامه كل ما يعمله ويقرره ما يحيى في الدنيا اوقع منه ولا احسن ولا اوزن فجحا احد الخدام ويعرف برشيد الصغير نزل بالقاعه التي للبطرک التي بكنيسة الجزيره المقدم ذكرها وبكان البطرک قد خرج منها ومضى الى دير الشمع وكان من الانفاقات المقاربة ثم رسم بعقد جسر على الماء من الجزيره الى الجزيره واهتم به وكان المهم بجمع العابير الامير جمال الدين بن يعمور وخرج الخادم المذكور من القاعه ولم يبيت بها سوى ليلة واحدة ثم بطل الجسر المذكور لعدم المراكب التي تصلح له وقيل انه أخر الى ان ينزل النيل المبارك فيقل ما يحتاج اليه من المراكب وكان النيل يزيد والسعر يزيد والغلاء في كلما في الارض وكانت مصر في تلك ارجع من غيرها واصبح لانه

ذكر ان القممع بدمشق يسوى ثلثاية درهم نقره الفراره وهى اردن بالمرى
وأنجرة الطحين ستون درهما نقره لأن أمهارها جفت وارتخل أكثر الناس من
المتاعبين والصعاليك وغيرهم من الشرق والشام وسائر الامصار الى مصر وصار بها
من الخلق ما لا يجد ولا يوصف وهو كان اكبر الاسباب في الغلاء
ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وتسع مائه والسلطان خلد الله ملكه واعز نصره
الملك الصالح والوزير معين الدين بن الشيخ القاضي شرف الدين بن عين الدولة
الاسكندرى والبطرك ابنا كيرلس المعروف بابن لقلق والماء متزيد والاسعار
مشحطة ووردت الاخبار بكسر عسكر الشام ورجوعهم الى دمشق مخذولين
كسرهم عسكر الملك الناصر بن المظيم وجات رسائل الفرنج بطلب الصلح من
مولانا السلطان اعز الله نصره وهم رسائل الديوبه والا العرب اصحاب عقلان
وغيرهم من اكبر الفرنج كانوا صلحاء مع مولانا السلطان وهولاء الذين كانوا
مع صاحب دمشق لما رأوا خذلانهم وانتصار صاحب مصر عليهم رجعوا
إلى الموادعة والمسالمة وطلب المدنه على ما في أيديهم ثم ان مولانا السلطان
اعز الله نصره اطلع على خيانه من بعض الامرا ردا الله كيدهم في نحرهم فقبض
على واحد منهم يقال له ابن فلاح وكان من الاشرفيه وكان مولانا السلطان قد
احسن اليه غاية الاحسان فكفاوه بما لعنه ثم قبض على اميرين كبيرين من الارکاد
وهما بهاء الدين بن ملكيشوا وناصر الدين بن بوطاس وصبر الثلاثة الى قلعة صدر
تحت الحوطه بعد حجز جميع مالهم وانهى النيل المبارك في هذه السنة الى ثمانى عشرة
اصبعا من ثمانى عشر ذراعا وجاء مجيأ مليحا وثبت على الاراضى ثباتا مليحا
الا ان الاسعار كانت متزايدة في كل شيء من الماكول وغيره حتى الكسوات
والعيير والعلم يكترون بالديار المصرية من الشام والشرق والعراق لاجل الغلاء
الذى هناك ثم ان مولانا السلطان عز نصره قبض على امير كبير من الاتراك من
ماليك ابيه يعرف بسنجر اليمني ويقال انه اخرجه من البلاد وجماعة من المغاريد
المعروفين وغير معروفين وعزل القاضي شرف الدين قاضى القضاة من قضا مصر
واقتصر به على قضا القاهرة والوجه البحرى واستخدم فى قضا مصر مع الصعيد
رجالا كان قاضى سنجار وهو من اصحاب السلطان عز نصره وكان قد سير اليه
كتابا احضره لانه كان خدم السلطان خلد الله ملكه ايام كان بسنجر وبذل الجهد

في خدمته وارتفعت الاسعار حتى ان القممع بلغ خمسين درهما الاردب والشعير
خمسة وثلاثين درهما الاردب وبندر الكتان ثلثاية درهما الاردب والسلجم
مثله والزيت الحار ثمانية وثمانين درهما القله والجميع من هذه السنة ولم يكن
في البلاد شئ رخيصا بالحملة الكافية واما اصناف العيير فما يقدر عليها لأن
الناس مع الغلاء ما كانوا يقترون من العيير مع العيير السلطانية التي ما كان قط
مثلها وكشفت الشمس في الساعة التاسعة من نهار يوم الاحد تاسع بابه من هذه
السنة واستغرقها الكسوف بحيث ان النجوم ظهرت في ذلك الوقت واورد
الناس السرج في الدكاكين والحمامات ثم بعد ذلك انجل الكسوف اولا اولا الى
ان رجعت الشمس الى حالمها وظهر النور كما كان وقيل ان هذا الكسوف
لم يعقل احد مثله وقال قوم من المشايخ انه كان مثله في ايام الملك الناصر
صلاح الدين سنة اخذ القدس من الفرنج ويكون لهذا الحديث اليوم خمس
وخمسون سنة وارتاع الناس لهذا الامر ارتياعا عظيا وقالوا ماذا يكون من
هذا الحادث ووصل رسول الانبرور الى الاسكندرية ومعه اموال عظيمة
ويضائع جزيلة وتحف كريمة وقيل ان المركب الذي وصل فيه تسع مائة بخار
وان اسمه نصف الدنيا ، وتأخر وصوله الى القاهرة ثم اذن له في الحجي فاحضر
في البر وطول به في الطريق ودور به من على القبuum وجاء الى الاهرام وعدى
من الجيزة وكان معه زعاء مائة رجل وكان يوم وصوله عظيا زينت له المدينتان
وركب العسكر جميعه وتلقاه وخرج الناس اجمعون وكان الرسول المذكور
وريقه لانهما كانوا اثنين على فرسين من خيل التوبه الى مولانا السلطان اعز الله
نصره وجاوا بهما وازلواهما في الادر السلطانية التي تحظى دار الديباچ المعروفة
بسكن الصاحب بن شكر فالكبير منها وهو الذي يقال ان على جسمه ثوب
صوف في الدار الكبيرة والصغير في الدار التي على باب درب الشيخ المعروفة
بسكن عز الدين ابن الصاحب المقدم ذكره واطلق لهم من الرواتب والضيافات
والانعام والاطلاقات ما لم يسمع بمثله واقام الرسولان اياما لا يجتمعان بمولانا
السلطان خلد الله ملكه ثم استدعاهما وسير اليهما خيل التوبه ولاصحابهما ما يركبون
لائهم كانوا وصلوا في البحر وكان يوم طلوعهما الى القلعة المحروسة مثل يوم
وصولهما واقاما في البلاد لاجل الشتا في الضيافة والكرامة والدعوى والفرح

والصيد ورمادة البندق ثم ان الاخبار وردت بان العسكر الذى كان مجرد بقوص وكانوا اتراكا وكان مقدمهم رجل يقال له طفربل الحجاجي الزاهد نافقا وجعلوا هذا طفربل سلطانا وقبضوا على والى قوص واستادوا الزakah والحوالى والخرج وتصرفوا في الحوافل الا انهم لم يتبعهم احد على ذلك من العربان لخوفهم من السلطنة فجرد لهم السلطان زها الى فارس وقدمها الركن الهيجاوي في بر الشرق وسير الاصراف في بر الغرب فجمعوا من عشائرهم وقبايلهم ما يزيد عن الفي فارس وساروا الى ان وصلوا الى منية بنى خصيب فوصل رجل من الصعيد زاهد معظم المسلمين ويقال ان له كرامات وقد كان وصل الى القاهرة وبخل من السلطان والوزير وساير المسلمين فجاء الآن في طلب الامان هذه الطايفة المنافقة وسد باب الفتنة وحقن الدماء وكان مسكنه دمامين من الصعيد ويعرف بالشيخ مفرج وجاء في حراقه في اربعة ايام واجتمع بمولانا السلطان واحد لهم الامان ونوجه على فوره في حراقه وكان العسكر قد وصل الى حدود اخيم فاعطائهم الامان فنزلوا عما كانوا عليه واطاعوا وجاؤوا الى خدمة الامير الركن الهيجاوي وعادوا جميعا الى القاهرة المحررة ولما وصلوا لم يروا مولانا السلطان وجهها وبعد ايام رسم بالقبض على جماعة منهم معينين وقيل انهم بقوا وقيل بل حبسوا في بعض المدن واما باقيهم فرسم لهم بان يخرجو الى الريف يسكنون فيه بشرط ان لا يكون لاحدهم فرس ولا يحمل عده بل يكون فلاحا او تاجرا وان اراد بيته ان يخرجو له فلا يمنع من ذلك فتفرقوا في البلاد ووهبهم مولانا السلطان ارواحهم لان الفقها كانوا قد افتو بانه قد حل قتلهم لأنهم شقوا العصا ونكثوا العهد وغدروا سلطانهم واقموا الفتنة فعفا لهم عن ذلك جميعه ثم انه رسم بخروج العساكر الى الشام وتجهزوا ولم يخرجو ووردت الاخبار بان الملك الج Howard بن مددود اتفق مع الافرنج ونزل معهم وانهم جاءوا الى غزة واحدوا كلما كان بها وعادوا نزلوا الى قيساريه ويقولوا متذدين في الساحل من موضع الى موضع والملك الج Howard معهم وبعد رواح الافرنج من غزة جاء الملك الناصر بن الملك العظيم نزل بها هو وعسكره وفي هذه الايام كان في بيت المال العموري رجل ناظر يعرف بشهاب الدين قاضي دارا وكان ناهضا فيما يتصرف فيه شديد الجهاد في خدمة سلطانه فاطلع على انه قد بى من مبلغ

خط البترك خمس مائة وعشرة دينار اما بأنه وقف عليه او وشي اليه به فسير طلب ابن أخيه وابن اخته الذين كان الخط باسمهما وطلب منها المبلغ ورسم عليها وكان الشيخ الصنيع الذى يقال له مستوف المستوفين هو حل الدولة وربطها وفيه خوف الله وكان من مبغضي البترك فتسبب الى ان احال بالملبغ بعض الاجناد التقدمه وتسبب معهم الى ان صالحهم عليها ويقال ان البترك لم يزن من هذا المبلغ سوى ثلاثة دينار واحد الوصلات وتخلص اقرباؤه الا انه حصل له من الاسف في هذه النوبة وضيق الصدر وشكوى العدم ما لم يكسر مثله ولا سمع في وقت الحمل الكبار ونفذ الى حارة زويله اخذ ما بها من شع وغيرة واستعان بقسٍ بها كان يسمى ابا شاكر وكان يخدم في باب الميسى المفرد في جامكىه البارداريه وكان موسرا ويقال انه اخذ ثمن طاجون كانت وفقاً على الكنيسة والله اعلم وكتب الى الوجهين القبلى والبحرى بهذا السبب واستعلن بالشيخ الصنيع الارحن المقدم ذكره في مثل ذلك وكتب له الى التواب والمستخدمين بالمساعدة وما الاسعار فانها ارتفعت جداً بلغ القمح خمسة وسبعين درهماً الاردب والشعير اثنين واربعين درهماً الاردب والدجاج بدرهم نقرة الدجاجة واللحم بدرهم ونصف وثمان رطل والسكر بثلاثة دراهم الرطل والشمع بدرهم الاوقية والعسل النحل بثلاثة دراهم الرطل والزيت الطيب بثلاثة دراهم الرطل وجميع ما في الارض من هذه النسبة وكانت شدة ما روى اعظم منها ولا اعجب لان الماء في هذه السنة بلغ ثمانية عشر اصبعاً من ثمانية عشر ذراعاً وهذه الاسعار على هذه الحالة وكانت العادة جارية ان الغلة اذا غلت رخص كل شيء مثل الدقيق والدواب والقماش والايثاث وفي هذه الايام كل ما في الارض غال حتى الات العاير واجر الصناع واما قلعة الجزيرة فكان العمل مستمراً فيها والاجهاد واقعاً في تكميلها وهدت كل دار كانت فيها وانهى الامر الى الموضع الذى قدام الكنيسة والجامع فهدت وصار المكان رحبة عظيمة وبهاؤ وجاء احد اصحاب السلطان وهو المهمدار ويعرف بانجي الحاجب على نزل بقاعة البترك الى بجانب كنيسة الجزيرة ووضع بها قماشه واحد مفتاحها وجاء البترك نزل بالطبيقة الى اخرجها من جانب الكنيسة وجعلها في جانب قاعته قصداً منه في حفظها وان هذا الرجل اذا خرج من هذه القاعة

رجع اليها وحصل له من هذا المكان تعب قلب ونكد سرور واما المعد الذى كان عمل على بسطة المقياس واستحسن كل احد فانه هد وعمل موضعه برج عظيم على راس القمية واما الحاچب الغربى فانه تكامل جمعيه مناظر لمولانا السلطان بساتين ومقاعد من الكنيسة الى اخر العماره ثم ان السلطان اعز الله نصره جرد عسكراً الى اليمن عذتهم الفارس وفيهم جماعة من الامراء والقديسين مثل الصارم المسعودي والاشراف وعلم الدين شمائل وغيرهم وانفق في كل طواشى ثلاثين ديناراً واعطى الامرا على عدة الطواشيه لكل طواشى عشرة دنانير من كان معه خمسون اعطيه خمس مائة دينار خارجاً عما تأخذة الطواشيه لانفسهم ورسم لهم بالتجهز والمسير الى اليمن وشرعوا في ذلك وصاروا يبيعون الخليل والابقار والجاموس والاغنام ويسرون البحمال والهجن وعدد السقاين والات سفر الحجاج واليمن ورخصت الخليل الى حد ما عليه مويد وغلت البحمال والاوكواز والروايا والقرب والدلا وكل ما يجرى هذا الحجرى غلوأً كبيراً واشترى الرفاق الموصلى بخمسين درهما القنطر وخمسة وخمسين والكعك مثله لانه اتفق في الايام ان السعر تحرك وبلغ القمح بسبعين درهما الاردب والخبز بربع وثمان درهم الرطل فاشتد الحال وقبض رجال الاسطول برسم مراكب اليمن وقل الوابل وكان الوقت صعباً الى الغاية ثم ان السلطان اعز الله نصره جهز عسكراً اخر الى غزة في زها ثلاثة الاف فارس ومقدمه الركن الهيجاوي وفيه جماعة من الامراء وخرجوا ونزلوا غزة اجتمعوا بالملك الجواد مظفر الدين بن مودود وكان القصد اصلاح قلبه والمسير الى دمشق لاخذها « فاقاموا هناك وعسكر اليمن يتجهزون للخروج وما بقي فيهم الا من هو مصم على ذلك واذا الاخبار قد وردت بان فخر الدين ابن رسول صاحب اليمن جاء الى مكة اخذها محامرة من العسكر الذى كان بها فانخل العزم عن تحرير اليمن وبطل وكان السعر قد انخل في يوم السبت النور وبلغ الى اربعين درهم الاردب والخبز ستة ارطال بدرهم والدقائق بخمسة وستين درهما الحمله واستبشر الناس بذلك استبشروا كبيرة وكان عيداً مباركاً وفرح العسكر المجرد الى اليمن بتبطيل التجريد الى هناك ورجعوا الى بيع اوستة القلندرى ومن وافقه على ذلك وصار يضرب كل واحد منهم نوباً عدة

ما كانوا اشتراه واكثر الاصناف ضاعت عليهم مثل الكعك والرقاق والدهن وما جرى مجريها ورجعت الخليل غلت اثمنتها لانهم عادوا الى شراها ووردت الاخبار بان الركن الهيجاوي الذى كان مقدم عسكر غزة ترك العسكر وانفصل عنه هو والملك الجواد لامر توهما منه فاما الملك الجواد فانهز الى الافرنج لانهم حلفاؤه واما الركن فانه توجه الى دمشق وقيل انه ما مضى الى هناك الا لصلحة يرمها واشنان يصلحه وان كان رواحه خوفاً على نفسه وبالا الحماقة والغدر ونكث اليمان ما عرفت منه قط ثم ان الافرنج صاروا يخرون من بيت لحم وغيرها ويتعقبون بالناس يقتلونهم في الطريق ويستحيون اموالهم فيبلغ الملك الناصر بن المعظم وهو صاحب الكرك ونابلس وجبل الخليل وبيسان ذلك فسرى على بيت لحم وقتل كل من بها من فرنجى ونصراني واخذ الاموال وسى الدرارى وكانت ايام فتن قلاقل ومخاوف وكان بعض الحجاج الذين توجهوا الى الباب المقدس خرجوا منه الى عكا منهم من مضى في تجارة ومنهم من مضى الى قرابته هناك فاخذوا في الطريق وقتل منهم جماعة رجال ونساء واما البطرى فصار اكبر مقامه بدير الشمع لانه لم يبق له موضع ياوية سواه ولما كان في نهار يوم الجمعة الثاني عشر من يونيو وهو عيد الملائكة الحليل ميكائيل الموافق للخامس من ذى الحجه سنة تسع وثلاثين وسبعين الاسلاميه وقف رجل من الصوفيه الذين يسمون القلندريه في الجامع بمصر بعد صلاة الجمعة وبعد فراغ الخطبه وصاح بأعلى صوته يا مسلمين من اراد منكم الجهاد في سبيل الله فعليكم بكنيسة المعلقة فخرج من الجامع كل من كان فيه وهم ام لا تحصى وجاؤوا الى الكنيسة وكان والي مصر في الجامع وكان رجلاً خيراً عالماً ذا تجربه يقال له المجاهد سليمان فسمع التشوش فسير ملوكه وعشرة من المقدمين لحفظ الكنيسة فجاء اليها فوجد من الخلق ما لا يعد وقد طلع بعضهم الى المسجد المجاور لها الذى اخذ منها والملح إذا رى لا يقع على الارض فحمل في تلك الخلايق بالدبوس والعشرة المقدمين بالمقارع ومهابة السلطنة قايمة عظيمة فافرجوا عن باب الكنيسة فاغلق باب الذى عندها الذى هو من ابواب قصر الشمع ويعرف بدرب المعلقة وطلب رؤوس الفتنه وكانت قد طلعوا الى المسجد وكانت عذتهم خمسة انسان اوستة القلندرى ومن وافقه على ذلك وصار يضرب كل واحد منهم نوباً عدة

باصناف الات العقوبات مما لا يذكر ما يجده ثم المقارع والعصى واصناف الات الهوان ثم اخذهم بعد ذلك مربولين في الحال ومضى بهم الى دار صاحبه وكان يسكن بالقرب من حمام الفار فأخذهم الوالي وجدد عليهم العذاب والهوان وامر بهم الى الحبس وكان ذلك بهم مثل التجريض عليهم واهتدت المدينة وانقمع المفسدون ودعا لهذا الوالي العقلاء من السادة المسلمين وعامة النصارى واليهود لانه حسم مواد كادت تتفرع وغض انصار الفساد والعباد كانت تتطلع وكان القاضي شرف الدين الاسكندرى المعروف بابن عين الدولة الذى كان افرد بقضاء القاهرة وما يليها من الوجه البحرى بعد ان كان قاضيا على الاعمال كلها قد توفى وعوض عنه بالقاضى بدر الدين قاضى سنجار الذى كان فى قضاء مصر وبقيت مصر اياماً بغير حاكم الى ان فوض الامر فى قضايتها الى رحل من اهل دمشق يعرف باين عبد السلم وقد كان ولى الخطابة بمصر قبل ذلك فاجتمع له الخطابة والقضاء وكان رجالاً جيداً وسمعه سلطانه وكانت الاسعار تأخذ وتعطى والقمح الى زيادة اقرب من النقص من خمسين درهماً الاردب الى ما حولها وكل شيء غال ثم ان القاضى بن عبد السلام المذكور ظهرت منه اسباب كانت كامنة في نفسه فاسقط عليه الشهود وتعقب اثار القاضى المتوفى وتطلب ولده محى الدين ورثام هدم طبقه كان بناها على مسجد بمصر بخط باب القنطرة فقصده الصاحب معين الدين عن ذلك وضيق على الناس في امور شئ وتعسر في الاحكام واقام الوراقين من الدكاكين وامرهم باى يقعدوا بين يديه في زيادة الى في الجامع ثم ان السلطان خلد الله ملكه رسم باى يعمر مدرسة بالقاهرة قدام الصاغة في الموضع الذي كان يسكن فيه البياطرة قدام القصر وشرع في ذلك ونقل البياطرة من هناك فتحولوا الى ناحية باب البحر الى صوب الركن المحتل وهد ذلك الحاچب من القصر وهو ما يلى باب الزهومه الى بحرى طول ماية فراع بالعمل في مثلها في العرض واهتم بذلك مع استمرار الاهتمام بعبارة قلعة الجزيرة ومناظرها وعمایر القلعه بالجليل وعمایر المناظر

بستان الخشب وغيرها من العماير السلطانية فصارت اصناف العارة لا يقدر عليها والصناعة لا يصابون البنا بعشرة دراهم كل يوم ودرهم موونته والفاعل باربعه دراهم ونصف وربع درهم موونته والبقية من هذه النسبة والخبيز لا يوجد الا باطلاق وبعد هذا الناس يعمرون وال Umaير تکثر والخراب يعمرا واموال الناس تترى مع الغلا وهو من الامور المتضادة وجاء راس السنة المباركة الملالية وهي سنة اربعين وسبعين للهجرة وامر باستخراج الجواوى فاستخرجت استخراجاً بعنف عظيم وكان قد تولا بها رجل يقال له بن جراده فعمل مالا عمله احد وسلط الاوباش على الناس ولم تقتصر على جواوى مصر والقاهره بل اى من وحده وزنه يجعل عرفا ارباب الصناع يحضرون من هو تحت ايديهم من كل صناعة واصحاب الارباع ياخذون من هو ساكن في حارتهم بالقيام بملح زينة وكانت العقوبة مبوسطة على الناس وفي هذه الايام نودى في مصر بما حكاياته رسم الشرع ان يشد النصارى الزنانيين فى اوساطهم وقيل ان السبب فيه بن جراده المقدم ذكره لأن شكا الى القاضى ان النصارى ما يقوى يعرفون من المسلمين لائهم ما يشدون الزنانيين وان الرسل ربما مسكونوا المسلمين لسبب الجواوى فامر بهذا الندا فرجع الناس شدوا الزنانيين فى اوساطهم المشابخ منهم ومن يخالف على عرضه وتسلط العوام على جاري عادتهم ثم رسم السلطان بان يخرج العساكر الى صوب الشام لأن رسول الخليفة وصل الى تل العجول وتجهزت العساكر وخرجت اولاً ونزلوا على ظاهر القاهرة من مسجد التبر الى بركة الحب ووصل رسول الخليفة المسير من بغداد وعبر الى القاهرة ونزل بدار الوزارة وكان السلطان قد خرج تلقاه لانه كان رجلاً مميزاً ريساً ذا قدر خطير ثم ان قوماً من المسلمين يعرفون باين حوله وابن صباح وجماعة تعصباً معهم وهم الذين كانوا قاموا في قضية الكنيسة المعلقة وفعلوا فيها ما تقدم ذكره انتبذوا للكنيسة بوسرجه بمصر وجاوا الى دارين من ادر وفقها لاصقين بها احداهما من شرقها شارعه على الطريق والآخر من غربيها من داخل الدرب الذى ابواب الكنيسة فيه وادعوا ان كل دار منها كانت مسجداً وانهم يعرفون ذلك من مدة تنفيذ على اربعين سنة وكان الشيخ السنى الراهب المعروف باين الشعبان مقىماً بالكنيسة المذكورة وناظراً في احوالها وقد عمرها وعمر رباعها

واستجد بالرابع مواضع عديدة اضافها الى وقفها وسار فيها سيرة الملائكة فاقام هولاء المدعون المخربون قوما منهم رفعوا الشيخ المذكور الى الشرع الى هذا القاضى بن عبد السلم بعد ان اجتمعوا به وقرر معهم ما يعملونه وعرفهم الطريق الذى يسلكونها فادعى واحد منهم مسلمانى يعرف بابى الحسن بن مكين القزاز وكان بيته وبين الشيخ السنى مشاحنة لانه كان ساكنا بقاعة من ربع الكنيسة ولم يعط عنها اجره وكان الشيخ يطالبه بها لانه ما رأى ان يتركها له ولا كان لتركها وجه وكان هذا الشخص مذموم الطريقه زاياً عن الحقيقة فادعى على الشيخ بتسليم الدار الواحدة البرانية وما يجب من اجرتها من نيف واربعين سنة فانكره فالتس منه العين فقال له القاضى احلف قال نعم قال قل وحق من انزل الانجيل على قلب عيسى قال له الشيخ هذا ما هو مذهبى ولا معتقدى ولا يختلف الانسان الا على معتقده كما عهدنا من تقدم من القضاة قال له ان لم تخلف على ما قلت لك اخرقت بك قال مهما شئت افعل ما سمعنا فقط من حكم بهذا الحكم فاغتاظ عليه وانحرق به قدامه وامر به الى الاعتقال كما جرى للرسل الاطهار ثم ان المسلمين المتحزبين عملوا محضراً برأى القاضى بان هذا الموضع مسجد من مساجد المسلمين وان النصارى تعدوا عليه وعملوه دار من ا أيام الغلا في ستة سبع وسبعين وخمسماية ودعوا الشيخ من الاعتقال في اليوم الثالث لان مبتدئ احضاره كان العصر من نهار الثلاثاء عشر من مسرى من هذه السنة وجدوا الدعوى عليه فانكر فاخرجنوا الحضر وقد شهد فيه ثمانية من هذه الطائفة فادعوا شهادتهم وفيهم من لم يبلغ اربعين سنة وشهادته من نيف واربعين سنة فسمعها الحاكم المذكور وذكر منهم اثنين وهما ابن حوله وابن صباح لانهما كانا شخصين لكن كشيخي سوسيه فابتدى الحضر واعاد الشيخ الى الاعتقال بعد ان جرت بيته وبينه مفاوضات وقال له ان كان لك بيته احضرها قال له يا مولاي من اين لي بيته وانا في الاعتقال قال له وكل عنك قال له يا مولاي ما لي وكيل بيبي معى الترسيم الى ان احضر بيته قال له لا سبيل الى ذلك وامر به الى الاعتقال في عشية يوم الجمعة الثاني والعشرين من مسرى وبعد ذلك عملوا الحضر بالدار الأخرى الى من داخل الباب وكان القيسىس المعتمد بن القيسىس معانى قيسىس الكنيسة المذكورة ساكنا في الدار المعينة فدعوه وادعوا عليه بتسليمها وعملوا

معه كما عملوا في الدار الاولى فاعترف انه ساكنها من مدة عشرين سنة فامرها بخلوها للوقت وال الساعة وكل عليه على اجرة عشرين سنة وامر باخلا الدار الاخرى البرانية من سكانها لانها كان بها سكان فاختليت الدار وصارتا بيد الحصوم وانهى اليه ان القيسىس المعتمد فقير لا يقدر على شى فقال نضممه عليه ويعلم محضرا بعده فضممه اهله وخرج يتسبب في الحضر ولما كان في عشية يوم الاثنين الخامس والعشرين من مسرى دعا القاضى الشيخ السنى لانه كان في كل ثلاثة ايام يدعوه وقال له اى شى عملت قال له يا مولاي ما الذي اعمل وانا في السجن وانا ما لي احد قال ضمن عليك وامض تسبب في نفسك فحضرت جماعة وضممنه ضمان وجه وجآ الى الكنيسة الى القلابه التي له بها وجآ اليه الجماعة وبندوا بجهودهم الا انهم ما كانت لهم حيلة لان اكبر المسلمين وشيوخهم وروساهم كانوا متتحققين ان هذه الشهادة باطلة وان هذا شىء ما كان فقط الا انهم ما ينكسم الشهادة وادوابهم والمساير منهم من يعلم ذلك يخالفون من القاضى حتى ان الحضر التي بالدار الاولى الشارع على الطريق تضمن ان هذا المسجد كان له ثلاثة ابواب قصدا منهم في ان ياخذوا فيه دارين اخرين وكانت هاتان الداران شركة مع امراة مسلمة لها الربع والكنيسة النصف والربع فجاءت هذه المرأة بكتابها الى القاضى وشنعت وشنت وهي امراة مسلمة فامر بان لا يعارض الدران اللتان لها فيها الحصن واقتصرت على الدار الواحدة التي هي لصيقة بالكنيسة قصداً منهم في التسلط على الكنيسة واحد ما يجاور الادر المذكورة منها حسب ما ينكسم كما فعلوا في المعلقة وكان في الحارة جiran مسلمون ولم املأك بجاورة الدار البرانية ومعهم كتب تاريخها منذ تسعين سنة تشهد بمحدود احدها ينتهي الى هذه الدار وهو يشهد بالدار الوقفت على النصارى ولو كانت مسجداً كما ذكرروا ذكرت واخر نصراوى يعرف بابى اسحق بن الاعمى له دار من داخل الباب مقابلة الدار الاخرى المنازع فيها ومعه كتب عهدها مائة واحدى وثلاثين سنة فشهد بمحدود مثل ذلك والحد الذى ينتهي الى هذه الدار يذكر فيه انه ينتهي الى الدار الوقف على النصارى سكن الشيخ ابى غالب

واحضرت الكتب المذكورة الى القاضى فوقف عليها وما أصفع اليها وبنى الشيخ المذكور يسعى بالقاهرة ومصر ويتسرب يوم الثلاثاء والاربعاء ولم ينعمل له شيء فلما كان في عشية يوم الخميس الثامن والعشرين من مسرى جاء القاضى الى الكنيسة ومعه جمع من الشهود وغيرهم ووالى مصر ودخل الى الدار البرانية واحضر السنى وقال له اى شيء عملت قال له يا مولاي ما عملت شيئاً قال له يا شيخ هذه الدار قد ثبت عندي أنها كانت مسجداً من مساجد المسلمين فانت ما جددت ولا غيرت بل ان ابن ابي غالب الذى كان بطركاً وانت فا يلزمك الا مدة الثلاث عشر سنة التي اعترفت انك تصرفت فيها في هذا المكان يقوم لنا باجرتها قال له يا مولاي هذه الاجرة صرفتها في جوالي النصارى وصدقاتها على شرط الوقف قال هذا مالا يفيد قال يا مولاي ان كان هذا المكان كان على ما قيل مسجداً فلن له هذه العماير وهذه الطبقه وهذه الالات التي صار لها بهذه القيمة قال قوموا اجره المكان مسجداً منذ ثلاث عشر سنة وقيمة هذه الاخشاب والاصناف والبنيان الذى به الان فقالوا يفضل للشيخ احد عشر ديناراً قال لهم انتم في حل منها فخرجو على هذه الصورة وانتقل الى الدار الاخرى ولم يكن بها الا العلو الذى كان القسيس يسكنه لان سفلها كان مخرباً وكان الشيخ قد سد بابه من ناحية الدرب وفتحه من ناحية الكنيسة جعله مخزناً للحلفا وهو يحاور مستخدمات الكنيسة فعبر الى الكنيسة ودخل من باب المستخدمات وهو بباب المستخدمات والمطلع وجاء الى موضع المراحيس والقنارات فقالوا هذا موضع المحاريب قال ثبت عندي ان هذا ايضاً كان مسجداً اطلبوا القسيس الساكن فيه قال له الشيخ يا مولاي ماذا تريد منه على ضمانة قال نريد الاجر قال له يا مولاي مهما وجب عليه اما ان يثبت عسرته او يقوم به وخرج على هذه الصورة فلما كان يوم الاحد اول النسى سير الشهود والمهندسين وعبروا الى الدار البرانية وقعدوا يقومون وانحدروا في ان يهدوا باباً مشدوداً ظناً منهم انه ينفذ الى الكنيسة فياخذدوا به قطعة منها وينهون من اسفل الى العلو فلم يجدوا وراء الا تراباً من تقادم السنين ثم انتقلوا الى الدار الجوانية وجاوا الى موضع المراحيس وقالوا لنا السفل والعلو من هذا الموضع اربع ادرع دائرة غير العشرة الى لنا في المخزن ولم يكونوا في الاول

ذكروا الا عشرة في عشرة لأنهم كانوا قاسوه من برا وكان الشيخ لما جاوا يقيسون ويقومون قد مضى الى القاضى قعد عنده فخرجو و قد اوجبوا على المكانين ثلاثة واربعين ديناراً فقبله وقام القاضى وجاء الشيخ الى الكنيسة بغير توکيل الا ان الامر مختبطة فلما كان اخر النهار استدعاه وكلمه برفق وطيب قلبه وقال لنایبه تقف على هذه الكتب وتعرفني بما فيها وطلع الى القاهرة فلما كان في صبيحة يوم الاثنين سير اليه النايب رسول طالبه فقضى اليه ومعه الكتب المقدم ذكرها فقال هذه قبور لا تقييد شيئاً وقال له ما الذي عملت قال يا مولاي ما عملت شيئاً فوكل به على المبلغ وبيته في التوكيل فلما كان في غد ذلك اليوم سير استدعاه فقال انا مريض ما اطيق الحركة فسير وقال يحمل على قفص جمال ويخضر فاحضر اليه قفص من اسرة النوم فحمل عليه وجاوا به اليه فقال يا سنى اي شيء عملت قال له يا مولاي ما عندي شيء اعمله قال الساعة يعتقلونك قال يا مولاي اعمل ما شئت قال يودى الى الاعتقال فقضى به الى الاعتقال وصار مطلوباً بما يجب على الدارين لاجل ضمانه للقسيس وكان القسيس قد استر ثم دخلت ستة تسع وخمسين وسبعين مائة في يوم الجمعة مستهل ربيع الآخر سنة اربعين وستمائة والسلطان الملك الصالح خلد الله ملكه وقاضى القاهرة بدر الدين الذى كان قاضى سنجر وقاضى مصر عز الدين بن عبد السلام والبطريك ابا كيرلس المعروف بابن لقلق وانتهى النيل في هذه السنة الى ثمانى اصابع من سبع عشر ذراعاً وكانت نهاية زيادته يوم الاثنين الرابع من توت وصار يزيد وينقص ولم يزد عن المائة من سبعة عشر شيئاً اخر وتحركت الاسعار وغلت وبيع القمح بسبعين درهماً الاردب والشعير باربعين درهماً الاردب واما البرسم فطلب الى الغاية لاجل شحة الماء وقلة نبات الربيع المباح فيع بسبعين درهماً الاردب وغلا الزيت الحار ايضاً ولم يكن في البلاد شيئاً رخيصاً في هذه المدة وكان البطرك مقيناً بدير الشمع لم يدخل مع الناس في شيء مما كانوا فيه ولا كان كاته مهيم وكان قد حضر في مبدا الحال بات بكنيسة بوجرج الحمرا ليلة واحدة وأشار عليه بعض الجماعة بالعود الى مكانه فعاد الى دير الشمع ولم يعد منه في هذه المدة وكان معذوراً لانه كان خائفاً ثم ان القاضى بعصر تطلب القسيس المعتمد الى ان وقع به فاوذه الآخر الاعتقال وصار

هو والشيخ السنى في السجن وكان الجماعة قد كتبوا فتيا إلى الفقهاء يستفتونهم في قوم مسلمين علموا شهادة في حق من حقوق الله سبحانه من مدة طويلة ثم ودواها الان فهل يكون تأخير الشهادة المذكورة قادحاً في عدالهم أم لا فاقفوا جميعاً بأن عدالهم ساقطة بتأخير شهادة الحسبة واستثنى منهم من قال الا ان يكون له عنر واضح واحتاج عليه من لم يستبن بأن العذر غير مقبول في بلد فيه سلطان الاسلام قائم والولاه والحكام ولم يقد هذا ايضاً شيئاً ولا عمل به مع انه نص شرعهم وهو صفة الحال ومن بعد هذه كتب الشيخ شمس الرياسة ابن هيلان رقعة الى مولانا السلطان عز نصره عن النصارى يسله فيها ان يعقد لهم مجلس مع خصومهم في مجلس العدل الشريف وان يحضر الراهب يحاقق عن نفسه فامر بذلك على لسان امير يقال له بدر الدين اخو الحاجب على فعقد المجلس في يوم الاثنين صبيحة عيد الصليب وحضر جماعة من الاجلا والروسا وكان صدور المجلس الشريف الارموي قاضي العسكر وبدر الدين قاضي القاهرة والوجه البحري والفقير عباس ووبئ مصر ونائب قاضي مصر لانه هو ما حضر وجماعة من الشهود واحضر ابن حوله وابن صباح والشيخ السنى والقسيس من السجن وجاوا بمحاضرهم وكان المتحدث قاضي القاهرة فاستدعي المحاضر وقف عليها وقال لاوليك الشهود ما اخركم عن الشهادة وهي شهادة حسبته لله تعالى مدة حسين سنة قالوا قلنا بها قال لم قلتموها فذكرروا شخصاً ميتاً قال هذه دعوى منكم وامر معدوم وجرت مفاوضات كثيرة اخرها اتهم قالوا للسى لك بيته قال نعم قالوا احضرها قال يا مولاي مع السجن قالوا لا لكن يستاذن عليه القاضى ويضمن عليه ويخرج يترکض في نفسه فاستاذنا عليه القاضى فقال لا سبيل الى هذا الا ان كان بغير امرى فاعيد الى السجن هو والقسيس وكان الجماعة قد عملوا محضراً يشهد بهاتين الدارين وقف على النصارى وانها باليديهم من مدة تزيد على حسين سنة والى الان وكتب لهم فيه رجل شريف متتصدر في الجامع فعلم به قوم من اصحابه الاشراف اصحاب القاضى فدخلوا عليه بالترهيب والتذمّر والتخييف والتشنيف الى ان اشهدوا عليه بالنزول عن

شهادته وشهد في الحضر ايضاً رجل من جيرة الحارة شيخ معتمر يعرف بابن ابي الطيب وكان قد اذمن لها بقى يقدر على التعرف فحمل اليه عدلان سمعاً قوله وادياً عنه الشهادة وبعد هذا مضوا الى الامر وعندهم وخوفوه باشكنا في مسجد مدة سنتين والساعة تخرج منه وتطلب بالاجر من هذه السنين فاشهدوا على الامر بالنزول عن الشهادة ثم ان هولاء المعاذون اخذوا البنادين والفعله والحبس وجروا ليلة من الليل الى الادر المذكورة فقصدوا ان يبنوا فيها المحارب فقضى بعض الجماعة الى الوالي اعلمه بذلك فسير منعهم ومن باكر اجتمع جماعة كبيرة ووقفوا لمولانا السلطان فامر بان لا يتعرض لهذا المكان حتى يثبت الحكم وكان القسيسان الشيخ القديس السنى ابو المعانى المعروف بابن كشن والشيخ الرضى بن ابي الطيب هما المنشغلان لهذا الامر اللذان صرفاً جميعاً همما بهما فكانتا في تعب شديد وجهد جهيد لا يفتران بالنهار ولا يهديان بالليل ويدفعان من اموالهما فالله سبحانه يحسن لها ويشرينما جراء امثالهما فحملوا الى مجلس العدل شهوداً آخر غير دينك وهم القاضى المعين عبد الحكم بن محمد بن عبد الحكم والقاضى الاسعد بن ميسير والشيخ الحكيم ابو سعيد بن تمام فادوا الشهادة بمجلس العدل على ما تضمنه المحضر وبقوا في قيد التزكية لأن الشهود لم يكونوا عدولًا وصاروا في المدة الطويلة يحضررون شاهداً للتزكية وهم يريدون اربعة لا اثنين كما فعل اولئك وطالت المدة فسير القاضى احضر الشيخ السنى من الحبس وقال له الى متى تتجلد ، ان لم تقم بالملبغ والا عاقبتكم عقوبة الشرع قال له يا مولاي مهما استعملتك الله اعمله قال ما عملت شيئاً قال يا مولاي ما يكون ثم مهلة قال يومين وثلاثة قال الشيخ وخمسة وستة وكان قائماً فقال يا مولاي ما في اقف قال اقعد فقعد ساعة ثم قال يا مولاي ما اروح الى موضعى فقال رح فعاد الى الاعتقال وبعد ذلك ب ايام شنع اولئك الرهط في يوم الجمعة ان القاضى يخرج السنى ويحرسه فبلغه ذلك فقلقاً عظيماً ومضى رجل نصراً يعرف بابن الحشا الى القلعة فاعلم الجماعة بذلك فاما الحكم الرشيد المعروف بابي خليفة فإنه اجتمع بدر الدين اخى الحاجب على فسير جندارين من عنده الى والى مصر يقول له اما علمت ان مولانا السلطان عز نصره قد عقد للنصارى مجلساً واتهى الامر فيه الى الايات وقد احضروا

يئنهم وهم في تركيتها فالله الله لا يمكن احدا من هذا الرجل ولا من الموضع وأما المستوفون حرمهم الله فانهم كتبوا رقعة الى مولانا السلطان عز نصره بصفة الحال وسيروها على يد استاذ الدار فخرج امره بان يسير الى الوالي وينكر عليه الغفلة عن مثل هذا والخذر ثم الحذر ان يتعرض احد الى هذا الراهن او يحرك في هذه الموضع ساكنا فقضى جندار اخر عن السلطان بهذا وارتدع اهل العناد الساعون في الارض بالفساد واما القاضي فانه انكر ان يكون هذا خطرا بباله او جرى فيه حديث قال له الوالي فتكتب خططا بهذا الى السلطان والا راحت روحى فكتب القاضي رقعة يقول فيها ان النصارى شعوا عن ما لم اقله ولا نويته واما هذا الرجل محبوس على حق شرعى وسير الى مولانا السلطان فقرها وتركها ولم يحب عنها وقد كان القاضي قبل هذا جرت له قضية مع رجل نصراني سكرى من اهل منية غمرا يقال له مكرم بن محسن وذلك ان ولده غبر على مطبخه وكان قائميا بغير زنار وهو يتذبذب هو ورجل حلفاوى فشكوا اليه الحلفاوى ان هذا النصرانى ما يفعل يروح معنى الى الشرع ولم يعلم مكرم انه ابن القاضى فقال لغلامه اعبر اخرجه فتشابط الغلام مع صناع المطبخ فعبر ابن القاضى الى المطبخ راكبا وضرب الصبيان ووقف مكانه وسير الى ابيه فركب بنفسه وجأ الى المطبخ وكان المطبخ الذى عند دار القاضى مقابل صناعة التمر واخرج هذا المسكين مشحوطا مكسوف الراس مقطوع الثياب واجتمع عليه ام لا تخصى ما منهم الا من يضر به ويبينه وهو صابر وبلغ الوالى الخبر فحضر وقال يحبس حتى يحيى امر السلطان فحبسه وكتب الى مولانا السلطان بما جرى فلم يصبر القاضى حتى يحيى جواب السلطان بل قال سير لي النصرانى حتى اعمل فيه الواجب فسيره اليه وقال له هذا انت تركيه بين هولاء العوام وهو يقتل وما تعلم ما ياتى من السلطان فاخذه ولم يركبه بل اشهره ماشيا وهو مهان الى ان شق له البلد ومضى به الى جلس الوالى وهو صابر شاكر وحسب الله اجرا وكان ذا يسار وقدره كبير واقام في الحبس اياما وآخر جه الوالى بعد ان كتب عليه حجة بأنه لا يخرج من بيته الا بزنار ولو كان في حبس القاضى ربما كان عسر خروجه واما ما كان من امر كنيسة بوسوجه فان القاضى لما ابطا عليه الحال ايقن ان النصارى لا ي العمل لهم شيئا ولا يذكر لهم احد لانه كان قد سك عليهم

الدنيا وای من سمع انه يشهد او يذكر شاهدا سير هده وتواعده وكانوا المساكين في شدة شديدة ومن اين لهم بمقاومة القاضى لو لا معونة البارى فسير الى الوالى في عشية يوم الاربعاء رابع بابه مع رجل من شهوده يقال له ابن زيدان وهو يقول له انى اجتمعت بانسان و قد رسم لي بان نعمل في هذين الموضعين ما اوجبه الشرع وانتهى ان يساعد هولاء القوم على ما هم بقصده قال له الوالى مهما اردتم ا فعلوا ومكث من كل ما يريدون فيبتوا على الفعلة والبساحى والطوارى واصبحوا من الفجر الى الدار الجوانية هدموا واجهتها وروشن الطبقة التي كان يسكنها القسيس وطلع اصحابنا بالخيبة وكانوا في هذا النهار اعنى في يوم الخميس الخامس بابه واتفق انه خمس ربيع الآخر سنة اربعين وسبعين الهلالية قد اخذوا معهم ابن تمام ليوذن لهم لانه كان ابنه كتب عنه باذنه لعزم عن الكتابة لاجل كبره ولم يكن روى واجات هذه القضية فكشفت خواطيرهم واظلمت ابصارهم حتى من الله تعالى بان السلطان خلد الله ملكه ركب في ذلك اليوم ومضى الى مصر واجتمع به الوالى فقال له ابتداء منه كلاما ما فهم الا ان يفتحه ان الوالى حضر الى دار العدل واجتمع مع الاكبار الذي فيه سرا وقال ابصروا الى ساعيا يروح الساعة الى مصر يمسك المدم ويقول لهم لا تعملوا شيئا الى ان احضر واستدعى النصارى وقال انجزوا اليوم شغلكم فقد رسم السلطان بذلك ثم انه لما لم يجد ساعيا يسيره سير بابنه الشريف الى مصر ركضا بطل المد وحضر ابن عام وودى شهادته وجاء الحكم ابن الزبير زكا في المجلس وجاء النبي العدل الاخروزكي ابن عبد الحكم وقويت الانفس وهان الامر وبقيت الحاجة الى شاهدين اخرين يكلمان تركية يدهما الحضر ويثبتت فعادوا الى القاهرة بعد ان استاذنا الجماعة في ان تكون تمة التركة في دار القاضى بالقاهرة فانهم ما يجتمعون بدار العدل الا يوم الاثنين والخميس ويتعذر في هذين اليومين وجود الشهود ويطول الوقت ويتسوف فاذدوا في ان تكون تمة التركة بدار القاضى بالقاهرة فعبر الى القاضى بالقاهرة في بكرة يوم الجمعة السادس من بابه شاهد طبيب يعرف بجمال الدين الرازى زكتى ابن عبد الحكم فكملت تركيته بشاهدى عدل وبي ابن تمام يحتاج الى شاهد اخر لا غير ويثبت الحضر وفي وسط نهار يوم الجمعة اشيع بان القاضى بن عبد السالم

عزل وقوم يقولون انه عزل نفسه لاجل قضية النصارى وكون حكمه نقص عليه وفي بكرة يوم السبت السابع من بابه حضر شاهد احر عدل ناضل يعرف بمحمال الدين عبد المعطى وكان خطيب القلعة زماماً وزكي ابن تمام فكمل الحضر وقويت القضية بان قاضى مصر عزل نفسه عن القضاء وأشهد عليه بذلك وكتب به رقعة الى مولانا السلطان ولم يخرج لها جواب وكان في هذه الايام قد حدث تغير عجیب وهو انه لما كان في ليلة السبت اخر توقيت جات ريح عظيمة حتى قلعت النخل من اصولها وطرحتها الى الارض ووقعت ادر كثيرة ومات تحتها اناس كثيرون وكانت ليلة عظيمة مزعجة وقد كانت الشمس كشفت من ليلة الجمعة المذكورة من اخر الليل وطلعت منكسفة الا انها لم تظهر منكسفة لانها كانت تحت اشفن ولم تكن مثل السنة الحارجه لان ذلك الكسوف كان عظيماً مستغرقاً وقت العصر كما تقدم شرحه وفي نهار السبت السابع من بابه تحقق ان القاضى بن عبد السلم عزل نفسه من الحكم واشهد عليه بذلك شهوداً عدداً عدولاً وبقيت مصر بلا حاكم ولا نائب لان التواب رفعوا ايديهم بمحكم رفع يد مشتبههم وكان عيد القديس وانجس يوم الاحد الثامن من بابه الذى هو يوم شهادته ويوم الثلاثاء العاشر منه عيد القديس بو سرجه وكان هذا الذى جرى اية عجيبة لذين القديسين في عيدهما لانه شى ما كان في قدرة احد من النصارى ان يفعله ولا يقدر عليه وصار كل احد يقول هذا بسبب النصارى ونيتهم وكانت اعجوبة ما روى مثلها ثم ان القسین المقدم ذكرهما جاء الى دار العدل في يوم الخميس الثاني عشر من بابه ومعهما الحضر ونسخته التي نقلت منه بامر القاضى لان كان كتب في الحضر ينقل فجاء الى دار العدل وسال القاضى ان يكتب في الحضر بالثبت ويسجل عليه بمحضر من الجماعة الذين بدار العدل فتوقف عن ذلك وقال محضركم قد ثبت الا ان العجلة ما هي جيدة تمہلوا حتى نبصر ان كان لخصومكم مطعن في الشهود او حجة يلحوون بها فقام بعض الحاضرين من له علم ونباهة يا سيدنا هولاء ما لهم خصوم انما اوليك كانوا يقولون ان عندهم شهادة حسبه قالوها وقد ثبت بقصد ما قالوا فقال قبيح بالحاكم ان يخرج خطه بشى ثم ينقض وكان كلامه هذا موجباً^(١) ثم التفت

الى والى مصر وقال له قل هولاء ان محضر النصارى قد ثبت فان كان عندكم حجة فاتوا بها او مطعن فاظهروه وانفصل المجلس على هذا ثم ان جماعة النصارى اجتمعوا ووقفوا تحت القلعة ثلاثة ايام متواصلة او لها يوم السبت الرابع عشر من بابه ينتظرون ركوب مولانا السلطان خلد الله ملكه فلم يركب يوم السبت ولا يوم الاحد بل انهم كانوا في كل يوم من اليومين يلقون القاضى بدر الدين قاضى القاهرة فيقول لهم حكم قد ثبت وانا اعرف السلطان بذلك فلما كان يوم الاثنين السادس عشر من بابه ركب السلطان عز نصره وركب القاضى بن عبد السلام واجتمع بالسلطان ويقال انه تعرض واستغفر الله تعالى مما جرى وكان قد تحدث في حقه بن قاضى نابلس وقيق ان قاضياً مثل قاضى قضاة مصر يعزل في شهرين فرسم له بالعود الى القضاة وشرط عليه شروطاً على ما ذكر من سمعها ولم يثبتها فعاد القاضى جذلاً مسروراً وكذلك اصحابه ونزل في يوم الثلاثاء صبيحة اليوم المذكور الى مصر وحكم بعد ان بقيت مصر بغیر حاكم احد عشر يوماً الا انه ما اعاد ولا ابدى في امر الادر التي ادعى أنها كانت مساجد الا انه ما زال يسير الى شاهد شاهد من شهود محضر النصارى قواماً بالترهيب وقوم بالترغيب حتى استنزل الجميع عن الشهادة واشهد عليهم بذلك الا ان المحضر قد ثبت وكتب قاضى القاهرة عليه بالثبت في دار العدل بعد ان توقف عن الكتابة اياماً وكتب من دار العدل مطالعة في يوم الخميس التاسع عشر من بابه وترجمتها جميع الناظرين بدار العدل على جاري العادة وكان مضمونها انه ثبت بمجلس الحكم بمحضر ان مسجدين كانوا من مساجد المسلمين وقد جعلها النصارى ادراً للسكن من مدة ثلاث واربعين سنة ثم ثبت محضر تنجزه النصارى بدار العدل العزيزة ان هذين الموضعين المدعى انها كانت مساجد ادر ووقفت على النصارى من مدة تزيد عن حسين سنة ومقتضى ذلك ترجيح بينة النصارى ما لم يعارضها تجريح الشهود وبقيت الرقعة مع الحاجب اياماً انتظاراً لان يركب السلطان او يجلس فيعرضها عليه ويتحدث عليها فلم يركب لم يجلس وطال الامر عليها الى يوم الاثنين الثالث والعشرين من بابه فاجتمع به روساً دار العدل وقالوا ان تاخير عرض هذه الرقعة ضرر علينا وعلى النصارى فإنه ربما يبلغ للسلطان ذلك او يكتب اليه الغير فيقول ولائى شيئاً ما اعلمتموني

فتسيرها الى السلطان في هذه الساعة على رقعة منك واملاوه ما يكتب في الرقعة فكتبها بحضورهم وحملها الى مولانا السلطان على يد بعض الخدام فلم يخرج لها جواب ولازم النصارى الاجماع والطلوع الى القلعة يوم الثلاثاء والاربعاء والخميس فلم يركب السلطان وفي نهار يوم الجمعة هو لا يركب واستمر على ذلك ولم يقفوا مولانا السلطان عز نصره بل ان القاضى بدر الدين قاضى القاهرة كان يقول لهم انا قد قلت لمولانا السلطان ان محضركم قد ثبت ولكن ان قدرتم على زيادة بينة فافعلوا لاجل ان شهودكم قد نزلوا عن الشهادة وصار الجماعة يدايرون في تزكية الشاهدين الذين كتبوا لهم في المحضر اللذين لم يزكيا بعد واحدهما كان ادى في مجلس العدل وهو الاسعد بن ميسر والآخر كتب ولم يود وهو الموق بن التحاس وكانوا يريدون انهم ان لم يقدروا على تزكية الاثنين فعسى ان يكون احدهما وكذا الامر قد عسر لان الناس كانوا يخافون من ابن عبد السلم وفي هذه المدة وردت الاخبار بان الافرنج خرجوا من يافا وجاوا الى نابلس وقتلوا كل من كان بها من مسلمين ونصارى وهدموا الجامع الى الارض وحرقوا الاشجار واخربوا الديار وحكى انهم لما احاطوا بالناس وجمعوهم قالوا من كان نصريانا ينزعز حتى نخلصه ففرح النصارى بذلك واما المسلمين فانهم قاتلوا صاروا عزله عادوا اليهم فقتلواهم اجمعين واما المسلمين فانهم قاتلوا منهم واسروا بعضهم وكان القتل يعم النسوان والولدان والصغرى والكبار واقاموا بها ثلاثة ايام ثم عادوا بالسيى والغنائم وكانت فتنة ما روى اشد منها ورسم السلطان خلد الله ملكه بخروج العساكر الى الشام فخرج زهاء الفي فارس مقدمهم مملوك يقال له شمس الدين سرا سنقر الذى كان استاذ الدار ووصلوا الى غزة واجتمعوا مع العسكر الذى كان هناك وكان الملك الناصر معهم وصاروا في عسكر عظيم وتووا ونزلوا على منزلة تسمى العوجا مقابل يافا وراموا حصار يافا فاستعد الافرنج لذلك واقاموا مديده وبعد ذلك سير السلطان اعز الله نصره الى شمس الدين سرا سنقر المقدم ذكره وامرها بان يأخذ العسكر الذى خرج معه ويحضر فرموا خيامهم وارتحلوا فلما رأى الملك الناصر ذلك حمل ما قدر عليه من قماشه واحرق البائى ورحل ومنى الى الكرك واما العسكر الذى بقي هناك وهم الاشراف والصارم المسعود وشمايل ورجال من الحلقه مقدمهم ريحان

الصحابى فانهم رجعوا الى غزة واما احوال اصحابنا النصارى فما كانوا فيه فانهم اجرروا ذكر الشيخ السنى عند مولانا السلطان عز نصره فقال انا اعرفه قولوا للقاضى يخرجه فكتب صاحب يقال له بدر الدين اخوا الحاج على الى القاضى رقعة يعرف فيها ان مولانا السلطان رسم بخروج السنى الراهب المعروف باين الشعبان الذى فى اعتقال الشرع وهذا خطى عند سيدنا بذلك ومضى بها اليه جندار وكان يوم الجمعة وكان بمصر فاعتذر وقال حتى اجتمع بمولانا السلطان فكتب اليه رقعة ثانية وهو يقول هذا خطى وعلى العهدة فاي وقال هذا في حبس الله على حق شرعى ما هو في حبسى حتى اطلقه ولم يعد احد يعرف السلطان ان القاضى رد قوله وقد كان قبل ذلك قد جرى بين القاضى والوالى مشاجنة بسبب هذه القضية وهو ان القاضى سير شهودا الى الموضع الجوانى حتى تجدد تحديده وكان قصدهم ان يدخلوا فيه بما لا كان فيه اولا حتى يستضيفوا اليه مواضع اخرى فسير اليهم الوالى مقدم رکابه وقال لهم بأمر من علمنا هذا وما هذا التحديد بعد التحديد الاول فجاؤوا الى القاضى اعلمونه فسير القاضى اخذ المقدم المذكور ضربه وحبسه فسير الوالى أخذ الشاهدين ضربهما وحبسهما وكتب كل منهما الى السلطان وبقيت بينهما مشاجنة ولا شك ان السلطان رجع القاضى فخمن الوالى ومال الى ملائحة القاضى فاخراج الشاهدين واخرج القاضى المقدم الذى كان حبسه وبيى الامر على ما هو عليه وبالجماعة يسعون في تزكية شاهدين اخرين وكان في هذه الستين وهى هذه السنة وما قبلها بستين قدر ظهر في الفيوم بركة عظيمة وصار فيها من البلطى شيئا لا يحصى وكان يحمل منه الى مصر كل يوم حمله لا يحصى عددها حتى ان بعض الاصحاب ذكر انه توجه يوما من القاهرة الى مصر فلقي في طريقه في تلك المسافة ما يزيد عن عشرين حملة هذا خارجا عما يحمل من غير تلك الطريق وما يحمل في طول النهار وما بياع بمصر والجize لانه كان يحمل من الفيوم الى الجيزه على البحمال وله سوق بالجيزه بياع به وقد ضمن السلطان ستين دينارا ومن هناك يشتريه الناس ويفرق في البلاد وكان فيه الكبير واللطيف واللطيف ما كان فيه كان يكون وزن البلطى منه اربعة ارطال وتتابع كل عشر بلاطى منهم بتسعة دراهم ودون ذلك واكبر من هذا الوزن بعشرة دراهم العشرة

ووالكبير منه اكبر من هذا الوزن بكثير بخمسة عشر درهما العشرة وكانوا يحضرها فيهم ما يقدر وزن كل بطية عشرة ارطال واكثر تباع بدرهم نقره دون ذلك وتحققت من السماك الذي يبيعه بالجيزه ان الذى كان يصل منه في كل يوم مايه حمل ويزيد وينقص وان في اكبر الايام يصل مايه وتلتين حمل على كل حمل مايه بططيه يكون العده على هذا الحكم ستة وعشرين الف بططية وكان الناس قد وجدوا به رفقا عظيمها وما كان معظم الناس بي له اكل سواه ولو لا ما قدر على اللحم لان اللحم في هذه الايام قد غلا غالبا عظيمها حتى بلغ الرطل درهين واكثر مع ان الاسعار كانت رخيصة وانحط القمح الى ان بلغ العال فيه الى خمسين درهما الاردب والى دون ذلك والشعير الى نسبة عشر درهما وحومها والفول مثله وبيع الخبز خمسة ارطال بدرهم ومن كثره ما صار يباع في السماكين جدا واما البطنى فما كان يتقطع طول السنة ومن كثره ما صار يباع في السماكين خاصة بل في سائر الاسواق ولا صار السمك بعدم اصلا لاجل وجود هذا البلطي الا انه سيم لكره واكثر الناس ما كانوا رجعوا يأكلونه بل كانوا يتبطرون حتى يقع لهم فرخ او بنية فياكلون منه ثم تمادي الامر في امر ادر الكنيسة الى اوائل شهر رمضان من هذه السنة فاجتمع القاضي ابن عبد السلام بمولانا السلطان اعز الله نصره وقال له ان هذه الموضع التي يدعى بها النصارى انها املاك وقف عليهم قد ثبت عندي أنها مساجد والنصارى فلم يثبت لهم شيء لان شهودهم نزلوا عن شهادتهم وهولاء المسلمين قد اشتبوا ان يجادلوا هذه المساجد في ايام مولانا فقال له مهما ثبت في الشرع اعمل به فنزل الى مصر وسير الى الوالى يقول له قد رسم لي السلطان بان أهد هذه الموضع واعيدها كما كانت مساجد واريد مساعدتك وشدك فسير الوالى الى مولانا السلطان عز نصره رقعة في هذا المعنى فلم يخرج لها جواب فجاء القاضي الى الموضع بنفسه ورسم بهذه فهدت لانه ما كان يمنع من ذلك الا الوالى فلما لم يجد نفسها من السلطنة تحلى وأسار جماعة من الناس بأنه ما بي يفيد الا الوقوف للسلطان فاجتمع جماعة من النصارى القوسن والصعيدين ووقفوا مرارا فوقتا توجد رقعتهم ووقتا لا يجاوبون وآخر الوقت وكان السلطان بالجيزه جاهم بعض الحجاج وقال لهم قال لكم مولانا السلطان لا ترجعون تقولون فاني لا اسمع لكم

كلاماً وكان القاضي بن عبد السلام في ذلك اليوم قد مضى الى تلك الموضع وهو يردد نظرة فيها بعد هدم البعض فجاء اليه الوالي وقال له يا سيدنا كنت الساعة مع مولانا السلطان عز نصره وقد وقفوا له النصارى في امر الكنيسة وامر بطردهم فازداد غيظاً وتخزباً وامر بهم الموضع كلها واستضاف لها موضع اخرى وامتد في الزقاق فهدم من حা�يط الكنيسة القبلي الى قمية الزقاق الذى يسلك منه دار القسيس معانى والا در الى هناك ودخل في هذا الحد ثلاثة ادر علوا وسفلا من هذا الدار الى من شرق الكنيسة وطبقه الشيخ السنى الى كان عمريا في موضع الفرن العتيق وانتهى الى سفلها الذى كان مطلعاً الى علو الكنيسة ومستخدمات واستمر الهدم وبقي زقاق الكنيسة لا يسلك من الهدم والردم والطوب والاخشاب وصار القاضي يتردد كل يوم الى الكنيسة ويقوى جأشه او ليث الجماعة الذين كانوا سبب الفتنة المدعين والشهدود والمعتصبين وفي اثناء هذه القضية جاء شخص يقال له ابو الحسن بن مكين الفراز مسلماني وهو من تلك الجماعة المقدم ذكرهم وهو الذى كان ادعى على الشيخ السنى اولاً وعمد الى طاق في طبقة من الطباق الى هدمت وهي في سور الكنيسة وهي من جملة طاقات دائرة في سورها فجاء الى هذه الطاق الى هي الى ناحية القبلة على زعهم وان كان معها طاقات عديدة في هذا الحد الا انه اختص بهذه فكتب فيها الشهادتين الى لهم باللغة وعمل عليها التراب حتى ترى أنها عتيقة والصق عليها قطعة بياض من الذى نقص وكانت امراة من السكان تبصره وبات في المكان يحرسه فلما اصبح مضى الى القاضى وقال له يا سيدنا قد ظهر لنا الحق ووجدنا الحرب فيه الشهادتان مكتوبتان من قديم الزمان فجأ القاضى وخلق لا تخصى من المسلمين الى ان كان الملح اذا رمى عليهم لا ينزل الى الارض ورأى المكان وعمل بذلك حضراً و Ashton فيها جماعة من العدول بانه وجد كذلك وكذا وسيرة الى مولانا السلطان وحكي ان السلطان عز نصره لما رأى ذلك قال هذا الرجل من الاولئاء ولا ينبغي ان ترaddه في شيء وما كان في الارض قضى اعجب من هذه القضية ان يكون محلاً وتمبياً وتعصباً وكل عاقل وشيخ

من المسلمين يشهد بان هذا محال وشى ما كان قط وبعد هذا نصر هذه النصرة وتم فيه ما لم يتم في مثله في زمان من الازمان الا ان هذا كان تحليه من البارئ سبحانه وعقوبة لاهل هذه الكنيسة التي انا من جملتهم واما الشيخ السنى فان هذا كان له زيادة بر ومضاعفة اجر وشهادة وجهاضاً وسبكاً لانه لم يكن يستوجب ما جرى له من المحن الا على هذا النوع لا غير ثم ان القاضى جاء الى الكنيسة ودخلها وانخذ بيده قادوما وصار يهدى بيده وهدوا السور الذى كان فيه « الطاقات الذى ذكروا ان فيه وجدوا المحراب وليس محراب بل طاق من جملة طاقات عدة وهم كانوا يشهدوا بان هذا المسجد كان ارضيا والبرانى كان معلقاً وهذا المحراب الذى ادعوا به في طبقة وكان هذا السور ينتمى الى اسطوان عرضي فيه ثلاثة هياكل احدهما وهو الصدرانى على اسم القديس ابو فكتور والثانى على اسم يوحنا العمدانى والثالث على اسم ابينا ابنا انطونيوس وهذا الموضع كان موضع المغطس العتيق الذى غيره الشيخ السنى وجعله في كنيسة استافروس وكانت الكنيسة المذكورة في ظهر هذا الاسطوان فهدموا الكنيسة الاخرى وهدموا السلم والمطلع والغوا الموضع البرانى بالموضع الجوانى ولم يبق في الكنيسة سوى الاسطوانات الثلاثة لا غير ولم يبق بها فرن ولا مستخدم ولا بقى احد يصل الى علوها الذى على الاسطوانين اللذين في الجانبين فاما علو تيك الموضع فانه هد مع سفلها وكان الذى عدم من الكنيسة اربع كنائس وبسبعة هياكل والفرن المستخدمات والمطلع وخمسة ادر وبقى النصارى في حزن وكآبة لم يروا مثلها من زمان وذلك على العقلاء منهم وذوى الدين والتميز وفي اثناء هذه الشدة مرض البطرك جمعه من الايام وتوفى في يوم الثلاثاء الرابع عشر من برمبهات من هذه السنة المواقف للثامن عشر بالعدد من شهر رمضان ستة اربعين وسبعينا بدير الشمع وفي الحال جاء بعض النصارى الذى عليهم اسم النصرانية خاصة وهم عماد الراهب المرشاد المقدم ذكره والقس سمعان الذى كان كاتب القلاية وجرى منه ما تقدم ذكره وذكر ان معهم ابنا يوساب اسقف

فوه واعلمنوا الصاحب معين الدين بن الشيخ بن البطرك توفى وانه خلف جملة مال فسير احتاط عليه وعلى موجوده جميعه وختم على الجوسق وهو فيه ميت وبات كذلك فلما كان ثانى يوم وهو يوم الاربعاء سير واى الجوزة وكان اميرا يقال له شمس الدين الطنبوعا وكان والى الغربية قبل ذلك مدة طويلة وسير معه وكيل السلطان وهو كمال الدين بن الفقيه نصر فجاء الى الدبر ومعهم شهود واخرجوا الميت النصارى بعد ان بات الليلة في الظلام بغير سراج يقد عليه واثبتوا الموجود ويقال انهم وجدوا له ستة عشر غفاره عنانى وغيره واربعين وزره مشمنه واما من الثياب والعامام والسراويات والبلاريات والعراضى والحجور الى البدلة التى تكون على الراس فشي كثير الا اننى ما تحقق عدته وذكر لي بعض الجماعة ان عدة السراويلات اربعون والعهدة عليه وووجد له على ما ذكرت عشرة علبية حلواء وقد زتحت وساس بعضها وست قروات تمرا عتيقا وغير ذلك مما يجرى مجراه فاحتاطوا على الجميع واثبتوا مع اوانى الكنائس وكساوتها الى كانت عنده والكتب التى كانت له وللكنائس وكانت كتابا لها قيمة لانها كانت منتخبة مشمنة ثم قالوا لابن اخيه ابن سعيد ولو كيله وخازنه وكان صبيا يعرف بابى الفرج بن خلبوصى البنا اين المال قال ما نعلم شيئا فتشدد الامير عليهم فقال له ابن اخي البطرك انا رجل غريب ما كنت عند القوم هذا الخازن والمتصرف قال له الامير المال والا عصرت اصدقائك في هذه الساعة فدخل الى موضع اخرج منه من تحت بلاطة الف دينار وكسوراً واخرج من الدراهم التقره والسوداد ما ذكر ان الجميع تناهى الى دينار فاخذوا المبلغ في حرمدان حسن الصنعة له قيمة وختموا على الموضع وتوجهوا واخذوا معهم ابن اخي البطرك وابو الفرج المقدم ذكرهما واما جماعة النصارى فانهم التاموا حوالى البطرك مع الاساقفة الذين كانوا حاضرين وهم ابنا يوساب اسقف فوه واسقف بوبيج والسنديونى وولده وابنا عمين اسقف اطفيج وجماعة من القسوس والشمامسة وجمع كبير من الشعب وجزءه على جارى العادة وقيل ان رايته تغيرت حتى انهم كانوا يرشون عليه ماء الورد لتزول الرياحنة الكريهة

عن الناس ودفن في عشية يوم الاربعاء الخامس عشر من برمهاط في القاعة التي كان عمرها بدير الشمع وعاد الناس الى مواضعهم فاما ابن اخي البطرك وابو الفرج الخازن فانهما لما وصلوا الى الصاحب معين الدين أمر بتسليمها الى المجاهد سليمان والى مصر وقال له تسلم مني هذين واريد منك عشرين الف دينار مما كان يقال له وما كان يخشى في اسماعه فاخذهما الواى وحبسهما وضيق عليهما واما رهبان الدير فان الواى سير اليهم احضرهم اليه ووكل عليهم وتركهم عنده وبقي الدير بلا قداس ولا صلاة وباب القاعة التي البطرك مدفون فيها مغلق وكان جماعة يرددون ان يزوروه فلا يجدون سبيلا ثم ان مولانا السلطان اعز الله نصره رسم بأن يعقد جسر الى الجزيزة فأخذت المراكب التي كانت على بحر الجزيزة نقلت الى الاداية الاخرى من الغرب وعقد الجسر من الجزيزة الى الجزيزة ومشى الناس عليه وكانت الطريق قد مشت من مصر الى الجزيزة في البر من جانب الجزيزة الاخرى على جاري عادتها في كل سنة ورسم السلطان عز نصره ان ينتقل من كل سوق قوم الى الجزيزة ويقيمها بها لان قصده ان يعمرها وقيل انه قاس لعمارتها مقدار اسكندرية طولا وعرضها ورسم بأن ينقل الشوانى الى بر الجزيزة وتعمر هناك وان تعمر الامراء لهم هناك ادوا ليكون مقام السلطان في قلعة الجزيزة والامراء في الجزيزة ونقل اصناف عمایر المراكب الحربية والنيلية من صناعة مصر الى صناعة اختطها بالجزيزة وكان العمل مستمرا بالجزيزة وطلعت ابراجها الشرقية وشرعوا في الابراج والابدان الشرقية وكان قد طلع في بحر الجزيزة عليها وتسفيرها كما عمل في الابراج والابدان الشرقية وكان قد طلع في بر الجزيزة جزيرتان كبيرتان فامر بقطعهما ونقل ترابهما في المراكب الى بر الجزيزة وردهما هناك لانه كان غرق في ذلك البر مراكب وكان قصده بذلك كله ان يتوكا البحر على البحار الشرقي فتبني تحت الجزيزة من الشرق شتاء وصيفاً وربما يستمر في خليج القاهرة ورسم بابتياع الابقار والاستكثار منها فابتيع واحضر من الابقار ما يناهز الف وخمس مائة راس ورتبت في العمل في بر مصر بالحراريف من دار الملك الى فم الخليج ونقل سوق الغلات والعلافين اصحاب المقادع الذين كانوا على الساحل ودار الاملاك التي تباع فيها البطيخ والقوس والخيار وما يجري مجراها الى الكوم الاحمر قبل مصر ما خلا دار الاملاك الى الجزيزة لما عزم على

حفر هذه الموضع ثم انه رسم تحلى كنيسة الجزيزة وجامع المقاييس وخرج من بهما وكان بالكنيسة رجل قسيس كبير السن ضعيف البصر يسمى افraham وكان له في الكنيسة المذكور ستين سنة فانخرج منها وسمّر بابها واخرج ابن ابي الرداد من جامع المقاييس ولم يعلم السبب في ذلك فقوم قالوا ان السلطان يريد ان يعمل من جانب الكنيسة طريقا الى الابراج التي عملها على المقاييس وقوم يقولون انه كره تحطى الناس على باب داره وبقي الحال على هذا وكانت اسعار الغلة قد انحطت وتتوطّات وكان النصارى في مصر في ضيافة من قبل القاضى حتى انه كلف الناس انه من كان ثوبه ايض يحمل زناره ازرق او اسود او لونا يخالف الايض وان كان ثوبه اسود او ازرق فيكون زناره ايض واحد جماعة بذلك وكان العوام اشد على الناس من هذه الامور كلها ولم يكن في القاهرة شيء من هذا اصلا وكان قد جرى لليهود في هذه المدة قضية عجيبة لانهم كانوا بلا رئيس وكان فيهم قوم متعنتين يعرفون باولاد الفارق في دفعه وكانوا يسعون في الرياسة فانفق ان اثنين منهم وهم الكبار من الاخوة حضروا للكنيس التي لهم في سبتمبر السبوت فطلعوا الى المنبر وقراء العشر الكلمات التي في التوراة وكان هناك من اليهود من يشنها فقضى الى والى مصر وقال له ان السلطان خلد الله ملوكه رسم ان لا يكون رئيسا لليهود الا بعد ان يقوم بالف دينار لبيت المال وهو ان اثنان من اولاد الفارق في دفعه قد سرقا الرياسة وطلعوا الى المنبر وقرأ ما كان يقرأه الرئيس ولم يزنا شيئاً فسير الواى احضرها واحد عليهم الشهادة فانهما قرأوا العشر الكلمات فوكل عليهما وسير أعلم مولانا السلطان فخرج اليه الامر بان يحبسهما حتى يزنا الاثلث دينار الذي تقرر في الرياسة فحبسهما وكان اسم احدهما ابا اليها وهو العالم فيما والا ابا النجم وكان يسافر مع السلطان الملك الكامل ويستخدم لا كابر الدولة فاما ابو اليها فإنه اسلم وتخلاص واما ابو النجم ففي في الحبس وفي هذه الايام مات اسقف الملكي الذي بمصر ولم يوجد له ما يكفل به وكانت اياما عجيبة النصارى القبط بغیر بطرک والمملکة كذلك لان بطرکهم مات قبل ابا کیرلس واليهود بلا رئيس واما اصحاب البطریک الحبوسين وهم ابن اخيه وتلميذه وغلامه فانهم عصروا مراراً ولم يقروا بشيء وكان العصر بالاكبر لابي الفرج بن خلبوص الذي هو التلميذ والمتصرف كان

تركة البطرك فانخرجت في مصر وبيعت في يوم الثلاثاء السادس والعشرين من
برموده وابصر الناس فيها من التحف والأشياء الغريبة ما لم ير مثله حتى انه قيل
ان قماش بدنها حفظ اربع مائة دينار ولم احقق ذلك الا انه بيع بجملة عالية
وكان التوب الصوف المفصل يباع بمائى درهم والغفاره الجلوخه العتيقة
بمائة وخمسين درهما واخبرت ان شخصا اشتري قطعة من الحلقة واخرجها الى
السوق عرضها فسويت نصف ثمنها وكذلك كل ما بيع لأن الحلقة لها سمعة
لا سيما مع هيبة السلطة واما اواني الكنايس مثل الصوانى التي للقربان والكاسات
والكساوى التي للهياكل وما يجرى مجرها فائهم عززوا حتى تشاوروا عليها ولما كان
في اوائل بشنس خرج بن عبد السلم قاضي مصر الى المصلى الذي بالقرافة
وجمع جماعة من الشهود وعزل ولده وولد البها بن حنا الذي هو صهر الاسعد
الفايزي وفيها هو في ذلك سير اليه الوالي ابن أخيه وقال له هذا ما هو موضع
الحكم فما هذا الجمع فشتمه القاضي واقترن عليه فقال له ابن أخي الوالي
انا ما لي معك حدث بل هولاء الشهود هم يعلمون ما يلقوون وكانوا زهاء
ثلاثين رجلا فانقضوا جميعهم وقاموا فاستعادهم القاضي وقال لهم اشهدوا على
بأنى عزلت نفسي من الحكم بمصر واعمالها وصرفت نوابي وأنى عزلت الوزير
ابن الشيخ من النظر على الشافعى ومن شيوخة الصوفية ومن النظر على تركه
اخيه عماد الدين وورثته واسقطته من العدالة فسمعوا ذلك وراح كل منهم
إلى بيته وخرج القاضي وحده راح إلى القاهرة لأنه كان يسكن بها وبقي الحال
على ذلك إلى يوم الجمعة السادس من بشنس وهو عيد الشهيد أبي اسحق بدفرى
رسم الشيخ أبي الحجد الأخيمرى بان يعود إلى الخطابة على ما كان عليه أولا وهذه
أول خدمة كانت لابن عبد السلم فخطب في النهار المذكور بجامع مصر وكان له
يوماً مشهوداً وتلقاه الناس بالشمع المؤقود والمصاحف المنشورة وفرحوا به
فرحاً عظيماً وبقي الحكم بغير قاضٍ بمصر والامر موقوف في ذلك إلى ان ركب

في المال فعصر حتى قارب الموت ولم يخرج شيئاً وبقوا محبوسين وفي هذه الأيام
كان الصاحب معين الدين بن الشيخ قد عمر مناظر على البحر بمصر من جانب
باب القنطرة وكان القاضي ابن عبد السلام قاضي مصر قد عبر على هذا المكان
في وقت من الاوقات وقال بعض الوكلا الوقوف على العارة لا تعمروا هذا
المكان فقد ثبت عندي انه كان مسجداً وفيه اموات فعرفوا الصاحب بذلك
فلم يكرث له وكان الى جانب هذا الموضع مسجد وكان ابن القاضي الاسكندرى
الذى كان قبل هذا القاضى قد عمر عليه طبقة مليحة تانق فيها وغرم عليها جملة
وقد كان هذا القاضى قصد هدمها لانه قال الاوقاف لا يجب أن تغير عن
صورتها ولا يزداد فيها ولا ينقص فما مكنته الصاحب من ذلك وبي في نفسه
فلما تم له في كنيسة بوسرجه ما تم ظن ان الموضع كلها هكذا فأخذ معه
جماعة من الشهود وجمعوا من المهدادين واجتمع معه من المترجين والمترغبين
خلق عظيم وطلع الى الطبقة وشرع في هدمها وكان قصده انه بعد هدمها
يهدم الموضع الذى اشار الى انه ثبت عنده انه كان مسجداً وقد عمله الصاحب
مجازاً الى داره فبلغ الصاحب ذلك وكان بالجزيرة فجاء الى المكان في جمعه
وغلمانه واشياعه والوالى معه وسير الى ابن عبد السلام وقال له باامر من فعلت
هذا ان كان باامر السلطان خلد الله ملكه فعرفنا على لسان من خرجت لك
الرسالة ونحن اولى ان ننفذ امر السلطان وان كان با أمرك فالله هذا فقال باامر الله
فقال الصاحب نحن نعلم ان الله تعالى ما اوحى اليك بهذا ونحن نمنعك منه
حتى ترى ان كان هذا الامر من الله وكانتا قد هدوا من الطبقة مسقفين من
جانب الطريق لا غير فسير الصاحب غلامنه واشياعه فأخرقاوا بالشهد اخراقا
عظيماً وضرمواهم الى حدة الموت وضرموا المهدادين وبدوا بهم وانقض ذلك
الجمع وهردوا واما القاضى فانه بي في الطبقة وحده وكانت بغلته على الباب
فضر بها الغلمان وهججوها وكسروا يد الركاب دار وكان يوماً مشهوداً لم يرا
اعجب منه وبعد زمان خرج القاضى يمشي الى برا الباب ونزل في مركب حتى
مضى الى بيته وكان قد اراد من الوالى ان يعينه فلم يعينه بشئ فحلف انه
لا يحكم ولا يتصرف الا ان عزل الوالى وانقطع عن الزوال الى مصر وعن
الحكم بها الا ان نوابه كانوا باقين على حالمهم ومتصروفين ثم ان الامر خرج ببع

السلطان يوما في بر الجيزه فللحظه ابن عبد السلم وجاء اليه الى المنظه بمنيه عقبه واستاذن عليه فاعطاه دستورا بالعبور فعبر اليه فاكرمه وقام له واكل معه واستعفاه من القضاء فاعفاه وما كان يظن ذلك ثم استاذنه في السفر فاذن له فيه الى اي جهة اراد ثم خرج من عنده وقد اثبت من الحكم والخطابه واستخدم نوابه جميعهم في مواضعهم على حالم لكن من قبل السلطنة لا من قبل قاضى مصر على جاري العادة وكان قاضى مصر ايضا من جملة النواب الذين ابقو على حالم ولم يتغير احد من النواب سوى قاضى قوص وكان هذا تذيرا من الله تعالى لانه كان قد ظلم النصارى واساء عليهم واحدث عليهم حوادث لم يكن حتى انه استسلم كل ملوكهم ومنع ان يماع شى من الجلب لاحد من النصارى وقال ان هولاء الجلب جميعهم مسلموون وهم يعبرون على دهلك وعيادات وبالاد المسلمين ويدخلون المساجد ويصلون فيها فلا يجوز ان يماعوا للنصارى واشيا كثيرة من مثل هذا من ان ابن الابن يتبع الجد اذا كان مسلماً وان كان الابن نصريانا لانه كان بالغالى في حال اسلام ابيه الذى هو الجد فصرف دون جماعتهم واقر سائر النواب على ولاياتهم واهتدى الناس مما كانوا عليه قليلا الا ان كنيسة الجزيره هدمت الى الارض وغيرها في عمایر القلعة وصارت من جملتها وكان في هذه السنة قد وردت الاخبار أن الخليفة المستنصر بالله قد توفى ببغداد وكان رحمة الله من الخلفاء الراشدين الذين اقاموا منار الحق وانصفوا بين الحلق وقربوا المويدين واقتدوا المفسدين فتوفى وقد بعده ولده المستعصم بالله امير المؤمنين وكانوا يطلقوا له هذا اللعن لان الخلفاء العباسيين قد ناهزوا الأربعين فقد استوعبوا اكثير الاسماء ومن شرطهم الا يسمى خليفة باسم قد سمى به غيره فيقال انهم اقاموا مدة يبحون حتى وقع لهم هذا الاسم وجالت رسالته الى مولانا الملك الصالح وخطب له وضررت السكة باسمه ثم ان مولانا السلطان عز نصره سير الى اخض الامرا الذين بغزة وهم الامرا الاشراف اولاد تعلب بان يحضرروا الى القاهرة لشغل عرض له

فجاوا وفي مجبيهم كان الافرنج قد جاوا في امر مركبات الى الواردة نهبوها واحتذوا منها جماعة ثم جاوا الى قطية زق مجبيهم اليها نزل الاشراف بها ولم يعلموا اذا الافرنج قد طلعوا من المراكب اول الليل وجاوا الى السوق ونهبوه وامسکوا كل من وجدوه وربطهم معهم في السلال فلما بلغ الاشراف ركبوا وكانوا في قلة لان اصحابهم تفرقوا وكانوا في الاصل ضعافا لان اجنادهم مقارية جدا الا انهم ما قصروا بادروهم وقاتلواهم من اول الليل الى ان طلت الشمس وخلصوا منهم المسلمين الذين كانوا اسرورهم واحتذوا منهم ثلاثة انفس بالحياة وقتلوا منهم زها عشرين نفساً جاوا بشعفهم معهم على الرماح ويقال ان اكثرهم جرحوا ومنهم من مات بعد انتصافهم عليهم وما راحوا الا بشر ويقال انهم ما بين ثلثاية قوس وهذه حملة كبيرة بازا هذه الجماعة البسيرة وشكر الامرا الاشراف من مولانا السلطان ومن كل احدٍ وخلع مولانا السلطان عليهم الامر الاشراف من مولانا السلطان واما اولاد عم وهم حصن الدين وكان اصغرهم سناً خلعاً سنية وكانوا ثلاثة امرا اولاد عم وهم حصن الدين واما جندي العسکر الشاب مع واكبرهم قدرًا وشرف الدين وتقى الدين ثم بعد ذلك تحرك العسکر الشاب اما الفرنج الى ناحية غزة وجات الاخبار بان الملك الناصر بن الملك المعظم صاحب الكرك اتفق معهم فعاد العسکر الذي كان يغزو وطلعوا الى فاقوس ورسم مولانا السلطان عز نصره للعساکر بالخروج واتفق فيهم لكل امير على عدد حلقته عن كل جندي عشرة دنانير ان كان معه مائة جندي اعطاء الف دينار والاجناد لكل جندي عشرين ديناراً فاما رجال الحلقة فالكل واحد اربعين ديناراً ويقال ان الذى اخرج مائتا الف دينار وجات ايمان اخذ القاع بالقياس والمطالعة به وهو الخامس والعشرين من بونه وكان القاع في النهار المذكور اربعه ادرع واربعة عشر اصبعاً وكان في العام الماضى في مثل هذا النهار اربعة ادرع وعشرين اصبعاً النقص بينما ستة اصابع وكانت الاسعار هاديه القمع من خمسين درهما الاردب الى ثلاثين والشعير من اثنين وعشرين درهما الاردب الى عشرين والفول مثل ذلك واما اللحم والدجاج وساير اصناف الموكول وما يجرى مجرى ذلك فعل حاله في الغلا وكان مولانا السلطان قد امر بنى جماعة من الامرا المعتقلين

لักن قبيلة حايل التي يسكنها ليس لها حل محل لصلواتها على ذلك ومحظها عدوها
لهم ما رسم لهم لهم وله ينزله بسبعين قسيمة شاند تقدما لهم كل

فأخذ لهم شوانى وركبوا فيها ومضوا بهم الى بلاد الغرب الى جزيرة فيها قوم يهود يقال لها طلمشة فتركوه فيها وكان أنسان من اولاد النصارى يعرف بابي المجد بن المومن بن ابي البدرا وكانت امه ابنة اخت الاب البطرى ابن زرعه وكان قد جرت له نكبة على سكر من مدة ثمان وعشرين سنة وهو انه تخاصم مع قوم وهو سكران فتلفظ بالاسلام فحفظوا القول عليه ومضوا به الى مدرسة الفقيه الطوسي وبيته في بيت وحده فلما افاق من سكره رمى بنفسه من باب ريح الى الطريق من ناحية البحر ومر من وقته استر عنده بعض النصارى الى ان قضى شغله وتوجه الى الشرق فاقام هناك هذه المدة وتزوج ورزق اولاداً ومالاً ثم انه رمى من الزمان بحوادث اذهبت المال وفقدت بعض الاولاد فعاد الى مصر رجاء ان امره نسى وان حاله يمشى وانه يقيم بالبلاد ويعرف نصرياناً فخوف من ذلك وقيل له ان هذا ما لا يمكن وترجع يجدد هوماً قد مضت فاستر عند اخوته و كان له اخ صالح مبارك يسمى الصنيعه ابا البدرا يوحنا وكان مرشحاً للبطريκية وقد تحدث له فيها مرة قبل تقادمه ابا كيرلس فكان يسعى ويبعث ويقرض حتى يحصل له شيئاً ياخذه ويسافر فييناً هم كذلك في السابع عشر من بونونه اذا وجده فواده ليلة واحدة واصبح ميت في التاريخ المذكور وكان قد رضى ان يخرج الى دير شهان حتى اذا مات يدفن هناك فما امهله زمان وبي اخوه المسكين متهرقاً ومتخوفاً فطلع الى القلعة واعلم الجماعة بذلك فاشروا عليه بان لا يدفنه الا مسلماً وان هذا الامر فيه خلاص من درك عظيم وليس فيه خطية على ميت ولا حى فاما الميت فما مات الا على ايمانه وما هذا مما ينقله عنه واما الحى فما قصد بهذا التحقيق به ولا التقصير في حقه وانما على سبيل الدوا الذى يستعمل لمعفعته وان كان مراً فضى الى مستخدمي المواريث فكتب لهم خطبه بما تخلص به منهم واخرجه مسلماً ودفن مع المسلمين وكانت هذه من جملة المحن التي امتحن بها هذا القديس ثم ان الاخبار وردت بان النظر مالوا الى جانب مملكة روم المسلمين وهي نواحي قونيه فاقصرها سواس وملطيه وهي بلاد عظيمة تمسك عساكر جمة وهي من اعمال القسطنطينية العظمى كان قد اخذها بالليلة رجل تركانى يقال له قليج رسولان وان ملكها انفق نفقات عظيمة وضرب دنانير ما سمع بمثلها ووصل التجار

من هناك واحضروا معهم شيئاً منها وكان فيها ما وزنه اربع مائة وخمسون مثقالاً ودونها الى خمسين مثقالاً وكان ذهبها عاليًا جداً حايضاً حتى انه بيع بالقاهرة بنافق درهم واحد في كل مثقال عن المصرى لا غير فما كان النقص بين بحق ضربه بمصر فدل على صيغه وانه يصلح غيره اذا سبك معه وفي هذه الايام وصل الى الاسكندرية من بلاد الافرنج غلال كثيرة وهو من العجائب الغربية حتى ان قمحهم بيع بالاسكندرية بستة وثلاثين درهماً الاردب وكان قمحاً رضيناً صحيحاً قوياً وخبزه احسن ما يكون وكان اللزفي هذه الايام على خروج العساكر والنفقة مستمرة والخفر في البحر ليدور على الجزيرة والعماره في قلعة الجزيرة والعماره ايضاً في المدرسة المستجدة بالقاهرة وفي هذه الايام رسم بعمل قنطرة على الخليج عند باب الخرق واهتم بها وحصل للناس بها فرح عظيم لأنها تجيء فرحاً لهم ووفا النيل المبارك ستة عشر ذراعاً في يوم الاحد الثالث والعشرين من مسri واستبشر الناس بأنه نيل مبارك الا ان الاسعار كانت ماسكة نفسها القمح العال بخمسة واربعين درهماً الاردب والدون بخمسة وعشرين درهماً الاردب والدقائق بخمسة وثمانين درهماً الجملة والخبز اربعة ارطال بدرهم وكل ما في البلاد غال من ماكول ومشروب وملبوس ومركتوب واصناف العماره واجر الصناع وكان قد وصله من بلد روم المسلمين مع التجار دنانير منها ما دون الدينار اربع مائة وخمسون مثقالاً وما وزنه مائى وخمسة مثقالين ولم ار هذين بل سمعت بهما بل انى رأيت ديناراً وزنه مائة مثقال ومتقالان ونصف متقال وعلى الوجه الواحد اعتقاد المسلمين واسم الخليفة وعلى الوجه الآخر اسم ملوكهم وهو السلطان الاعظم غياث الدنيا والدين كيكاووس بن كنفداد وتاريخ ضربه بدار الملك قونية ستة خمس وثلاثين وسبعيناً وفي هذه الايام وردت الاخبار بان التطر نزلوا على بلد الروم هذه وكسر وهم وأخذوا منهم بلاد كثيرة منها سواس وانزعج الناس من هذا ازعجاً كثيراً لانهم قربوا من الشام وصار بينهم وبين حلب مسافة يسيرة وكان قد توجهت منهم فرقة الى بلاد الانبار وصوب اللمان ولم ينالوا طايلاً وقتل من التطر والافرنج خلق عظيم وكان

للكسرة على التطر ولم تنج منهم الا نزر يسير لانهم كانوا عدوا البحر وفي هذه الايام وردت الاخبار من الاسكندرية بوصول سول من جهة الانبرور الى مولانا السلطان الملك الصالح وكان تخير بطيه يسمى نصف الدنيا وكان الناس يتعجبون من عظمتها وقيل ان فيها ثلثاية بنار خاصة خارجاً عن الركاب وكان فيها من البضائع ما لا يحصى كثرة من زيت ونهر وجبن وعسل تحلى ومتاع وغير ذلك ثم ان الاخبار وردت بان الملك الناصر بن الملك معظم صاحب الكرك اتفق مع عمه الملك الصالح صاحب دمشق ومع صاحب حمص ومع الملك الجواد الذى هو مع الافرنج وانخذ عسكرا فنزل على الشوبك يحاصرها ورجع العسكر المصرى الذى كان على غزة وبقي الحال على هذا مدة بوعتق ابن الملك الناصر الذى كان بالقاهرة بالقلعة واحبط على جميع اصحابه وحبسو وقطعت رواتبهم وانخذت قاى الى كانت اعطيت لابن مليح لانه كان من اصحاب الملك الناصر وهو صاحب قلعة عجلون ثم وردت الاخبار بان الملك الصالح صاحب دمشق وصاحب حمص اتفقا على الملك الجواد وهو عندهما فقبضوا عليه وسيراه الى دمشق ورحلة طالبين دمشق وان الملك الناصر لما بلغه ذلك رحل عن الشوبك بعدما اشرف على اخذها وطلب الكرك ورجع السلطان خلد الله ملكه جرد عسكراً ثقلاً ووجهه الى غزة .

تم الجزء الرابع